فرجيل

الإنيادة

ترجمة: عنبرة سلام الخالدي



دار العلم للملايين - بيروت

فرجيل

الأنياذة

نقلتها الى العربية
عنبرة سلام الخالدي

دار العلم للملايين
بيروت

ص . ب : ١٠٨٥
بيروت ــ لبنان

الطبعة الأولى
بيروت ، كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥

الطبعة الثانية
كانون الثاني (يناير) ١٩٧٨

مقدمة

إن الإنيادة التي نقدمها بحلتها العربية اليوم منقولة عن الانكليزية هي في الأصل ملحمة شعرية لاتينية، وهي تدوين لأحداث أتت تتمة لاحداث الإلياذة مثل الأوذيسة . ومع أن مؤلف الملحمتين السابقتين هــو هوميروس اليوناني ومؤلف هذه هو فرجيل الروماني فانها تتصل ببعضها اتصالاً وثيقاً إذ انها تتيح لنا ان نتابع مـا وقع للامير الطروادي انياس الذي نجـا بعد سقوط مدينتـه طروادة وابحر مع رفـاق طرواديين آخرين، وبعد معانـاة دامت سنين طويلة استقروا في غربي ايطاليـا حيث أسست سلالاتهم من بعدهم أو ساعدت في تأسيس روما . وقد اتقن فرجيل كتابة اسطورته اتقاناً عظيماً فجاءت رائعة محققة لما تخيله من تصورات .

وتعتبر الإنيادة ، من جهة اخرى ، المدخل والممر بين عصور الوثنية والعصور المسيحية، فقد ولــد فرجيل في سنة

٧٠ قبل الميلاد وتوفي سنة ١٩ وكان ذلك بعد ثماني سنوات من انتقال الحكم الجمهوري في روما القديمة إلى الحكم الامبراطوري وقبل بضع سنوات من ظهور المسيحية . ومع أننا لا نعرف عن حياته إلا النذر اليسير فلا بأس من ايراده هنا ؛ومن ذلك ان اسمه الأصلي هو بليوس فرجيليوس مارو وانه وُلِد في مانتوا بشمال ايطاليا حيث كانت هناك مزرعة لوالديه ، وقد اعطيت له ظروف تربوية ممتازة بالنسبة إلى أبناء زمانه ثم أرسل إلى روما لاكمال دروسه . ويظهر انه كان يُقبل اقبالاً عظيماً على جميع مواضيع الدراسة حتى العلمية منها . وقد فتحت له ثقافته العالية أبواب المجتمع الراقي حتى توطدت له صداقات وثيقة مع رجال رومانيين متميزين مثل اوكتافيوس الشاب الذي أصبح فيما بعد الامبراطور الأول اوغستوس . ومع ذلك فإنه كان دائماً يفضل الحياة الهادئة خارج روما . وكان شديد الحياء عليل الصحة،ولعل ذلك يفسر لنا سبب ايثاره للعيش بعيداً وفي نابولي بالذات حيث كان يقضي معظم اوقاته في القراءة والكتابة . وفي سنة ١٩ طلب اليه اوغستوس أن يرافقه في رحلة إلى بلاد اليونان فلبى طلبه ، ولكن صحته ساءت كثيراً ولم تسعفه على تحمل مشاق السفر فقرر العودة إلى وطنه وتوفي في برندزي في طريق العودة ؛ وقد طلب إلى

أصدقائه قبل وفاته أن يحرقوا الإنيادة ولكنهم أقنعوه بتغيير رأيه وحولوه عن قراره فوافق ان يعهد إلى اثنين منهم وهما فاريوس وتوكا أمر تقديمها ونشرها .

اما الإنيادة هذه فإنها ثالث أشعاره كما أنها أطولها وآخرها . وهي تروي قصصاً اسطورية تصور أصل الشعب الروماني قبل تأسيس روما بزمن طويل،وقد نظمت بطريقة الشعر البطولي الذي عرف في القرون القديمة . هذا الشعر الذي تبدأ معرفة العالم به منذ الاشعار البابلية التي رويت عن غليغامش قبل أربعة آلاف سنة ثم جاءت أشعار هوميروس بالإلياذة والأوذيسة بعد ذلك بأكثر من ألف عام. وكانت تظهر أحياناً أشعار مماثلة في أماكن وأوقات مختلفة من آسيا ومن اوروبا على الأخص .

وإذا كان من الصعب تحديد معنى الملاحم البطولية فإنه يمكننا القول ، على الأقل ، بأنها أشعار قصصية مليئة بأفعال تروى عن أبطال نتخيلهم يتحلون بقوى خارقة تضعهم بمنزلة فوق مستوى الانسان العادي ولكنها دون مستوى الآلهة . وقد نجد في الشعر العربي وفي الأشعار المنسوبة إلى عنترة على الأخص وفي فخرياته ما يقرب من ذلك .

وشعراء الملاحم أو الأشعار البطولية مثل هوميروس وفرجيل وسواهما من أعاظم الشعراء في العالم قدّموا لنا عبر

عصور مضت نظريات وصوراً لا تنحصر بكائن واحد أو بعصر واحد بل تشمل الكائنات جميعاً بعصور متتالية بل قد تعني حضارات بكاملها . وربما كان بعض ما قدموه عبارة عن خلاصة لدراسة طويلة وخبرة دقيقة لأحوال تلك العصور ولكنها تنطبق على عصور شتّى . وهكذا أعطانا فرجيل بكتاباته وأشعاره لوحات رائعة لما يريد سرده فجاءت ناطقة متكاملة كأنها بريشة رسام بارع . وكان يجمع أجزاء ما يريد عرضه ثم يقدمها بلوحة نقية صافية . ولم يكن يقتفي أثر من سبقوه ولكنه قد يتخذ من هوميروس دليلاً في بعض الأحيان فنرى صورة بطله أنياس وهو يلعب دوراً يشبه أحياناً أدوار أبطال هوميروس مثل أخيل أو أوذيس أو هكطور ، بل قد يشبه دور البطل هرقل مع أن انياس هذا لم يكن ذا شأن يذكر في الإلياذة .

وقد جاءت الإنيادة بملحمتها البطولية تحمل في طياتها قصة مثيرة جميلة التنسيق مفعمة بالأحداث الممتعة ولذلك يمكننا أن نعتبرها قصة للقراءة تحمل رموزاً ترمي الى معاني شتّى . وقد أرادها فرجيل أن تكون صورة شعرية حقيقية تظهر للعالم كيف أن أعمال الناس تسيطر عليها ضوابط من مزايا وأفعال لقوى بشرية وقوى خفية فوق قوى البشر ،

كما أراد بالوقت ذاته أن يصف كيف نمت روما بفعل تغلب الارادة القادرة حتّى بلغت مستوى عظمتها بعد أن بدأت بداية ضعيفة يائسة . ويصف لنا انياس بطل قصته وكيف كان يجنح إلى اليأس والقنوط أحياناً ويكاد يتخلى عن متابعة آماله ثم تعود الارادة القادرة ذاتها فتدفعه في طريق بلوغ مراميه ويرينا إياه وهو لم يتوان مرة عن الخضوع إلى دعوة صوت الأرباب .

والمعروف ان إنيادة فرجيل كانت ، لسنين طويلة ، الكتاب الزمني الرئيسي لعالم الغرب . وبعد اختراع الطباعة بخمسمائة عام بقي طبعها يعاد مرة كل عام على الأقل . وقد لا نبالغ إذا قلنا انها كانت أكثر الكتب الزمنية تداولاً في أوروبا قبل ذلك حتّى لم تبلغ شهرة كتاب منذ أيام الرومان ما بلغته شهرة الإنيادة . فقد اعتبرت كأفضل كتاب وتنوقش كثيراً حول اعتبارها أفضل الأشعار ولهذا نرى ذكر فرجيل يقدس بعد وفاته كما تقدس الأرباب . ومع انه عاش قبل المسيحية فقد احتل مكانة رفيعة بين دعاتها كما احتل مكانة عالية في الفن المسيحي ودعي « نبي الوثنيين » . ولا بد لنا من ان نذكر انه بلغ درجة من الابداع اتهم معها بكونه ساحراً حتّى أن أحد الكتب التي تبحث في معجزاته ترجم إلى عدة لغات في القرون الوسطى .

ويجدر بي أن أذكر هنا ان الكلمات الشعرية الموزونة قد تفقد شيئاً من سحرها حينما تترجم إلى النثر . ولكننا نقدر ان نقول ، استناداً إلى رواية من عالجوا الموضوع من كبار العلماء الغربيين ، ان هذه القصة المروية الآن نثراً عن أصلها الشعري ، وان فقدت رنينها الموسيقي ، إلا أنها لم تفقد شيئاً من معانيها الأصلية أو رموزها البعيدة المرامي . وكما حاول الذين نقلوها من اللاتينية إلى الانكليزية التزام الأمانة في اداء ما التزموا به ، فإننا نؤكد للقارىء العربي الذي نقدم له هذا الأثر العالمي الآن بأننا بذلنا الجهد لكي تأتي محاولتنا هذه بصورة عربية خالصة وعرض سليم أمين دون زيادة أو نقصان لكل ما حملته القصة من أحداث وصور ورموز ودروس للمجتمع الانساني في سلمه وحربه وللنفس البشرية في آلامها وأفراحها وفي يأسها وطموحها وفي خيرها وشرها .

عنبرة سلام الخالدي

١

الحصان الخشبي

حاصر الملك أغاممنون ورجال الإغريق مدينة طروادة عشر سنوات ، ومع ان القضاء سبق في الحكم عليها ، فقد تأخر يوم سقوطها ، إذ أولاها بعض الأرباب حباً عظيماً ودافعوا عنها دفاعاً صادقاً مثل أفلون ومارس إله الحرب بل جوبيتر أبي الخلق ذاته . ولذا ألقت مينرفا في روع افيوس سيد الجزر أن يقوم بصنع مكيدة ماهرة يستولي بها على المدينة . وكانت المكيدة كما يلي : لقد صنع حصاناً عظيماً من الخشب زاعماً انه تقدمة سلام إلى مينرفا لكي تمنح الإغريق عوداً حميداً إلى بلادهم . وهنالك في بطن الحصان اختبأت نخبة من أبسل زعمائهم مثل مانيلا واوذيس وثواس الاتولي . وماخوون ، الطبيب العظيم ،

وفيروس بن أخيل (أما أخيل نفسه ، فكان قد قتل بيد فاريس بمعونة أفلون وهو على وشك الاستيلاء على المدينة) وغيرهم ، واختبأ معهم افيوس ذاته ، وتظاهر الباقون بالابحار إلى بلادهم ، ولكنهم لم يتخطوا تنذوس، تلك الجزيرة القريبة من الشاطىء .

وعمّ طروادة الفرح العظيم حينما لغط القوم فيها بخبر إبحار الإغريق . ففتحت الأبواب ، وخرج منها الناس لرؤية الميدان ، والعسكر يقول أحدهم للآخر : « هنا احتدمت المعركة ، وهناك كانت خيم أخيل الشرس ، وهنالك كانت ترسو السفن » . ووقف البعض مشدوهاً برؤية الحصان الخشبي الذي جُعل لمينرفا تقدمة عظيمة من أجل السلم . وكان تيموتيس ، وهو من أكبر رجال المدينة سناً أولّ من أشار بإدخال الحصان داخل الأسوار ووضعه في القلعة . ولكن هل قام بهذه النصيحة وهو يضمر السوء في قلبه ، أم أرادته عليها الأرباب ؟ هذا ما لا يعلمه بشر . ولكن كافيس وسواه معه أجمعوا على وجوب اغراق الحصان في الماء ، أو احراقه بالنار أو أن يقوم الرجال بثقبه ، ورؤية ما قد يكون في جوفه . وانقسم القوم يجهر أحدهم برأي ويأخذ الآخر بسواه .

عندها تقدم الكاهن لاخاوون يصحبه جمع كبير وصرخ

قائلاً : « أي حمق هذا الذي فيه تختصمون ؟ أتظنون أن رجال الإغريق قد أبحروا حقاً ، أم تظنون أن هنالك أي نفع من عطاياهم ؟ لا ريب في ان هذا الحصان الجبار يحمل الرجال المسلحين في أحشائه . بل لعلهم صنعوه لكي ينظروا منه الى أسوارنا من عل . فلا تمسّوه لأنني أخشى هؤلاء الإغريق ، ولو حملوا الينا العطاء بأيديهم » .

قال هذا ، ورمى الحصان برمحه العظيم فرنّ رجع الصوت ، ولكن مشيئة الأرباب لم تقض بنجاة طروادة .

وقدم في هذا الحين بعض الرُّعاة يجرّون معهم رجلاً أوثقت يداه خلف ظهره . وقالوا انه أتى إليهم في الحقل من تلقاء نفسه ، وقد تجمّع الفتيان من حوله يهزأون منه، ولكنه صرخ بصوت عال ، يقول : « أي مكان بقي لي ، فقد حرّم عليّ الاغريق الحياة وها رجال طروادة يطلبون الانتقام مني » . فرفقوا به وطلبوا اليه الافضاء بما عنده ، وباسم المكان الذي جاء منه .

فالتفت الرجل الى الملك فريام ، وقال : « سأقول الصدق مهما نالني من جرّائه . إن اسمي سينون ، ولا أنكر أنني أحد الإغريق . ولعلّه بلغكم خبر فلاميذ الذي فتك به الإغريق ، ولكنهم يبكونه الآن بعد أن قضى نحبه .

وكان نصحه لهم بالسّلم سبب هلاكه ، فقد اتهموه بالخيانة باطلاً .

وأنا أحد أنسباء فلاميذ هذا ، وقد صحبته إلى طروادة. ولما مات بعد أن قضت عليه شهادة أوذيس الكاذبة ، نالني من ذلك أسى وغم عظيمان ، ولم أتمكّن من حفظ هدوئي، بل أقسمت لئن رجعت إلى أرغوس لأنتقمن من ذاك الذي كان سبب هلاكه . وتحيّن أوذيس الفرص لإيذائي ، فصار يهمس بأقـوال السوء عني ، لا تأخذه في ذلك هوادة ، حتى أتى كلخاس العرّاف لمعونته . ولكن ماذا تنفعني هذه الأقوال التي أدلي بها إليكم ؟ إذ لا شك في انكم تنظرون إلى كل إغريقي نظرتكم إلى أيّ سواه . فاقتلوني اذن ، ولا ريب في أنكم بعملكم هذا ستسدون لأوذيس وابنَي اتريد منة وفضلاً ... »

فطلبوا اليه أن يتابع قصته فقال : « لطالما ودّ الإغريق الهرب إلى أوطانهم بعد أن أنهكتهم الحرب ، ولكن البحر الصاخب كان لا يفتأ يعيقهم . ولما تم صنع هذا الحصان الذي ترون أمامكم ، ثارت العاصفة المريعة تقلّبه من أقصى الأرض إلى أقصاها ، فأرسل الإغريق من يستوضح أفلون الأمر فأجابهم بما يلي : « يا رجال الإغريق . لقد هدّأتم

ثورة الرياح بالدماء حين قدومكم الى طروادة ، فعليكم أن تسكّنوها الآن بالدماء وأنتم تبغون الرحيل عنها ». فارتجف الرجال رعباً ، وهم يفكرون بمن سيحقّ عليه الهلاك . فأثار أوذيس صخباً عظيماً وهو يحضر كلخاس العراف الى وسطهم ، ويطلب اليه أن يخبرهم باسم ذاك الذي ترضاه الأرباب للتضحية .

وقد حرّم الكثيرون إيذائي . أما العرّاف فلزم الصمت عشرة أيام قائلاً إنه لن يقدّم أي رجل للتضحية . ثم تكلم مشيراً إليّ بحكم الموت بعد ان اتفق الاثنان ، ووافق الجميع على ذلك ، وكلهم مغتبط بأن الأمر الذي كان يخشاه قد تحوّل عنه إلى سواه . ولما حان اليوم ، وتم إعداد الأمور من طعام مملّح للتضحية ، وأكاليل معقودة، عندها قطعت وثاقي وأركنت الى الفرار ، واختبأت في حلفاء إحدى البحيرات أنتظر ابحارهم ، إذا كانوا حقاً فاعلين . ولكنني لن ارى الوطن والأب والأولاد من بعد . إذ لا شك في أنهم سينتقمون منهم لهربي . فأشفق عليّ أيها الملك لكثرة ما عانيت من الآلام دون أن أوذي أحداً».

فأخذت الملك فريام الشفقة عليه ، وطلب إلى الرجال حلّ وثاقه قائلاً : « انس الآن بلدك أياً كنت ، فأنت

هنا واحد منا ، ولكن أصدقني القول : لم صنعوا هـذا الحصان الضخم ؟ ومـن ابتدعه ومـاذا يبغون منه ؟ هل يسعون الى مرضاة الأرباب أم إلى إطالة مدة الحصار؟ »

فقال سينون باسطاً يديه نحو السماء : « أيتهـا النيران الدائمـة في العلى ! إنني أناديك لتشهدي بأنني أحنث الآن في قسم الولاء ، وأكشف عن أسرار قومي وانا على حق فيما أفعل . فأصغ اذن أيها الملك . إن آمالنا كانت معلقة على عون مينرفا ولكنها أشاحت بوجهها عنا منذ اليوم الذي جرؤ فيه ذيوميد وأوذيس على نزع تمثالها من مكانه المقدس في طروادة ، وأيديهما ملوثة بالدماء . وإنني لأذكر جيداً كيف التمعت عينا التمثال بالغضب قبيل وضعه في المعسكر، وكيف تجمد العرق المالح على أطرافه ، أجل ، بل إنني لأذكر كيف وثب التمثال عن الأرض ثلاثاً ، فهز الدروع والرماح . وانبأنا كلخاس عند ذاك بأننـا يجب ان نرجع إلى اجتياز البحار لكي نعود من بلادنا برموز يمن جديدة لحربنا . وهذا ما يفعلونه الآن حقاً وهم بعد قليل عائدون . وقال العراف أيضاً . ويجب في أثناء ذلك ان تصنعوا شبه حصان تجعلون منـه تقدمة سلام إلى مينرفا ، وعليكم ان تراعوا في صنعه ضخامة الحجم لكي لا يقدر رجال طروادة

عـلى أخذه داخل أبوابهم ، أو إدخاله ضمن أسوارهم فيكون لهم حامياً ونجياً . وأردف قائلاً : وان الهلاك المحقق سينزل برجال طروادة إذا ما مُسّ منهم بأذى . اما إذا ما اخذوه داخل مدينتهم فإن اسيا ستطوق مدينة فيلوبس بعد ذلك بالحصار ، وسيلقى أبناؤنـا الهلاك الذي املنـاه لطروادة » .

وعملت هذه الكلمات عملها في رجال طروادة ، وبينما كانوا يتدبرون أمرها ، أرسلت اليهم الأرباب معجزة ثانية لخداعهم . إذ بينما كان لاقاوون كـاهن نبتون يذبح ثوراً عند هيكل إلهه ، قدم ثعبانان يجوزان البحر من تندوس، وقد غطت رأسيهما وعنقيهما لبدات كثيفة من الشعر ، وهما يعلوان الأمواج ، ويسحبان وراءهما حلقات متعاقدة عديدة من المياه . ولما بلغا اليابسة أسرعا قدماً . وكانت عيونهما حمراء كالدم ترسل شرراً كالنيران . كما أرسل لساناهمـا المتشعبان فحيحاً عالياً هياجاً منهما واحتداماً . فعلت الصفرة وجوه الطرواديين رعباً ، وفروا من أمامهما هاربين ، ولكن الثعبانين لم يتجها يمنة ولا يسرة ، بل قصدا لاقاوون حيث أقام . والتف كل منهما حول أحد ولديه الصغيرين وأخذا يلتهمانهما . ولما كان الأب يحاول معونـة ولديه ، مشرعاً سيفه ، كانا يقبضان عليه ويوثقانه إيثاقـاً محكماً بالتفافهما

حوله . وقد طوقا جسده مرتين ، كما طوقا عنقه وهمـا يرفعان رأسيهما عالياً من فوقه . ولكنه كان يجهد كل هذه الأثناء ، محاولاً تمزيقهما بيديـه ، وقد قطرت الدماء من اكاليله الكهنوتية ، ولم ينفك عن الصراخ بصوت عـال مروّع كأنه جُؤار ثور هرب مـن المذبح بعد أن أصيب بضربة فأس خاطئة .

اما الثعبانان فقد انسلا بعد ان أتما عملهما إلى قلعة مينرفا واختبأا تحت رجلي الإلهَة ودرعها . فقال الرجال أحدهم للآخر : « ها كم الكاهن لاقاوون ! حكم عليـه بأعماله ، فقد رمى هذا الشيء المقدس برمحه ، فعاقبته الأرباب على ذلك بالهلاك » . عندها صاحوا جميعاً بوجوب جر الحصان الخشبي إلى القلعة . ففتحوا باب اسكية ، وهدموا الجدار القائم هناك ، ووضعوا تحت قوائم الحصان عجلات ربطوها بحبال . واحتفلوا بإدخاله المدينة فرحين مرحين ، يرافقه الفتيـان والفتيات بأهازيجهم ، تأخذهم نشوة من السرور وهم يضعون أيديهم عـلى الحبال . ومع ذلك فإن نذر الشر وعلامات السوء لازمَت عملهم ، فقـد توقف عند عتبة الباب أربع مرات ، وكان بمقدور الرجال ان يسمعوا صليل السلاح في داخله . وفتحت كساندرا فمهـا تنذرهم بالشر : ولكن لم يصغ اليها منهم رجل . وقد قدِّر لهـا

منذ الأزل بـأن تكون قسمتها أن لا يؤمن بكلامهـا إذا نطقت صدقـاً . وهكذا جر رجـال طروادة الحصان إلى المدينـة . وأقاموا تلك الليلة احتفالاً للأرباب جميعـاً ، يحدوهم ابتهاج عظيم ومسرة بالغة ، غير عالمين بأن آخر أيام المدينة العظيمة قد حان .

٢

نهب طروادة

بعد أن أرخى الليل سدوله ، واستسلم الطرواديون إلى النوم ، سطعت من سفينة الملك أغاممنون شعلة كانت فيها للاغريق إشارة . فجهّز هـؤلاء سفنهم فوراً ، وقطعوا البحر من تندوس ، يحفّهم منه هدوء شامل ، كما أرسل عليهم القمر نوراً . أما سينون فقد فتح من الحصان العظيم باباً سرياً ، خرج منه الزعماء وفتحوا أبواب المدينة ، وفتكوا بأولئك القائمين على الحراسة .

ورأى انياس في هذه الاثناء رؤيا . وكان انياس هذا معقد أمل الطرواديين – بعد موت هكطور – وسندهم المكين. فقد خُيّل اليه أنه يرى هكطور بالذات . ولكنه لم يكن هكطور الراجع من المعركة بأسلحة أخيل يحدوه الفرح ،

ولا ذاك المشعِل النيران بالسفن . ولكنه كان كما جعله أخيل مربوطاً إلى عجلات مركبة تجرجره وراءها وقد لفع بالغبار والدماء . وتورّمت رجلاه اللتان اخترقتهما السيور . فقال له انياس وهو لا يعلم ما يقول : « لمَ تأخرت طويلاً وقد مضّنا الألم ونحن بانتظارك ! وأي عناء هذا الذي ترك آثاره على وجهك ؟ وأنّى لك هذه الجروح ؟ » ولم تجب الروح على شيء من هذا ، بل قالت وهي تئن : « اهرب يا ابن فينوس اهرب ، وقِ نفسك هذه النيران الملتهبة . فإن العدو على الأسوار ، وقد بادت طروادة عن آخرها ، ولو كان بمقدور يد ان تُمَدّ إلى إنقاذ مدينتنا ، لقامت هذه اليد بذلك ، وأنت الآنَ أمل طروادة ، فخذ أربابها واهرب بهم يرافقونك . واقصد المدينة التي ستبنيها يومـاً عبر البحر » .

واقترب نذير المعركة الآن ، ثم اقترب ، حتى استيقظ انياس من نومه ، فتسلّق سطح المنزل مشرفاً على المدينة .

وكما يقف الراعي مشدوهـاً أمام منظر اللهب الملتهم يجتاح حقول الحنطة ، وتدفعه ريح الجنوب ، أو أمام منظر السيل المنهمر من أعالي الجبال ، هكذا وقف انياس لا يريم. ورأى فيما رأى قصر ذيفوب العظيم تبتلعه النيران ، ومنزل اوكالجون الذي يحاذيه يشتعل حتى ليكشف ضياؤه عن البحر

قرب سيجوم ، فتقلد سلاحه ، وهو يكاد لا يعلم بغيته من ذلك ، حاسباً أنه قد يربح مع ذلك مكاناً ذا ميزة ، أو قد ينتقم لنفسه من العدو على الأقل ، أو قد ينال في موته شرفاً . ولكنه لم يكد يخرج من منزله حتى لاقاه فنثوس كاهن افلّون الذي كان في القلعة ، فناداه قائلاً : « لقد بارح المجد طروادة يا انياس ، وتسلّط الإغريق على المدينة ، وخرج من الحصان الخشبي العظيم رجال مسلحون، كما تدفق الألوف من الأبواب التي فتحها سينون خيانة وغدراً » . وحضر في أثناء كلامه آخرون يهتدون بنور القمر مثل هيفانيس وذيماس والفتى كوروبس ، الذي جاء طروادة منذ زمن قصير يطلب كسندرا زوجة له ، فخاطبه انياس قائلاً : « إذا كنت ترغب أن تتبعني إلى الموت يا أخي فتقدم . وأنت تشاهد مسير الأمور هذه الليلة . فإن الأرباب الذين كانوا حماة المدينة قد بارحوها ، ولم يبق لنا شيء نعتمد عليه في إنقاذنا . ومع ذلك فإن بمقدورنا أن نموت كما يموت الأبطال في المعركة . وما أسعد ذاك الذي يعتقد أن حياته قد قضي عليها ، وهو يتمكن مع ذلك من إنقاذها » .

وراحوا يخترقون المدينة ، ويقومون بأعمال فظيعة شأنهم في ذلك شأن الذئاب المفترسة تسرع في وسط الضباب تطلب

صيداً . وقد هرب أمامهم رجال الإغريق بادىء الأمر .

وكان اندروغوس أول من لقيهم يتبعه جمع عظيم من رفاقه . فخاطبهم وهو يظنهم من صحبه قائلاً : « أسرعوا أيها الرفاق وعلام إبطاؤكم ، إننا نسلب مدينة طروادة هذه ، ولم يمض على مجيئكم من السفن إلا زمن يسير » . ولكنه حينما لم يتلق منهم ما كان ينتظره من جواب ، أدرك فوراً أنه واقع بين أعداء . عمد إلى الهرب كما يعمد رجل وطىء بين الأشواك حية على حين غرة ، فثار ثائرها واندفعت نحوه بعنق ممدود . ولكن رجال طروادة هاجموهم ، وبما أنهم كانوا على علم تام بكل مكان ، وبما أن رجال الإغريق نالهم جزع عظيم ، فقد فتكوا منهم بالكثيرين ، فقال كوروبس : « إن الحظ السعيد يحالفنا في هذا الأمر أيها الرفاق ، فتعالوا الآن نبدل تروسنا ، ونرتدي أسلحة هؤلاء الإغريق ، ومن ذا الذي سيناقشنا الحساب إذا سلكنا مع أعدائنا سبيل المكر أو سبيل القوة ؟ » ثم أخذ لنفسه خوذة اندروغوس ، وارتدى سيفه ، وهكذا فعل الباقون ، وذهبوا بين الإغريق متنكرين، وفتكوا بالكثيرين منهم ، حتى هرب بعضهم إلى السفن ، واكتفى البعض الآخر بتسلق الحصان الخشبي . ولكن ويا للهول ! ها إن رجالاً يفدون من هيكل ميترفا وهم

يجرّون العذراء كسندرا من شعرها . ولما أبصرها كوروبس وهي ترفع عينيها نحو السّماء (لأن يديها كانتا مغلولتين بالحديد) ، لم يطق على هذا المشهد صبراً ، فرمى بنفسه على هؤلاء الذين يجرّونها وتبعه الباقون . ولحقهم من ذلك ضرّ جسيم لأن رجال طروادة الواقفين على سطح الهيكل شاهدوهم فحسبوهم من الأعداء ، فأطبقوا عليهم بنبالهم . كما غاظ الإغريق أخذ العذراء من أيديهم ، فقاتلوا بقوة، ورجع لقتالهم الكثيرون من الذين اضطروا إلى اللجوء للمدينة . فتمكنوا من غلبتهم حقاً ، لأنهم كثرة أمام قِلّة. وكان كوروبس أول من صُرع بيد فنلوس البيوتيني ؛ ثم صُرع ريفوس أبرّ أبناء طروادة ، ولكن الأرباب لم تجزه حسب عمله . وفتك بهيفايس وذيماس ، أما فنوس فنجا ، ولم يكن ذلك لأنه كان يخشى الأرباب أكثر من سواه ، أو لأنه كان كاهن أفلون .

وهكذا فُصل انياس عن رفاقه ، ولم يبق معه منهم إلا اثنان هما افيتوس وفيلياس ، وكان الأول شيخاً هرماً . أما الثاني فجرحه أوذيس جرحاً بليغاً ، وقد هرع هذان إلى قصر الملك فريام لسماعها صراخاً عظيماً يصدر عنه ، وقد احتدمت فيه معركة حامية فاقت كل مكان سواه . فقد كان هناك بعض الإغريق يعمدون إلى تسلق الجدران،

وقد ألقوا عليها المراقي يقفون عليها ، ويحملون أمامهم الترس في أيديهم اليسرى ، ويتشبثون بالسقوف في أيديهم اليمنى .

وكان رجال طروادة من جهة ثانية يقفون في أقصى المكان يدكون الشرفات والدعائم المموهة بالذهب ، التي قام بتزيينها رجال الأيام السالفة . وكان انياس يعرف باباً سرياً كانت تستعمله اندروماخ التعسة ، عندما كانت تأخذ ولدها ايتيناس إلى جده في ما مضى من الأيام ، فنفذ منه صاعداً إلى السطح ، منضماً إلى المقاتلين هناك . وكان فوق السطح برج تُرى منه طروادة جميعها ، كما يُرى معسكر الإغريق والسفن فعمد اليه الطرواديون يقتلعون أسسه بقضبان حديدية ويقذفون بها ، فتقع على الأعداء ، ويُقضى على الكثيرين منهم . هذا كله لم يمنع هؤلاء من التقدم ، وهم يرشقون بالنبال وبالحجارة وبكل ما وصلت اليه أيديهم .

وكان بعضهم يسعى في هذه الأثناء إلى دك الأبواب ، يتقدم الجميع فيروس بن أخيل لابساً لأمة وضاءة من البرونز ، وهو في ذلك يشبه الأفعى التي تنام شتاء، ولكنها إذا ما أتى الربيع خرجت إلى الضياء ، وقد نالت قسطها من الغذاء بالحشائش الضارة . وخلعت عنها جلدها وتجدد

شبابهـا فرفعت رأسها إلى نور الشمس وفحت بلسانهـا المشقوق .

وصحب فيروس فريغاس الفـارع القدّ ، واطميذون حامل أسلحة أبيه أخيل ، يتبعهم فتيان سيروس مملكة جده ليقوميذ . فاخترق الأبواب ببلطة كبيرة محطماً أعمدة الباب المصفحة بالبرونز ، محدثاً فيهـا ثغرات واسعة تمكن الرائي مـن رؤية داخل القصر وبهو الملك فريام والملوك الذين حكموا طروادة قبله . ولما أبصر اولئك الذين كانوا داخلاً مـا حدث في الخارج ، ارتفع صياح النساء يندبن ويتعلقن بالأبواب يقبلنها . ولكن فيروس بقي على اندفاعه شرساً قوياً كما كان أبوه أخيل من قبلـه . ولم تقف في سبيله الأبواب ولا الحراس القائمون عليهـا . وكما يفيض النهر فيقتحم مـاؤه ضفتيه ويطفو عـلى السهول ، هكذا تدفق الإغريق يهاجمون القصر .

ولمـا رأى الملك الشيخ فريـام أن الأعداء أصبحوا في أبهائه ، ارتدى أسلحته التي كان قد وضعها جانبـاً لكبر سنه ، وحمل رمحـاً بيده ، وتوجه لملاقاة عدوه . ولكن الملكة ايقاب نادته من حيث اقامت . فقد لجأت مع بناتها إلى هيكل الأرباب في القصر ، وتجمعن من حوله كسرب من الحمام تطـارده العاصفة . وكان الهيكل قائماً في فنـاء

مكشوف يتوسط القصر ، وقد ظللته شجرة كبيرة من الغار . فلما رأت فريام يرتدي سلاحه كأنـه شاب يافع ، نادته قائلة : « ماذا دهاك حتى قمت تحمل نفسك هذه الأسلحة ؟ إن نجاتنا ليست بالسيف ، ولن ينفعنا حتى ولدي هكطور نفسه لو بُعث اليوم حياً . ولكن الأرباب وهياكلهم هي ملاذنا ، فتعال إلينا تجد النجاة عندها ، وإذا مت فستموت معنا على الأقل » .

وهكـذا جعلت الشيخ يجلس في وسطهن ، ولكـن يا للفظاعة ! هاك فوليت ولده يهرع اليهم مخترقاً القصر ، ويأتيهم مثخناً بجراح مميتة ، لحقته من رمح فيروس، الذي ما زال يلاحقه حتى دنا منهم . ولما اصبح على مشهد من أمه وأبيه تهالك على الأرض وقد فارق الحياة . ولما رأى الملك فريام ذلك لم يتمالك نفسه ، فصرخ قائلاً : « فلتعاقبك الأرباب على ما اقترفت يداك إذا كان هنالك أيّ عدل في السماء . فانك لم تتورع عن قتل ولد أمام عيني أبيه . ان أخيل العظيم ، الذي تدعوه أباك افكـاً وبهتاناً ، لم يعامل فريام بهذا وهو له عدو لدود ، بل احترم الحق والصدق وأعطى جثة هكطور للدفن، وأرجعني إلى بلدي » . ورمى الشيخ وهو يتكلم رمحاً . ولكن دون هدف أو قوة . فلم يصب من الترس حتى ولا حدبتـه . فقال ابن أخيل :

« اذهب وأخبر أبي عن ولده الذي لا يليق به ، وعن هذه الأعمال الشريرة جميعها . ولتمت الآن لكي تخبره بهذا ! » قال هذا وهو يقبض بيده اليسرى على الرجل العجوز من شعره الأبيض ويجره فوق الدماء ، دماء ولده، نحو الهيكل ، وهناك رفع سيفه عالياً وأغمده في جنب الشيخ حتى غاص فيه إلى مقبضه . وهكذا ذُبح في تلك الليلة فريام الملك الذي بسط سلطانه الجبار على العدد العظيم من الشعوب والأوطان من أرض آسيا ، وقد رأى قبل هلاكه طروادة تحترق من حوله ، ورأى قلعته تندك إلى الحضيض . أما رمّته فقد طرحت إلى الثرى بلا رأس لها ولا اسمٍ تحمله .

٣

انياس وأنخيس

لقد رأى انياس هذا جميعه ، ولم يستطع أن يمد بمعونة يداً ، فهو واحد إزاء كثيرين . ولكنه لما رأى هذا الإثم ، وشاهد الشيخ مطروحاً أرضاً فكّر في أبيه انجيس وزوجه كروسا وولده الصغير اسكانيوس ، وكيف تركهم في منزله لا حامي لهم . ولما عاد يبحث عنهم ، وقد حُوّل ظلام الليل بفعل النيران المشتعلة إلى ضياء النهار، لمح هيلانة تجلس في هيكل فستا تطلب عنده ملاذاً . فقد كانت تخشى رجال طروادة ، بعد أن جلبتْ لبلدهم الخراب والدمار ، كما تخشى زوجها الذي خدعته وخانته . ولما رآها اشتعل غيظه ، وخاطب نفسه قائلاً : « أترجع هذه المرأة الشريرة إلى إسبارطة آمنة سالمة ؟ أتعود إلى بيتها وأولادها وبصحبتها الطرواديات يقفن منها موقف

الوصيفات ؟ أتحرق طروادة ، ويذبح الملك فريام ولا ينالها ضر ولا أذى ؟ حقاً انني لن أصيب بالانتقام منها أي فخر ، ولكن نفسي سينالهـا بعض الرضى إذا ثأرت لأهلي وبني قومي » . وبينما كان يهجس بهذا في قرارة نفسه ، ظهرت له فينس أمه بمظهر لم يرها عليه من قبل . فقد كـانت بارعة الجمال فارعة القوام كما يراها سكان السماء . فخاطبته قائلة : « ما معنى كل هذا الحنق يا بنيّ ألا تأبه بي ؟ هل نسيت أباك أنخيس ؟ ونسيت امرأتك وولدك الصغير؟ لا ريب في أن النار والسيف كانا يلتهمانهم منذ زمن طويل، لو لم أهتم بأمرهم وأنقذ حياتهم ، وليست هيلانة ولا فاريس سبب خراب هذه المدينة العظيمة ، بل هو غضب الأرباب. وسأزيل الآن الغشاوة التي تظلل عينيك فانظر جلياً . أنظر نبتون يدكّ الأسوار برمحه المتشعب ، ويقتلع المدينة مـن أسسها ، وانظر الى جينو تقف برمحها وصحبها على باب أسكية ، تدعو مـن السفن جيوشاً جديدة الى الدخول . وانظر إلى فالاس تطلّ من عل ، وهي محاطة بغيوم العاصفة مرتدية درعها الغورغوني . وهذا أبو الأرباب جوبيتر بعينه، يثير العدو ضد طروادة ، فبادر إلى الهرب إذن يا بني ، ولن أتركك حتى تبلغ منزل أبيك » . قالت هـذا وهي تتوارى في الظلام .

ورأى انياس أشباحاً فظيعة وأرباباً كانوا أعداء طروادة. ورأى المدينة جميعها تلتهمها النيران أمـام عينيه . وكانت أشبه بشجرة جبلية من السنديان تعتلي الأكمات ، وقد عدا عليها الحطّابون يكدحون بفؤوسهم ، فَحَنَتْ رأسها ، واهتزت أغصانها من حولها ، وتوالت عليها الضربات تترى حتى خرّت إلى الأرض حطاماً . وهي تجأر بدويّ عظيم. وتـابع انياس طريقه تقوده الإلهة ، وتضيء النيران سبيله دون أن تمسّه النبال بأذى .

ولكنه لما بلغ منزله ، وحدثته نفسه بأن يحمل أباه إلى الهضاب أولاً ، أبى أنخيس العيش في بلد غريب بعـد خراب طروادة . وقال : « بل اهرب أنت يا ولدي ، فأنت في عنفوان قوتك وزهرة أيامك . أما أنا فإذا شاءت الأرباب أن أعيش ، أنقذتْ هذا المسكن لأجلي . ويكفيني ألماً ، بل هو أكثر من الكفاية ، أن أشاهد سقوط هـذه المدينة ، وأبقى عـلى قيد الحياة . فودّعني إذن وداع الموت . هذا الموت الذي سأعرف كيف أجـده لنفسي ، وحقاً لقد تريثت هنا طويلاً ، وأنا كمية مهملة مكروهة من الأرباب ، بعد أن قصفني جوبيتر بصواعقه الراعدة».

ولم تكن زحزحة الشيخ عن مقاصده بالإمكان ، وقـد تضرع إليه ولده وزوج ولده ، حتى الصغير اسكانيوس

وهم يذرفون الدموع ، ويسألونه أن لا يزيد في ثقل المصاب الملقى على عواتقهم . ثم إن انياس أراد الرجوع الى المعركة والموت هناك . إذ لم يبق لهم في الحياة أيّ أمل ، وقال لأبيــه : « هل تظنّنن يا أبي أنني ناجٍ بنفسي وتاركك ورائي ؟ أيّ كلمات ضر هذه التي تتساقط من بين شفتيك؟ وإذا سبقت إرادة الأرباب بأن لا يبقى من طروادة باق ، وكانت بغيتك الهلاك وأهلك مع المدينة ، فليكن ما تريد، وسبيل ذلك يسير ، فإنّ فيروس سيكون هنا بعــد قليل مخضّباً بدماء فريام . أجل فيروس الذي ذبح الولد أمــام عينيْ أبيه ، وذبح الوالد أمام المحراب . الأجل هــذا أنقذتني أيتها الأم العطوف ثنيس ، وأحضرتني الى هنــا بين السيف والنار ، لكي أرى العدو في بيتي وأرى أبي وزوجي وولدي الصغير ، وقــد نُحروا جميعاً وطرحوا أرضاً ؟ فإليّ يا صحاب وهاتوا سلاحي ، وأعيدوني إلى المعركة ، فسأموت على الأقل وأنا أطلب ثأراً » .

ولكنه بينما كان يرتدي أسلحته ، وهو يوشك أن يبرح البيت ، أمسكت زوجه كروسًا بقدميه على عتبة الباب ، ترجوه البقاء ، وقد حملت الصغير اسكانيوس ، وقالت : « إذا كنت ذاهباً الى الموت فخذ معك الزوج والولد ،

أما إذا كان لا أمل لك في السلاح ، فاحمِ منزلك أولاً ، حيث يقيم الأب والزوج والولد » .

ولكن ! بينما كانت تقول هــذا ، وقعت معجزة ، كانت إحــدى العبر ، فقد رُؤي نور يتألق فوق رأس الولد ، أمام وجه أمه وأبيه ، ويتراقص على شعره المتموّج موهجاً على صدغيه . ولما جزع والداه لرؤيه ذلك ، وسعيا لإخماد اللهب أو إطفائه بالماء ، رفع الشيخ انخيس عينيه إلى السماء ، وقد طرب طرباً عظيماً ، وصرخ قائلاً : « جوبيتر يا أبا الخلق . إذا كانت تثيرك الدعوات ، فامنحنا العون وحقق هذه البشرى » . ومرّ الرعد عن يساره ، وهــو لا يزال يتكلّم . كما أن نجماً مرق بين السماوات تاركــاً ذيلاً طويلاً من الضياء وراءه . واجتاز أعالي المنزل حتى اختفى في غابات ايدا . فنهض الشيخ ، وأظهر الخضوع للنجم ، وقال : « لن أعيقكم بعد الآن ، بل سأتبعكم الى حيث شئتم . ويا آلهــة موطني ! أنقذوا بيتي وحفيدي ، فهذه هي بشراكم. وهيا بنا الآن يا ولدي فإنني لن أرفض الذهاب » .

وكانت النيران تقترب ، والضياء يتضح للعيــان ،

والحرارة تشتد . فقال انياس : « تسلّق كتفي يا أبي ، ولن يَؤُودني حملك ، وسننجو أو نهلك معاً . وسيرافقني اسكانيوس الصغير ، تتبعنا امرأتي عن كثب . أما أنتم ، يا خدم منزلي ، فأصغوا إلي . تذكرون أن هنالك قبراً وهيكلاً لسيرس ، يقومان في مكان مهجور ، يراهما الخارج من المدينة ، وبقربهما شجرة قديمة من السّرو . وهنالك سنلتقي بعد أن نسلك مختلف السبل . وخذ يا أبي التماثيل المقدسة بيديك ؛ لأنني حضرت حديثاً من الميدان، ولا يمكنني لمسها بيدي ، قبل أن أغتسل بالماء الجاري » .

وألقى على كتفيه معطفاً من جلد أسد ، جلس عليه والده العجوز ، وأمسك اسكانيوس من يده ، تتبعهم كروسا. وهكذا مشى يأخذه الفزع ، ويملأه الرعب . فقد كان لا يعبأ برماح الأعداء وسيوفهم ، أما الآن فإنه يخشاها على الذين بصحبته ، ولكنه حينما اقترب من بوابة المدينة ، وكادت الرحلة تقترب من نهايتها ، أصابهم شرّ عظيم فقد سُمع صوت كأنه وقع أقدام كثيرة تسير في الظلام . فصاح الشيخ على ولده يقول : « الهرب يا بني الهرب ، فإنهم قادمون ، وإنني لأرى وميض التروس والسيوف » .

ولما جد انياس في سيره ، انفصلت عنه زوجه كروسا،

فهل ضلّت الطريق أو ان طول المسير قد اتعبها ، فجلست تستريح ، هذا ما لا يعلمه أحد . ولكنه يعلم انه لم يعد يراها . وانه لم يعلم بضياعها إلا حينما اجتمع الركب كله عند هيكل سيريس ، وكانت الوحيدة من بينهم ، التي افتقدوها فلم يجدوها . وقد آلمه الأمر فأمضّه . ولم يكفّ عن البكاء في حنقه على الأرباب والناس . ثم طلب إلى صحبه العناية بأمر أبيه وولده وأرباب بيته ، وعاد إلى ارتداء سلاحه ، ودخل المدينة . فقصد الأسوار أولاً ثم الباب الذي خرج منه ، فمنزله الذي تركه علّ امرأته تكون قد عادت اليه . ولكن الإغريق كانوا قد وصلوه ، والتهمته النيران على قرب منه . وذهب بعد ذلك إلى القلعة ثم إلى قصر الملك فريام . ويا لهول ما رأى ! هنالك عند طنف هيكل جينو ، وقف فونيكس وأوذيس حارسين على الأسلاب ، فهنالك كنوز الهياكل ، من مناضد الأرباب ، والكؤوس الذهبية الصلبة والحليّ والكساء . وهنالك صف طويل من الأسرى أولاداً ونساء . ولكنه لم يكفّ عن التفتيش عن زوجه في شوارع المدينة والنداء باسمها عالياً . وكان ينظر فيرى وهو ينادي صورة تلك التي يبحث عنها تقف أمامه ، ويخيل إليه أنها أكبر من عهده بها وهي على

قيد الحياة . وقد خاطبته الروح قائلة : « لم اضطرابك عبثاً ؟ إن هذه الأحداث لم تقع علينا بغير رضى الآلهة . فإن حاكم الأولمب لا يريد أن ترافقكم كروسا في رحلتك هذه . فأنت ستقوم برحلة طويلة ، وستجتاز بحاراً عدة ، حتى تأتي شاطىء هسبيريا ، حيث يجري نهر التيبر الليدي عذباً هادئاً ، في أرض طيبة خصبة . هنالك ستلقى نجاحاً عظيماً ، وتتخذ لك زوجاً من نسل ملكي . فلا تبك اذن كروسا التي تحب ، ولا تظنن أني سأحمل بعيداً ، أو ألاقي الأسر في خدمة امرأة اغريقية . فإن هذا المصير لا يليق بمن كانت لدردنوس ابنة ولفينوس كنّة . وإن أم الأرباب العظيمة لتحتفظ بي في هذه الأرض لخدمتها . فالوداع الآن ، وخص بحبك اسكانيوس الصغير ولدك وولدي » .

قالت الروح هذا ، ولما أراد انياس ان يُجيبها وهو ينتحب ، اختفت عن ناظره . وقد حاول ثلاثاً أن يطوق عنقها بذراعيه ، ولكن الصورة سخرت منه ثلاثاً ، فقد كانت لها رقة النسيم ، وسرعة الأحلام . ولما انقضى الليل طلب رفاقه ، واشتد به السرور والعجب عندما وجد هذا العدد العظيم من الرجال والنساء يتجمعون معاً ، وكلهم

على استعداد لمرافقته إلى حيث يشاء . وسطع الآن نجم الصباح فوق جبل ايدا ، ورأى انياس أن الإغريق يتملكون المدينة ، وأن لم يبق من أمل بخلاصها ، فاتخذ نحو الجبال سبيله ، يحمل معه أباه .

٤

فوليد وروس ـ دلوس ـ كريت

الهاربيون

قام انياس وصحبه ، الذين اجتمعوا لديـه ، بصنع السفن في هذا الوقت الذي تبقّى لهم مـن السنة ؛ لأنّ سقوط طروادة كان في وقت الصيف ، واتخذوا من سفح جبل ايذا لهـم سكناً . ولما قارب حلول الصيف الثاني ، كان عملهم قد انتهى ، ونصح لهم انخيس بأن لا يؤخروا سيرهم . فأبحروا يحملون أربابهم معهم .

وكانت هنالك بلاد تراقة ، التي خصها الإلـه مارس بحبه من دون الأرض جميعاً . حيث حكم في الأيام السالفة ليكرغوس الشرس الذي حاول قتل باخوس ، وكان أهلها

على شيء من الودّ ، أو أنهم على الأقل كانوا يظهرون ذلك قبـل البلاء الذي نزل بطروادة . وهنالك بنى انياس لنفسه بلداً دعاها باسمه . ولكن بعد مدّة ما ، حدث له يوماً حدث مريع ، وهو يقدم القرابين لأمه فينوس ، كي تبارك العمل الذي يقوم به ، كما نحر ثوراً أبيض للإله جوبيتر للغاية نفسها . وكان بقرب المكان الذي قدّم فيه القرابين أكمة صغيرة يعلوها الكثير من شجيرات الآس والكرز ،فأتاها انياس يبغي قطع بعض أغصانها المورقة ،ليُغطّي بها المذابح ، ولكنه لما جذب إليه غصناً منها قطرت منه قطرات من الدمـاء . فأخذته الرعدة ، وساوره العجب ، ثم رغب في معرفة السبب فجذب أغصاناً أخرى ، ولكن الدماء قطرت منها مثـل سابقاتها ، فتضرع الى حوريات الأرض والإله مارس بأن يحوّلا عنه كل شرّ ، وعمد الى التجربة مرة ثالثة ، وحبا على الأرض ، ثم جذب اليه غصناً بأقصى قدرته ، وهناك سمع من جانب الأكمة صوتاً مفجعاً يقول : « لمَ تقسو عليّ بهذا العنف يا انياس ، ولا تدعني آمناً في لحدي ؟ ولست عنك بغريب ، وهذه الدماء التي تراها تمتّ اليك من النسب بصلة . فاهرب اذن ، فإن الأرض هذه لا رحمة فيها ، والشاطىء شره طمّاع للكسب . وأنا فوليذروس . وهنا نفذت فيّ الرماح التي تحوّلت إلى هذه الأغصان التي ترى» .

واشتد بأنياس الرعب حينما سمع الصوت ، وذكر كيف ان الملك فريـام حينما خشي ان تدور الدائرة عليـه وعلى طروادة العظيمة ، أرسل بولده فوليذروس خفية ، ومعه الكثير من الذهب إلى فولمسدور ، ملك تراقة ، وكيف أن هذا فتك بالصبيّ حينما علم بسقوط طروادة ، وسلبه ما معه مـن الذهب . ولا ريب في أن حب الذهب هـو أصل الشرور جميعاً .

وقص انياس الخبر على أبيه والزعماء ، فأجمعوا رأيهم على براح هذه الأرض الآثمة . ولكنهم أقاموا قبل ذلك مأتماً عظيماً لفوليذروس ، فجمعوا أكمة عالية من التراب ، بنوا عليها مذبحاً للميت . وطوقوه بأكاليل كثيبـة الألوان مـن الصوف والسرو . ووقفت نساء طروادة من حولـه محلولات الشعور ، شأنهن في حالات التفجع والحداد .

وقدموا طاسات من الحليب الدافىء والدماء ، ثم وضعوا الروح في اللحد . وودعوها ثلاثاً بصوت عال .

ولما حانت ساعة الرحيل ، وهبت الريح الجنوبية رقيقة ، أقلعوا سفنهم ، ومخروا البحر . فأتوا أول ما أتوا جزيرة ذلوس ، التي اعتادت أن تتيه في البحر إلى أن ثبتها رب القوس الفضية ، فأوثقها الى ميكونوس وجياروس ، وجعل فيها مرفأ هادئاً . ولما نزلوا هناك للصلاة ، لقيهم انيوس

كاهن الأرض وحاكمها ، وعلى رأسه تاج من ورق الغار ، وكان يعرف انخيس في ما مضى من الأيام معرفة الصديق ، فاحتفى بمقدمهم وبـالغ في إكرامهم . ثم دعوا للإلـه قائلين : « نتوسل اليك يا إلهي أن تمنحنا موطناً نأوي اليه ، واسماً راسخاً عـلى الأرض ، وبلـداً نسكنه ، ويجد فيه الناجون من قبضة أخيل والإغريق طروادة ثانية ، واستجب يا رب هذا الرجاء ، واعطف قلوبنا نحو المعرفة » .

ومـا كاد انياس ينهي كلماته هـذه حتى اهتز المكان بالحال ، وارتجت أبواب الهيكل وأشجار الغار القريبة منه . ولما طُرحوا جميعهم أرضاً ، سمعوا صوتاً يقول : « إن الأرض الـتي حملتك أولاً يـا ابن دردنوس ستعود إلى استقبالك ، فاطلب اذن أمك القديمـة ، فهنالك سيكون لأولاد انياس الحكم على الأرض جميعها . أجل وسيحكم أولادهم وأولاد أولادهم مـن بعدهم إلى أجيال عدة » . وداخلهم سرور عظيم لسماعهم هاته الكلمات ، ولكنهم لم يدركوا تماماً إلى أي أرض يريدهم فوبوس ان يقصدوا ، لكي لا يظلوا عـلى طوافهم . ثم تدبـر انخيس في نفسه ما كان يتعلمه من رجال الأزمان السالفة ، فقال : « هنالك في وسط الاوقيانوس تقوم جزيرة تـدعى كريت ، حيث جبل ايذا ، وهنالك كان منشأ امتنـا . ومن هنالك قدم

طفقير أبونـا الأول إلى أرض طروادة . فلنذهب اذن إلى حيث تريد الآلهة إرسالنا ، ولنقدم الضحايا للرياح أولاً ، وإذا شاء جوبيتر عوننا ، فإننا لبالغوها بمراكبنا في ثلاثة أيام » .

وقدّموا الضحايا ثوراً لنبتون وآخر لأفلون الجميل ، وخروفاً أسود للعاصفة ، وأبيض للريح الغربية . وسمعوا هنالك شائعة تقول بأن إيذومين الكريتي هرب من مملكة أبيه ، وأن الأرض مهيأة لمن يأخذها . فأبحر رجال طروادة بقلوب مرحة . ومرّوا ما بين الجزر المسماة بالسيكلاد ، وقد هبت وراءهم ريح مؤاتية ، إلى أن بلغوا كريت . وهنالك بنوا مدينة دعوها فرغامة ، نسبة إلى فرغام قلعة طروادة . وحرثوا الأرض مدة ثم تزوجوا جاعلين من الزواج حجة لإقامتهم على هذه الأرض . ولكنْ أتى على الرجال مرض مهلك ، كما أتى على الأشجار والحصاد وباء، ملأ تلك السنة بالموت . ولفحت الحقول تيارات من الهواء. وباء محصول الدقيق بالخسران . فطلب اليهم أنخيس العجوز أن يذهبوا إلى كاهن ذلوس ، ويستنبئوا الإلـه عن نهاية هذه الأرزاء ، وعمّن يجب أن يقصدوا لطلب المعونة ، وعما إذا كان يجب ان يبرحوا هذا المكان ، وأين يجب أن تكون وجهتهم .

ونام انياس ، فظهرت له آلهة بيته ، التي حملها معه وأنقذها من حريق طروادة ، وكانت على غاية الوضوح في نور القمر الذي كان يضيء من نافذة غرفته ، فخاطبته قائلة : « لقد طلب إلينا أفلون أن ننبئك هنا ما كان سيخبرك به لو ذهبت إلى ذلوس . ونحن الذين تبعناك نجتاز معك البحار العديدة ، سنجلب لأولاد أولادك شرفاً عظيماً ، وسنجعل لمدينتهم سلطاناً على الكثير من الأمم . فلا تهن إذن في تجوالك الطويل ، إذ لا يزال عليك أن تبحث عن وطن آخر . فليست كريت هي البلد التي أشار عليكم افلون بسكناها . بل هنالك أرض يدعوها الإغريق هسبيريا ، وهي أرض قديمة ، سكانها ذوو بأس وقوةٍ ، أرض تنبت الكرمة والحنطة . هنالك موطننا الحق ، ومن هناك قدم أبونا دردانوس . فأخبر العجوز انخيس بذلك، واقصدوا إلى أرض هسبيريا التي يدعوها الناس ايطاليا . أما كريت فليست ارادة جوبيتر بأن تقيموا فيها » .

وبقي انياس مضطجعاً يعروه الفزع الشديد ، ويعلوه العرق البارد . وكان ما رأى على غاية الوضوح حتى انه لم يكن يشبه الأحلام في شيء . فانتصب من فراشه قائماً، وبعد الصلاة والتضحية أخبر انخيس بما رأى .

ورأى العجوز بأنه خُدع في هذا الأمر ، فقال :

« إنني أذكر الآن يا ولدي ما كانت كسندرا ترغب في إنبائي به ، وكانت تتكلم عن هسبيريا وعن أرض إيطاليا . ولكن لم يكن من رجل في تلك الأيام يظن بأن رجال طروادة سيسافرون إلى هسبيريا ولم يأبه أحد لكلمات كسّندرا . أما الآن فلنحذر عرّاف افلون ، ولنبرح المكان » . وهكذا هيأ رجال طروادة سفنهم ، وأبحروا عليها . وبعد برهة ما ، حينما لم يعد بإمكانهم رؤية اليابسة ، هبت عليهم عاصفة عظيمة بريح عاتية ، وكانت الأمواج تلتف عالية والبرق يسطع بشدة . فحولوا عن مقصدهم السوي ، وظلوا ثلاثة أيام بلياليها ، لا يرون شمساً ولا نجوماً ، ولكنهم بلغوا في اليوم الرابع أرضاً شاهدوا هضابها ، ورأوا الدخان يتصاعد منها ، فكدح الرجال على مجاذيفهم مسرعين حتى أتوا الشاطىء . فوجدوا أن هذا المكان هو إحدى الجزر التي يدعوها الناس ستروفاد . ويسكن هذه الجزر مخلوقات تدعى الهاربية ، وهم قوم ذوو شر لهم ملامح النساء ، وأجنحة الطيور ، ولهم إلى ذلك مخالب طويلة . وقد اصفرت وجوههم فأصبحت كوجوه المتضورين جوعاً .

ولما أتى رجال طروادة هذه الأرض ، رأوا الكثير من من قطعان الثيران ، وأسراب الماعز وليس هنالك من يرعاها.

فذبحوا منها ما شاءت حاجتهم ، ولم يغفلوا عن نصيب الأرباب يتقرّبون بها اليها ، وأقاموا على شاطىء البحر يحتفلون . ولكنْ حدث ما لم يكن بحسبانهم ؛ إذ بينما كانوا في مرحهم لاهين ، أطبقَتْ عليهم أجنحة عظيمة، وأتاهم الهاربيون يغزون الطعام غزواً فظيعاً ، ويلطخون كل ما وقعت عليه أيديهم . ولما ذهبوا ، قصد الطرواديون مكاناً آخر ، يقدمون فيه ضحاياهم ، ويتناولون طعامهم بأمان . ولكن الهاربيين لحقوا بهم ، وفعلوا ما فعلوه سابقاً، مما حدا بأنياس أن يأمر رجاله بسل سيوفهم ومحاربة هؤلاء الوحوش .

ولما عاود الهاربيون الكرّة ، نفخ ميزانوس نفيره ، معلناً بدء القتال ، ويا لهول هذا القتال ! لقد حاربوا وكأنهم يضربون في الهواء ، فقد وجدوا أنه لا الرمح ولا السيف قادران على أن ينالا من هؤلاء الوحوش ، الذين عادوا أدراجهم ، ولم يتخلف منهم إلا واحدة تدعى سيلانو ، خاطبتهم وهي تجلس على إحدى الصخور بما معناه : « هل تقصدون يا أبناء لاوميذون إلى القتال في سبيل هذه القطعان التي استوليتم عليها جوراً وظلماً ، أم تبغون إجلاء الهاربيين عن مملكتهم ، وسلبهم ميراثهم ؟ اسمعوا إذن كلماتي التي ألقاها الإله ذو البأس القوي العظيم

على فوبوس ، وبلّغني هذا إياها . سافروا إلى ايطاليا ، والى ايطاليا ستقدمون ، ولكنكم لن تبنوا مدينة ، ولن تقيموا حولها الأسوار إلا بعد أن يجتاحكم جوع فظيعٌ يلجئكم إلى أكل الموائد عينها ، التي تتناولون طعامكم عليها الآن ».

قالت هذا وبرحت المكان ، وقد تملّك الجميع رعب عظيم ، فرفع أنخيس يديه إلى السماء ودعا الآلهة بأن تدرأ عنهم هذا البلاء .

٥

الملك هيلانس ـ السيكلوبيون

ثم أبحروا تهبّ عليهم الريح الجنوبية ، فمروا قرب زاسينتوس ودولخيوم ، كما مروا بإيثاكة التي لعنوها وهم يمرّون بها ، فهي أرض أوذيس الذي يكرهون . وهكذا وصلوا أكتيوم فنزلوها . وهنالك قدّموا الضحايا للأرباب، وأقاموا مباريات المصارعة وغيرها احتفاء بنجاتهم بعد مرورهم بالكثير من مدن أعدائهم . وأقاموا حتى نهاية فصل الشتاء . وقد ثبّت انياس على أبواب هيكل أفلون درعاً من البرونز ، ربحه في المعركة من البطل اياس ، وكتب فوقه هذه الكلمات : « إن انياس يُوقِفُ هذه الأسلحة التي ربحها من الإغريق الظافرين على هذا الهيكل ».

ولما جاء الربيع ، أبحروا تاركين وراءهم أرض فياسيا.

واتوا بتروتوم الكائنة في أفيروس . وهنالك سمعوا أمـــراً عجيباً . سمعوا ان هيلانس ابن فريام يملك هذه الأرجـــاء وهو يقيم في غرفة فيروس بن أخيل ، وقد اتخذ اندروماخ أرملة هكطور له زوجاً . وشاء انياس أن يعلم مبلغ الخبر من الصحة فاتجه نحو المدينة ، وهنالك نظر ، فرأى كهفاً قريباً منه وعلى مقربة من نهر يدعى سيمويس ، أندروماخ نفسها ، وقد وقفت هناك تقدّم العطـــاء لروح هكطور وتذرف الدمع السخيّ . ولما رأت أنياس وهـــو يرتدي الأسلحة التي اعتاد الطرواديون ارتداءها ُغشي عليها رعباً . ولكنها تكلمت بعد برهة ، وقالت : « هل ما أراه حقيقة ماثلة ؟ وهل أنت حي حقاً ؟ وإذا كنت ميتاً فقـــل لي أين هكطور زوجي ؟ » صرخت بهذا وقد علا صوتهـــا بالنحيب . فأجابها انياس : « أجل يا سيدتي إن ما ترين أمامك هو شحم ودم وليس روحاً . أما أنت فأي مصير كان نصيبك ؟ ألا تزالين زوجة لفيروس ؟ »

فأطرقَتْ بعينيها ، وأجابت : « لقد كنت يا ابنـــة فريام أسعد أخواتك حظاً ، فقد ذبحت عند قبر أخيل ، ولم تبركي لرحمة المنتصر ! أما أنا فقد حملت عبر البحر ، لأكون أسيرة لابن أخيل المتغطرس . ولما تزوج من هرميونة ابنة هيلانة أعطاني إلى هيلانس ، كما تعطى عبدة ذليلـــة

لعبد ذليل ، ولكن أورست فتك بفيروس ، وأخذه على غرّة عند مذبح أبيه . ولمـــا مات عاد نصف ملكه إلى هيلانس ، الذي سمّاه خاوونيا ، نسبة الى خاوون الطروادي. كما بنى قلعة فوق الهضاب كانت فرغاما الجديدة . ولكن قل لي هل دفعتك إلى هنا عاصفة ؟ أم رماك الحظ ؟ أم هي إحدى رسالات الأرباب ؟ وهل مـــا زال أسكانيوس حياً .. ذلك الصبيّ الذي لا تزال ذكراه ماثلة أمامي ، ألا يزال يذكر أُمه المائتة ؟ وهل هو قويُّ البنية جريء القلب كما يليق بمن كان انياس أباه ، وهكطور خاله ؟ »

وقدم هيلانس من المدينة في أثناء الخطاب ، ومعه جمع كبير ، ورحّب بأصدقائه فرحاً بلقائهم . ورأى انياس أن الأمور قد سيّرت ودعيت كما كانت في طروادة . ولكنها كانت عظيمة في طروادة ، وهي ضئيلة هنا . وبعد ذلك أقام لهم الملك هيلانس وليمة في بيته ، فشربوا معاً وأقاموا يمرحون .

ولكن انياس رأى بعد بضعة أيـــام أن الريح تؤاتيهم فكلّم هيلانس ، وهو يعلم أنه نبيّ الأرباب ، وقـــال : « هيا خبّرني الآن ، وأنت الحكيم العالم بكل أنواع العرافة والتنبؤ ، كيف ستسير معنا الأمور ؟ يخيل إليّ أنهـــا في خيرنا إلى الآن ، ومع ذلك فإننا لا نذهب في سفرنا هذا

ضد إرادة الأرباب . ولكن سلينو الهاربية تنبأت لنا سراً، وقالت إننا سنلاقي جوعاً مهلكاً . فقل لي الآن أي الأمور أولى بالتجنّب ، وأيها أحق بالنجاح » .

وبعد ان قدم هيلانس التضحية اللائقة ، سار بأنياس إلى هيكل فوبوس . ولما بلغا المكان ، ونفخ الإله في روع العرّاف هيلانس روح التنبؤ ، تكلم قائلاً : « من الجليّ يا ابن فينوس انك لم تقم بهذه الرحلة عبر البحر إلا برضى الآلهة . فأصغِ إليّ الآن ، أخبرك بعض الأمور ، وليست هي إلا قليل مــن كثير علّها تعينك في اجتيازك البحر المجهول آمناً وبلوغك نعيمك في ايطاليا . حقاً إنّ الأقدار لتحول بيني وبين المعرفة ، كما ان جينو تحرّم عليّ الإفضاء بكل ما أعرف . واعــلم قبل كل شيء بأن ايطاليا التي تحسبها ، جهلاً منك ، قريبة المنال ، لا تزال بعيدة جداً، ولا تزال وراء بحــار كثيرة . ولتكن الاشارة لك ببلوغ الذي تقصد هي رؤيتك عنده خنزيرة بيضاء ، حول أثدائها ثلاثون خنزيراً : هنالك سيكون مكــان بلدتك العتيدة . أما التهامك المائدة جوعاً ، فلا تكترث به ؛ لأن أفلون سيكون في عـونك عند الحاجة . ولكنْ لا تجعل اختيارك يقع على الشاطىء القريب من ايطاليا ، فهناك يسكن اللّعناء من أبناء الإغريق . وحينما تجتازه آتياً أرض صقلية ، وترى

مضيق فيلوروس أمامـك ، فامض يساراً ، وتجنّب السير الى اليمين . فهنالك انشقّت الأرض إلى نصفين منذ الأيام السالفة ؛ لأن مياه البحر فاضت قديماً بين البلاد والحقول، التي كانت متصلة معاً ، وعلى يمين القاصد سيلاّ وعن يساره خاربديس الدوامة . ولكن سيلاّ تسكن كهفها،وهي وحش جبّار ، مريع المنظر في هيئة امرأة حسناء الى وسطها ، أما قسمها الأسفل فوحش بحر ، لـه بطن دلفين ذي رؤوس كرؤوس الذئاب ، فالأفضل لك أن تدور حـــول أرض صقلية جميعها ، من أن تقترب من هذه الأشياء ، أو أن تراها بعينيك . واذكر أن تعبد جينو قبل كل الآلهــة في كل زمان وكل مكان ؛ فلعلك مستطيع إقناعها ، ومــن ثم تبلغ أرض ايطاليا آمناً . وإذا ما بلغت هنالك ، فاقصد الى سيبيل المقيمة في كومي ، وهي العرّافة المجنونة ، التي تكتب المصير المقدور على أوراق الشجر . وتبقى هــذه الأوراق في أماكنها إلى أن يفتح الباب فتذروها الريح هنا وهناك . وإذا ما بُدّدت ، فلا تأبه لجمعها ، ولذا يرجع سائلوها دون أن يحظوا منها بجواب . فلا ترفض التريُّث قليلاً في سبيل نيل نصحها ، ولو خُيِّل إليك أن الأسباب قد توفّرت لنجاح رحلتك ، أو لو تذمّر الرفاق لهــذا التأخير ؛ لأنهـا ستخبرك بكل ما سيقع لك في ايطاليا —

ستخبرك أين وفي أي نضال ستشتبك ، وعلى أي خطر يجب ان تصبر وأياً تتقي . هذا فقط ما يباح لي أن أُفضي به اليك دون زيادة . فابرح اذن ، ومجّد وطننا طروادة ، ولو كان ذلك في السماء » .

ولما أتمّ الكاهن كلماته هذه ، أمر قومه بحمل الهدايا إلى السفن : وكانت من الذهب والعاج المزين بالنقوش والكثير من الفضة ، والمراجل المصنوعة في ذوذونا ، ودرعاً من الزرد المصفح ، وخوذة ذات ريش جميل كان يرتديها فيروس ، وأعطى انخيس العجوز بعض الهدايا . كما قدم لهم خيولاً ورجالاً يهدونهم في رحلتهم سواء السبيل ، وحبال جذب للسفن ، وأسلحة لجميع رجال القافلة ، ثم حيا انخيس العجوز مودّعاً . وحضرت أندروماخ تحمل أردية مطرزة ، ومعطفاً فريجياً خصت به اسكانيوس ، كما خصته بالكثير من أشباهه ، وقدمتها له قائلة : « خذ هذه من صنع يديّ لتكون برهاناً لديك على هذا الحب الدائم الذي تكنّه لك تلك التي كانت مرة لهكطور زوجاً . فأنت حقاً صورة حية لولدي استياناس ، وما أشبه عينيك بعينيه ويديك بيديه . ولو بقي لكان في مثل سنك الآن » . ثم ودعهم انياس وهو ينتحب قائلاً : « هنيئاً لكم يا من بلغتم من التطواف نهايته ، ونلتم من الراحة غايتها . فليس

أمامكم البحار تقطعونها ، ولا السهول تجوبونها للوصول إلى ايطاليا ، التي توغل بالبعد كلما امعنّا نحوها تقدماً . بل إن أمام أعينكم هنا شبه طروادة . وثقوا أنني إذا ما بلغت ايطاليا هذه التي أبغي ، فإن الصداقة المكينة ستدوم بيني وبينكم وبين أولادي وأولادكم إلى الأبد » .

ثم تهيأوا للإبحار ، وجروا سفنهم إلى البر منذ العشية ، وناموا عند الشاطىء ، ولما انتصف الليل ، نهض الربّان فاليرونوس من فراشه يرصد الرياح والنجوم ، مثل الدب الأكبر والدب الأصغر ، والسماك وكوكبة الجبار بمنطقته الذهبية . ولما رأى أن كل هذه الأمور تنبىء بالإقبال على جوّ رائق ، نفخ بوقه عالياً ، معلناً الجماعة وجوب السفر ، فاستجابوا له فوراً . ولما قرب الصباح ، واحمر الشفق الشرقي ، تبينوا من غير وضوح أرضاً تعلوها الهضاب ، وتنحدر شواطئها منبسطة نحو البحر .

وكان أنخيس العجوز أول من صرخ قائلاً : « انظروا ! هذه هي ايطاليا » . وتبعته الجماعة كلها ، ثم أمسك أنخيس كأساً عظيمة ، ملأها خمراً ووقف عند مؤخر السفينة قائلاً : « أيتها الآلهة ، يا أرباب البر والبحر ، وأنتم يا مسخّري الرياح ، هبونا رحلة يسر ، وأرسلوا علينا ريحاً مؤاتية » . واشتد دفع الريح للسفينة ، وهو لمّا ينه كلامه بعدُ .

واتسع أمام أعينهم فم الميناء جليّاً ، وظهر لأعينهم هيكل لمينرفا يعتلي الهضاب . ولكنهم رأوا عند الشاطىء أربعة جياد بيضاء كالثلج ، ما ان رآها الشيخ حتى قال : « إنك تعنين حرباً أيتها الأرض الغريبة ، فإن الخيل تفسّر الحرب كما انها تقود المركبات وتحمل الأثقال مجتمعة . ولذا فإننا نأمل فيها السلام » . ثم قدّموا الضحايا لمينرفا وللإلهة جينو التي حضّهم العراف هيلانس على وجوب خصّها بالإكرام. ولما فعلوا ذلك ، رتّبوا رحيلهم ، وابتعدوا عن الشاطىء خوفاً من عدوّ مداهم ؛ لأن الإغريق يقيمون هناك . ثم اجتازوا تارنتوم ، التي بناها هرقل ، وهضاب قولون ، وسيلاسيوم حيث تحطّم الكثير من السفن . ومن سيلاسيوم شاهدوا أتنا ، وسمعوا للبحر هديراً عظيماً . ورأوا الموج يصطخب فيبلغ عنان السماء . عندها قال أنخيس : « هذه هي خاربديس التي أخبرنا عنها العرّاف هيلانس ، فأعملوا مجاذيفكم أيها الرفاق وهيا نبتعد عنها » . فكدحوا يجذّفون بقوّة ، وسيّر فالبرونوس دفته إلى اليسار ، تتبعه بقية السفن. وكانت الأمواج ترفعهم إلى السماء حيناً ، وتخفضهم إلى الأعماق حيناً ، ولما حان المساءُ وبلغت الشمس الغروب ، وصلوا أرض السيكلوبيين .

هنالك ألقوا مراسيهم في ميناء حُمي من هبوب الرياح

المختلفة . ولكن أتنا كان يزمجر الليل بطوله زمجرةً هائلة ، ويقذف سُحباً من دُخان الزّفت ، وحمماً حارّة كالنيران ، وكرات من النار ، وصخوراً ، وكلّ ما مزج بالحرارة ، ويقول الناس بأن انكيلادس الجبار يجثم تحت هذا الجبل ، وهو يُصلّى بضياء جوبيتر ، فيخرج منه هذا اللّهب . وحينما كان يناله التعب ، فينقلب من الجانب الواحد إلى الجانب الآخر ، كانت أرض القلانس الثلاث تصاب بهزّة ترجها رجاً . واضطجعوا تلك الليلة بطولها يعروهم الخوف الشديد ، ولا يعلمون لهذا الصخب سبباً ، فإن السماء كانت حقاً غائمة ، ولم تكن رؤية القمر بالإمكان .

وحينما أتى الصباح ، جاءهم غريب من ناحية الغابات ، زريّ المنظر كئيبه ، قد تمزّقت ثيابه ، فشبكها بالشوك ، وأرسل لحية كثّة لم تشذّب ، ومدّ نحوهم يديه كمن يتضرّع إليهم ، وقد عرف به الطرواديون رجلاً من الإغريق . كما انه لم يكد يراهم ، ويتعرف إليهم ، فيعلم إلى أي البلاد ينتمون ، حتى اعتراه جزع شديد . فوقف جانباً ، ثم ركض إليهم مسرعاً ، يدعوهم بمختلف الأدعية ، وهو ينتحب ، ويقول : « أتوسل إليكم يا رجال طروادة بالنجوم والأرباب ، وبهذا الهواء الذي نستنشقه بأن تأخذوني من هذه الأرض إلى حيث تشاؤون ، ولن أسألكم إلى أين

المصير . ولا أنكر أنني من الإغريق ، وأعترف بأنني حملت السلاح ضد طروادة . فأغرقوني في البحر إذا شئتم ، وإذا لم يكن من الموت بدّ ، فلأمت بيد البشر » .

وتشبّث بركبهم ، فطلب اليه انياس أن يخبرهم عـن نفسه ، وعن سبب وجوده في هذا المأزق . فأجابه الرجل قائلاً : « إنني رجل من إيثاكة ، وأنا أحد رفاق التعس أوذيس ، واسمي اخيمنيدس ، أما أبـي فهو اذامستوس . ولما هرب رفاقي من هـــذا الشاطىء اللعين ، تركوني في كهف السيكلوب وهو مُخيف الهيئة ، وحشيّ المنظر ، قد جاوز الحدّ من ضخامة الجسم ، ويتغذّى بلحم البشر . وقد رأيت بهاتين العينين كيف مدّ يده ، وقبض على اثنين من رفاقي ، وسحقهما على الحجارة سحقاً ، أجل ، وقد رأيت أطرافهما ترتجف بين أسنانه ، ولكنّ أعماله هـذه لم تمضِ من غير عقاب ، فإن أوذيس لم يُطِقْ على رؤيـة هذه الأعمال صبراً ، فلما استسلم العملاق إلى نومه بعد أن سطت عليه الخمرة ، ألقينا القرعة لنعلم نصيب كـلّ منا من العمل ، الذي يجب أن نقوم به ، وهو سمل عينه ، إذ لم تكن لـه إلا عين واحدة ، اتسعت واستدارت حتى أصبحت كترس ارغوس ، أو كدائرة الشمس ، وهكذا

انتقمنا لهلاك رفاقنا . فأسرعوا إلى الهرب بكل ما تملكون من سرعة .

وهنالك غير الراعي فوليفيم هذا — لأن عمله كان راعياً — كثيرون من السيكلوبيين أمثاله ، العمالقـة الوحشيين الذين يسكنون هذه الشواطىء ، ويطوفون فوق الهضاب . والآن فإنني منذ ثلاثة أشهر وانا أقيم هنا في الغابات آكل التوت البري ، وأوراق الشجر ، وحشائش المروج . ولما رأيت سفنكم أسرعت إلى لقائها . فافعلوا بـي ما تشاؤون على أن أهرب من هذه السلالة اللعينة » .

وقد رأى رجال طروادة فوليفيم بين قطعانـه ، وهم لا يزالون يستمعون إلى حديث هذا الإغريقي ، وتراءى لهم أنه كان يقصد الشاطىء ، وكان مخيف الهيئـة ضخماً ، لا شكل له ، وفاقد البصر . ولما أتى البحر غسل الدماء عن جرحه ، وهو يصر بأسنانه . ومع أنه أوغل في البحر بعيداً ، فإن الأمواج لم تنل منـه اكثر من الوسط . وقد اسرع رجال طروادة إلى الهرب بكل قواهم حاملين معهم ذلك المستجير . أما فوليفيم فلما سمع جَدْفهم ، ودّ لو قدر على الوصول إليهم ، ولكن ذلك لم يكن في طاقته . فأرسل صيحة عالية ، هرع على أثرهـا السيكلوبيون إلى الشاطىء . فرآهم رجال طروادة ، ورأوا فيهم جماعة هائلة

المنظر ، وقد طالت منهم القامات حتى أشبهوا غابــة من البلوط أو العرعر . واشتدّ بالطروادين الهلع ، حتى لم يعودوا يعرفون مــاذا يفعلون ، فقـد وجدوا أنفسهم بين أرض السيكلوبيين من جهة ، وسيلا وخاربديس من جهة ثانية ، وقد حذرهم منها العراف هيلانس . ولكن الريح الشمالية هبت عليهم من فيلوروس ، وهم في بلبلتهم هذه ، فمخروا إلى الأمـــام ، ومعهم اخمنديس . فوصلوا إلى أورتيجيا ، حيث يجري نهر الفوس ، كما يزعم الناس ، تحت البحر آتياً من أرض فلوبس ، ويختلط مع ارتوسا ، ثم اجتازوا شوامخ جبل فاخينوس . كما اجتازوا كامارينا وجيلا وغيرها مـن المدن ، حتى بلغوا ليلبيوم ، ثم دربـانوم أخيراً . وهنالك مات العجوز انخيس ودفن .

٦

تحطم السفينة

إن ما وقع لأنياس وصحبه لم يكن بعد مدة طويلة من إبحارهم ، بل لم تكد تختفي أرض صقلّية عن أنظارهم ، حتى شاهدتهم جينو ، فاشتدّ سخطها على دنوّهم الآن من نهاية رحلتهم ، وقالت في نفسها : « أهكذا يخيب مقصدي ، فلا أقدر على صدّ رجال طروادة هؤلاء عن ايطاليا ؟ فإن مينرفا أحرقت سفن الاغريق ، وأغرقت رجـالها في البحر لخطيئة واحدة اقترفها رجل هو اياس بن ويليوس . فقـد ضربت السفن بصواعق جوبيتر ، وأخذت اياس هـذا بإعصار ، ثم قذفت به فوق الصخور فمزّق تمزيقاً . أما أنا فأبقى من دون الآخرين ، غير قادرة على الإتيان بأي عمل ضد هؤلاء القوم ، مع أنني أمُتّ الى جوبيتر بأوثق الأسباب ، فأنا أخته ، وزوجه بآن واحد . وهـل في

الأجيـــال القادمة من يسمع بهذا ، ثم يوليني شرفاً ، أو يقدّم لي حقي من التضحية ؟ »

وذهبت إلى أرض ايوليا ، وهي تهجس بهذه الأمـور وبلغت إلى حيث يحتفظ الملك اوليوس بالريـــاح ، محكماً الرّتاج من دونها ، وكان يُسمع لها في داخل الجبال هدير عظيم ، ولكنّ ملكها كان يكبح جماحها ، ويحفظها ضمن حدودها . وقد نُصب خصيصاً لهذا العمل ، حتى لا تثور الرياح ثورتها ، فتجتاح في طريقها السماوات والأرض . فخاطبت جينو الملك قائلة : « أيها الملك أوليوس ! يا من أقامه جوبيتر ملكاً على الرياح ، إنّ شعباً ممقوتاً مني يمخر الآن بحر توسكان ، فأرخِ لعواصفك العنـــان ، وادفعها اليهم لكي تغرق سفنهم في أعماق البحر ، وأصغ الى ما أعدك به . إنّ لي من الوصيفات القائمات على خدمتي اثنتي عشرة ، ذوات دلّ وجمال ، وسأمنحك ذيوفيا أبرعهن جمالاً لكي تكون لك زوجاً » . فأجابها الملك اوليوس : « إن الأمر إليكِ في كل ما تشائين أيتها الملكة ، وليس هذا السلطان الذي أملكه إلا من عطاياك ، وإليك يرجع الفضل في جلوسي للأكل على مائدة الأرباب » .

قال هذا ودفع برمحـــه أبواب السجن المغلقة من دون الرياح ، فاندفعت هذه إلى الأمام فوراً ، وتقدمت معـــاً

نحو الشاطىء تلتف عليه أمواجاً عظيمة . وارتفعت أصوات الرجال متصايحــة ، وجذبت سلاسل السفن ، ولم يعــد بالإمكان رؤيـــة السماء أو ضوء النهار . بل جُلّل البحر بظلام ليل دامس وعمّت السماوات الرعود والبروق .

وارتجف انياس برداً ورعباً ، فبسط يديه نحو السماء ، وصاح قائلاً : « يـــا لسعادة أولئك الذيـن سقطوا تحت أسوار طروادة أمام اعين آبائهم ! وددت لو أن الأرباب سمحت لك بقتلي يا ذيوميذ ، يا أشجع الإغريق وأبسلهم ، لسقطتُ اذن كما سقط هكطور برمح أخيل . وكما سقط سرفيذون الطويل النِّجـــاد ، أو كجميع أولئك المحاربين الأبطـــال ، الذين حمل سيمويس جثثهم ، ودحرجها إلى البحر ! »

وبينما هو في دعائـــه ، عصفت الريح بشراعه الأمامي فضربته واستدارت سفينته تعترض الأمواج . والتطمت ثلاث من السفن على الصخور التي يدعونها « المحاريب » ، كما غُيّبت ثلاث أخر في اوعاس سيرتيس ، وضربت أمواج الخضم مؤخر سفينة الليقيين الـــذين يتزعمهم اورونتيس ، فأغرقتها . ونظر انياس من حوله ، ويا لهول ما رأى ! رأى البعض يكافحون الموج . كما رأى الألواح المتحطمة وأسلحة طروادة ونفـــائسها . وحطمت الأمواج غـــير

هـذه كـُلاًّ من سفن اليونوس واخات وابـاس وألثيس العجوز .

وأحس الملك نبتون بالضجة ، وهو قـائم في أعماق البحر ، فرفع رأسه فوق الأمواج ، ونظر من حولـه ، فرأى السفن تتبعثر هنا وهناك ، ورأى رجال طروادة يعانون أقسى العذاب . وكان يعلم بسخط اخته ومهارتها ، فدعا الرياح وقال : « ما هذا الذي تصنعين أيتها الرياح، فتقلقين الأرض والسماء بغير إذن مني ؟ والآن فـإنني أطلب أولاً إلى الموج أن يهـدأ ، وثقي بـأنني لن ادعك تفلتين مرة اخرى ، فاذهبي وقولي لمليكك إن سلطان البحر من شأني أنا ، فليلزم هو حدود صخوره » .

ثم أمر الموج بالسكينة ، وشتّت الغيوم ، وأعاد الشمس إلى الظهور . وقام الإلهـا البحر سيموتي وتريتون بإنقـاذ السفن من الصخور يساعدهما نبتون وهو يرفعها بعصاه ذات الشعب الثلاث . ثم فتح اوعاس الرمل ، وأخرج مـا في باطنها من السفن . وبعد أن قام بهذا قطع البحر بمركبته ، فما أن رآه الموج حتى غـَشـِيـَهُ السكون . وكان شأنه معه شأن الفتنة تقوم في مدينة ، ويأخذ أهليها السّخط فيرمون بالحجارة والنيران . وما أن يطلّ عليهم بغتة سيد مطاع ، هـو عندهم رجل حق وصدق ، حتى يخيِّم عليهم عند

ظهوره السكون ، ويصغون إلى قوله فيهدأ الشغب ، ويعم الهدوء ، وهكذا هدأ البحر حينما رأى ملكه .

وبرّح الجهد بأنياس وصحبه من شدّة ما عانوا مـن العاصفة ، فقصدوا إلى أقرب شاطىء ، فكـان شاطىء افريقيا ، حيث توغل السماء بعداً ، حتّى تتصل بالأرض فلا تبلغها الأمواج إلا متلاشية القوى . وقامت على جانبي الشاطىء جرف تتاهت في العلوّ ، واكتست بالغابات البهيجة. وكان على رأس المرفأ كهف في داخله ينبوع عذب ، قد اتخذته حوريات الماء سكناً . والى هـذا المكان قدم انياس بسبع سفن ، وقـد ملأ الفرح قلوب رجال طروادة ، لوطئهم الأرض اليابسة مرة أخرى .

وعمد أخات إلى قدح الشرر مـن الصوّان ، فأشعلوا النيران بأوراق الشجر وما اليها ، ثم أخذوا مما لديهم في السفن من الحبوب ، فجفّفوها وجرشوها وأعدُّوها للطعام. أما انياس فتسلّق الجرف ، علّه يشاهد لسفن رفاقه أثراً. ولكنه شاهد عـلى الشاطىء ثلاثة ظباء ، يتبعها قطيع ، فأسرع إلى سهامه وقوسه التي يحملها أخات، ورمى بها فأصاب من الظباء الثلاثة مقتلاً ، وثنّى على القطيع ، حتى بلـغ مجموع صيده سبعةً خصّ كل سفينة من سفنه بواحدة منها . ثم قصد مكان رسوّهم، ووزع على رفاقه صيده، كما

وزّع عليهم شيئاً من النبيذ ، الذي أهداهُ إليهم مضيفهم أستيس وهـم يبرحون صقلية ، وخاطبهم بكلمات التأسّي قائلاً : « ثقوا يا رفاقي أنْ لا بدَّ لهذا العذاب من نهاية. وقد عانيتم في الماضي ما هو أشدُّ وأدهى، فاحتفظوا بمرحكم إذن، ولعلكم بالغو اليوم الذي ستجدون فيه السرور عند ذكر ما يمر بكم الآن من عذاب . ولا تنسوا أن الآلهة قـد أعدّت لنا في ايطاليا سكناً ، وسنعيد هنالك بناء طروادة في أمن شامـل وهناء مقيم . فاصبروا اذن وانتظروا يوم الفوز العظيم » .

وأعدُّوا للاحتفال عدّته ، ومالوا على اللحوم يشوون بعضها فوق السفود ، ويسلقون البعضَ بالمـاء . واحتسوا من النبيذ مـا أعاد اليهم الراحة . وجلسوا بعد عشائهم يتكلمون عن أولئك الغائبين ، وهم مـن أمر حياتهم أو موتهم في شكٍ مُريب .

٧

قرطجنة

بينما كان جوبيتر يشاهد هذا جميعه ، قدمت عليـه فينوس يشيع الحزن في قسماتها ، وتنديّ الدموع عينيهـا ، وقالت : « أيها الوالد العظيم ، يا من اليه ترجع الأمور، أيّ خطيئة اقترفها في حقك انياس ورجال طروادة ، حتى أوصدت في وجههم أبواب العالم جميعـاً ؟ ألم تعد بأن تؤمرهم على الأرض والبحار ؟ فلمَ تنكص عن قصدك ؟ وقد كنت أود العزاء عن مصير طروادة المشؤوم ، ولكن أنّى لي ذلك ، ولا يزال هذا المصير يلاحق رجالهـا إلى الآن ، فلا يجدون لعنائهم نهايـة . ومع هذا فقـد منح انطينور ، وهو طروادي ، النجاةَ مـن الإغريق ، فأتى أرض ليبورنيا ، حيث يضج تيمافوس طـائراً وهو يقصد

البحر ، وبنى هنالك مدينة ، وجد فيها لنفسه الراحة بعد العذاب . أمـا نحن أبناءك ، فلا نزال نُقصى عن التي أقسمتَ بمنحنا اياها .

فأقبل عليهـا والدها يقبلها ، وهو يبتسم قـائلاً : لا تجزعي يا بنيّتي ، فإن مصير أبنائك لم يتغير ، فسترين المدينـة التي تؤملين ، وستستقبلين ولدك انياس ذا القلب الكبير في السماوات . فـأصغي إليّ اذن ، وسأخبرك بما هو آت .

إن انياس سيشن الحرب على أمم ايطاليا ، فيخضعها ، ويبني مدينة يحكمها ثلاث سنوات . وبعد ذلك بثلاثين سنة ، يغيّر الطفل اسكانيوس الذي سيسمى ليلوس مكان العرش من لافينيوم إلى ألبـا ، ويتداول الملوك من نسل هكطور حكم ألبـا ثلاثمائة عام . ثم تحمل كاهنـة ولدين توأمين لمارس ، وترضعهما ذئبة ، فيبني احدهما واسمه روميلوس مدينة يكرسها لمارس ويدعوها رومـا نسبة لاسمه . ولهذه المدينة أعطيت ملكاً لا حد له ولا نهاية . اما جينو فستعود عن حنقها ، وتشترك في مجلسي ، وتنزل رجال روما منزلة الإعزاز من نفسها ، حتى ليحوزوا حكم أرغوس ومسينا » .

ولما أتم كلامه أرسل رسوله مركوري إلى ديدو وشعبها

القاطنين في قرطجنـة المدينة التي بنوهـا ، وأمره بأن يغير قلوبهم نحـو هؤلاء الغربـاء ، فلا يلقون منهم إلا حسن الوفادة .

وحدث في اليوم التالي أن انياس بعد أن أحسن إخفاء سفنه في خليج تغطيه الأشجار ، قام يجوس خلال الأرض الجديدة التي قدموها ، ولا يصحبه غير اخاث . وحمل في كل يد رمحـاً عريضاً مسنوناً . فلقيتـه أمّه في منتصف الغاب ، ولكنها ارتدت ملابس إسبرطية عذراء ، فتدلّت قوس من كتفيهـا كما تفعل الصائدات ، وحل شعرهـا ، وقصر قميصها فبلغ ركبتيها ، وجمعت ثيابهـا بعقدة عند صدرها . وبدأت الصائدة الزائفة الكلام قائلة : « لعلك رأيت احدى اخواتي تحوم هنـا فتخبرني بمكانهـا ! إنهـا تتنطق بجلد ، وترتدي جلد فهد مرقّط . بل لعلها في صيد خنزير بري ، تأخذ معها البوق والسلوقي » .

فأجابها انياس : « إنني لم أشهد ولم أسمع بأن لك أختاً أيتها العذراء — وبمَ ادعوك ؟ إذ لا ريب في أنهُ ليس بنظراتك ولا بصوتك مـا يشبه امرأة فانية ، فأنت إذن إحدى الإلهات ، وقـد تكونين اخت فيبوس ، أو لعلك احدى الحوريات .

ولكن انظري إلينـا ، مهما كنتِ ، نظرة عطاف ،

ومُدّي إلينا يد العون . أخبرينا في أيّ بلد نحن ، فقد دفعتنا الرياح إلى هنا ، ولا نعلم من أمر المكان والسكن شيئاً » .

فقالت فينوس : « كلا أيها الغريب ، إنني لست ما تظن ، فإن علينا نحن عذارى صور ، أن نرتدي جلداً ، وننتعل بلغة أرجوانية . وهذه البلدة القريبة هي بلدة صورية ، مع أن الأرض هي أرض ليبيا . وديدو هي ملكة هذه المدينة ، وقد قدمتها من صور هرباً من سوء عمل أخيها . وحقاً إنها قصة طويلة ولكنني سأقص عليك أهمّ أنبائها .

كان زوج الملكة ديدو هذه سيشوس ، وكان أغنى رجال فينيقيا ، وكانت امرأته شديدة الوله به ، وقد تزوجها عذراء . ولسيشوس هذا أخ اسمه بيجماليون ، هو ملك البلاد ، وقد فاق الرجال قحةً وسوء قصد . ولما شجر بين الأخوين الخلاف ، وكان الملك مفتوناً بحب الذهب ، أخذ أخاه على غرّة وهو يقدّم الضحية عند المذبح ، وفتك به . ثم أخفى الأمر عدة أيام عن ديدو ، وخادعها بالآمال. فتمثّل لها زوجها في الحلم ، وهو يحمل جروحه ، ويريها ما ناله من أخيه من اعتداء . كما طلب اليها أن تسرع بالهرب من تلك الديار . ولكي ييسّر لها الأمر أطلعها على مكان كنز عظيم خبيء في باطن الأرض يحوي الذهب

والفضة . وملك ديدو التأثر من هذه الأمور ، فأعدّت عدّتها للهرب ، وبحثت عن الرفاق فأتاها جمع مؤلف من كلّ من يكره الملك أو يخافه . ووضعوا أيديهم على سفن كانت لحسن حظهم مهيأة ، وحمّلوها بالذهب ، وفيها كنز الملك بيجماليون ذاته ، وفرّوا هاربين يقطعون البحر. وكانت امرأة تتولى قيادة الأمر جميعه . ثم أتوْا هذا المكان الذي ترى منه أسوار قرطجنّة وقلعتها ، واشتروا من الأرض ما قدروا على مسحه وقياسه بسيور من جلد ثور . فهل لك أن تجيبني الآن على سؤالي : من أين قدمت وإلى أين تذهب ؟ »

فأجاب انياس : « لو أردت أن أقصّ عليك قصة تيهنا بأكمله ، وكان لك من الوقت ما يتسع لسماعها ، لحلّ الظلام قبل أن أبلغ نهايتها . فنحن من رجال طروادة، الذين جابوا البحار الكثيرة ، حتى دفعتهم العواصف أخيراً إلى هذا الشاطىء من ليبيا . أما أنا فإن الناس يدعونني الأمير انياس ، والأرض التي أبغي هي إيطاليا ، وسلالتي ترجع إلى جوبيتر ذاته ، وقد أبحرت في عشرين سفينة أقصد فيها السبيل التي أرادتني عليها الأرباب . ولم يبق من هذه السفن إلا سبع . وقد رأيت أن لا أوروبا ولا آسيا تستطيعان تحمّلي ، فها أنا أهيم في صحارى افريقيا » .

ولم تدعه فينوس يزيد على ما قال فأجابته : « لتكن من تكون أيها الغريب ، فإن قدومك إلى هـذه الأرض الصورية ، لا يدع مجالاً للريب في أنك محبوب من الآلهة، فاذهب الآن وقدّم نفسك إلى الملكة .

أما سفنك ورفاقك ، فإنني أنبئك بأنهـم يقيمون في السماء بأمان . هذا إذا لم يكن علمي بالعرافة عبثاً . أترى إلى هذه الوزّات العشرين وطيرانها فرحة مسرورة ؟ هاك نسراً ينقضّ عليها من الجوّ ويربك حركاتهـا . ولكنها تعود الى الانتظام ، وهـا بعضها يستقرّ على الأرض ، والبعض الآخر يتهيأ للاستقرار . وهذا ما وقع لسفنك ، فهي إما أن تكون قد أصبحت في السماء ، أو على وشك الدخول إليها مبحرة بأقصى سرعتها » .

قالت هذا وألوت راجعة ، فأشعّ من عنقها نـور وردي ، وعبق من شعرها أريج العنبر اللطيف ، وطالت ثيابها إلى قدميها ، فعرف فيها انياس أمّه ، وناداهـا قائلاً :

— « أي أماه ، لمَ تسخرين مني ، وتظهرين لي غالباً بمظاهر زائفة ، ولا تدعيني أضع يدي في يدك أو أكلمك وجهاً لوجه ؟ »

ثم اتجه الى أسوار المدينة ، ولكن فينوس شملته وصحبه بضباب ، لكي لا يراهم ولا يسمعهم ولا يستطيع شأنهم رجل ، ثم رحلت إلى بافوس حيث قام هيكلها ، وحيث المحاريب الكثيرة تصعّد البَخُور .

وتابع الرجال مسيرهم مسرعين ، فصعدوا هضبة تطلّ على المدينة ، التي أدهشتهم رؤيتها ، فقـد كانت بلدة عظيمة كبيرة حقاً ، ذات أبواب جبارة ، وشوارع تسير فيها الجموع وتحتشد . وكان منهم القائمون على بنايـة الأسوار والقلعة يدحرجون لذلك الحجارة الضخمة بأيديهم. بينما عمـد غيرهم إلى تخطيط أمكنة المنازل . وكانوا إلى ذلك يختارون مـن يرجع إليهم القول الفصل في المدينة ، ومن يعهد إليهم بحكمها . كما كان منهم من يحفر الموانىء، ومن يبني أسس دار التمثيل ، ومن يقطع الأعمدة الحجرية الضخمة . فكانوا أشبه بالنحل الدائب الـذي تحتشد صغار جموعـه عند اقتراب الصيف ، منتشرة هنا وهناك ، أو كالعمال منـه تكدّ في العمل بملء الخلايا بالعسل ، فيلقي بعضها أحمال الراجعين من الحقول ، ويقف بعضها لحراسة القفير مـن اليعاسيب . أجل لقد كان شأن رجال صور شأن النحل الدائب المجدّ . وقد صرخ انياس عند رؤيتهم

قائلاً : « يا لسعادة اولئك الذين يجدون الآن مدينة لإيوائهم ! » ولما كان لا يزال مختفياً وراء الضباب ، فقد تقدّم نحو الباب ، واختلط بالناس دون أن يشاهده منهم أحد .

وقامت في وسط المدينة غابة كثيفة الأشجار متشابكتها . حفر فيها رجال قرطجنّة حين قدومهم إلى هذه الأرض ليخرجوا رأس الجفيان ، الذي أخبرتهم جينو بأنه سيكون لهم فألاً ، وان ايجادهم له يجعل مدينتهم جبارة في الحرب ، مليئة بالثراء . وكانت ديدو تبني هنالك لجينو هيكلاً رائعاً له عتبة من البرونز . ودرجات ترتقي للدخول، كما كانت قوائم الأبواب والبوابات من البرونز أيضاً ، وهنا حدث ما ملأ انياس شجاعة وراحة . فقد وقف يشاهد المكان ، وينتظر الملكة ، فرأى أن معارك طروادة قد ادرجت رسومها بنظام على الأسوار . فهناك ابني اتريد، والملك فريام ، وأخيل الشرس . فقال ولم يكن قوله بغير دموع : « هل هنالك يا اخات بلد لم تملأ بآلامنا ؟ ألا ترى فريام ؟ ومع ذلك فإن للفضيلة هنا ثواباً ، ولآلام البشر رحمة وعبرات . فلا تخشَ إذن شيئاً . فإن شهرة هذه الأشياء ستفيدنا ولا ريب » .

وجد إنياس في هذه الرسوم على الأسوار راحة لفؤاده؛ فهذه مدينة طروادة ، وفي هذه الناحية من السهل يهرب الإغريق ، يلاحقهم فتيان طروادة ، وفي تلك الناحية ، يهرب الطرواديون ، يطاردهم أخيل بمركبته . ورأى خيام ديسوس ملك ثراقة، الذي قدم حديثاً إلى طروادة، فقتله ذيوميذ الشرس وهو نائم ، وساق جياده أمامه إلى المعسكر ، قبل أن تأكل من حشائش سهول طروادة ، وتشرب من مياه نهر زنتس . وهنالك رسم اطرويل ، وكان بئس المُنازل لأخيل العظيم ، وقد حملته جياده وهو ملقى على ظهره في مركبته ، ولا يزال ممسكاً بالأعنة ، بينما جرجر عنقه ورأسه على الأرض . وترك رأس رمحه أثراً محفوراً في التراب . وشاهد في ناحية اخرى نساء طروادة يقصدنَ هيكل مينرفا متضرعات ، وهن يحملن ثوباً كبيراً بهياً ، ويضربن صدورهن حزناً ، ويحللن شعورهن ، ولكن الآلهة لم تأبه بهن . وشاهد أخيل يجرجر جثة هكطور ثلاث مرات حول أسوار طروادة ، وهو يبيعها بالذهب . وقد أنَّ انياس لرؤيته الرجل الذي خصه بالحب ، ورؤية فريام العجوز باسطاً يديه لا عون له ولا حول . وتعرف إلى نفسه مقاتلاً في وسط زعماء الإغريق . كما تعرف إلى ممنون

الأسود وجيوش الشرق . ورأى فانشيلي تقود جيش الأمازونيات بتّروسهن الشبيهة بالقمر ، وكان منظرهـا وحشياً ، وقد عرّت أحد ثدييها للقتال ، ومن تحته إكليل من الذهب . وهي فتاة تجرؤ على خوض المعارك مع الرجال جنباً إلى جنب .

٨

ديدو

بينما كان انياس يشهد هذه الأمور ويعجب ، قدمت ديدو يتبعها حشد كبير من الفتيان فكانت أجمل النساء طُراً . لها حسن ديانا ، وهي تدير الرقص على ضفاف أوروطاس أو فوق هضاب سنثيوس ، يواكبها ألف من حوريات الجبال . وقد ألقت على كتفها جلداً ، وعلت الجميع قامة ، فكان منظرها داعياً لسرور أمّها لاطونة ، وهي تنظر إليها بسكون . كان لديدو جمالها ، ولها منظرها وهي تختال بإباء وشمم في الوسط ، منهمكة في أعمال مملكتها . ثم جلست على عرش سامق عند باب الهيكل ، ووقف من حولها عدد كثير من الرجال المسلّحين . وقد وزّعت العمل في المدينة بالتساوي ، أو قسمته بالقرعة .

وعلى حين غرة سمع انياس صخباً ، ورأى جماعة من الرجال يرودون المكان مسرعين ، وبينهم انثوس وسرجستوس وكلنثوس وغيرهم من رجال طروادة ، الذين فرّقتهم عنه الزوابع . فأفعمته رؤيتهم سروراً ، ولكنه لم يكن بدون وجل وخشية . وعلى شدّة شوقه للهروع إليهم وإمساكهم بيديه ، فقد تمهّل منتظراً أن يسمعهم يقصّون خبر رحيلهم وأين تركوا سفنهم ، وإلى أين يقصدون .

فتكلم الينوس ، وقد أُعطي حق الكلام فقال : « أيتها الملكة التي منحها جوبيتّر الإذن في بنـاء مدينة جديدة في هذه الأرض ، إننا نحن رجالَ طروادة ، الـذي حملتهم الريـاح فوق الكثير من البحار ، نضرع إليك أن تنقذي سفننا من النار ، وأن تحمي شعبنا الذي يخدم الأرباب . فإننا ، حقاً ، لم نقدم لتدمير مساكن هذه الأرض ، أو لنحمل سُفننا الأسلاب . والحقيقة إن الذين يلاقون من الآلام ما لقينا ، لا يفكّرون في أعمال كهذه . إن هنالك أرضاً يدعوها الاغريق هسبيريا ، وتدعى من قبل أهلهـا ايطاليا باسم زعيمهم . وهي أرض قديمة جبارة الأسلحة ، خصبة الغلال . وإلى هنالك كان إبحارنا عندما ثارت العاصفة ، فشتتت سفننا ، ولم ينج منها إلا هذه البضعة التي ترين . وهل هنالك شعب تبلغ به الهمجية أن يرد عـن شاطئه

رجال سفن محطمة ، وأن يصوّب نحوهم سلاحه ، محرّماً عليهم النزول ؟ ولكن إذا كنت لا تأبهين بالناس، فحاذري الأرباب الذين لا ينسون فاعلي الخير ، ولا أولئك الذين يخطئون . وقد كـان لنا ملك اسمه انياس ، لم يكن بين الرجال من يفوقه في طاعة الأرباب وخدمة الناس ، ولا من هو أعظم منه في الحرب ، ولو كان حياً حقاً لما خشينا أمراً ؛ لأنك لم تكوني لتندمي على مد يد العون إلينـا . ولنا الى ذلك غـيره من الصحاب مثل أستيس الصقليّ ، فتكرمي إذن بمنحنا مأوىً لسفننا يحميها من الهواء ، وبجذوع جديدة من أشجار الغابات نزودها بها ، ونصنع المجاذيف نهيئها للعمل ، حتى إذا ما وجدنا ملكنا وصحبنا ، فقـد نتمكن من الوصول الى أرض ايطاليا . أما إذا ما أدركته الوفـاة ، ولم يعثر لابنه اسكانيوس على أثر ، فإنّ هنالك سكناً مهيأ لنا في صقلية عند صديقنا أسيستس » .

فأجابت ديدو ، وقد اطرقت بعينيها إلى الأرض قائلة : « لا تخشوا يـا رجـال طروادة أمراً ، وإذا خُيل إليكم أن في معاملتنا لـكم شيئاً من الخشونة ، فاصفحوا عنا لأننا لم نقم بهذه الأرض إلا حديثاً ، ولذا وجبت علينا الحراسة ومراقبة شواطئنا . أما أعمال رجال طروادة في فنون القتال فمن الذي يجهلها ؟ ولا يذهبَنّ بك الظن إلى أننا هنا في

ليبيا فاترو القلوب ، أو أن بعدنا القصيّ عن العالم جعلنا على جهل بهذه الأمور ، وسواء أرغبت في الإبحار إلى ايطاليا أم فضلت الرجوع إلى صقلية عند الملك اسيتس ، فاعلم أنني مقدمة لك كل عون ومانحتك كل حماية . أما إذا شئت الإقامة في أرضنا هذه ، فإن هذه المدينة التي أبنيها هي مدينتكم ، ولن أفرق بين طروادي وصوري . ولقد وددت لو أن ملككم كان هنا ! ولا ريب في أنني سأرسل في البحث عنه في كل أنحاء ليبيا ، فلعله تاه في إحدى الغابات أو في مدينة غريبة من هذه الأرض » .

ولما سمع انياس واخات ذلك نالها الفرح ، وودا لو ظهرا من بين الضباب ، وقال اخات : « ماذا ترى ؟ ها هم صحبك من الناجين ، وقد أُنقذ مَنْ رأينا الأمواج تبتلعه بأم أعيننا ، وكل الأمور تجري حسب قول أمك » .

وتشقق عنهما الضباب وهما يتكلمان ، وتقدم انياس رائعاً بهيّ المنظر . وتقدم بوجهه وصدره ، وهو أشبه بإلَه ؛ فقد منحته أمّهُ شعراً جميلاً ، وأحاطته بنور الفتوّة الأرجواني من حوله ، كما يحيط الصانع الماهر تحفة جميلة ، أو كما يحيط الفضة أو مرمر فيروس بالذهب . ثم كلم الملكة قائلاً : « ها أنا ذا انياس الطروادي الذي عنه تبحثين ، ولمّا أكد أنجو من مياه البحر . أما انت أيتها

الملكة ، فإن ما رأيناه منك من الرحمة لآلام طروادة التي لا توصف ، ومن طلبك الينا مشاركتك في بلدك ووطنك ، ونحن قوم مشردون مساكين، لا نملك شيئاً ، يجعلنا نضرع إلى الأرباب مكافأتك بما أنت أهله . وإن اسمك ومجدك لباقيان ما بقيت الأنهار تجري نحو البحار ، وما بقيت الظلال تقع في تجاويف الهضاب ، وسأذكرهما في أيّ أرض ترسلين اليها مشيئة الأرباب » . ثم أعطى يده اليمنى إلى الينوس ، ويده اليسرى إلى سرغتوس مرحباً بهما والسرور يملأ قلبه .

وقد لزمت ديدو الصمت مدة لسماعها هذا، ثم تكلمت قائلة : « أي طالع سوء هذا الذي جلب لك كل هذا العذاب ؟ وأي قوة تلك التي دفعتك إلى هذه الشواطىء المقفرة ؟ ولا أزال أذكر أياماً مضت ، حينما قدم صيدا شخص يدعى طفقير ، وقد طلب العون من ميلوس لعله يجد له ملكاً ، بعد أن أُقصي عن وطنه . وحدث أن أبا ميلوس كان قد منح قبرص حديثاً في ذلك الحين . وقد عرفت قصة طروادة ، منذ ذلك اليوم كما عرفت اسمك وأسماء زعماء الإغريق . وأذكر أن طفقير كان يتكلم عن رجال طروادة بالإجلال والإكبار ذاكراً أنه هو ذاته

قد انحدر من الأرومة الطفقيرية القديمة . فتعال الآن اذن إلى قصري ، فأنا أيضاً قد تهت مثلك طويلاً حتى وصلت إلى هذه الأرض ، وتألمت طويلاً ، فتعلمت كيف تكون نجدة المتألمين » .

وقادت إنياس إلى قصرها ، وارسلت الى رجاله الذين في السفن مقداراً كبيراً من المؤن يحتوي على عشرين ثوراً ومائة خنزير أهلب ، ومائة نعجة مع صغارها . أما في القصر فقد أعدّت مأدبة عظيمة ، فكانت هنالك الحشايا المكسوّة بالتطريز الأرجواني ، والآنية الفضية التي لا عداد لها ، والكؤوس الذهبية التي نقشت عليها أعمال الرجال العظيمة في سالف الأيام .

وأرسل انياس اخات في هذه الأثناء بسرعة الى السفن، لكي يحضر اسكانيوس للمأدبة . وطلب إليه أن يجلب معه بعض الهدايا التي أنقذوها من أنقاض طروادة ، ومنها وشاح أثقل بتواشيح ذهبية ، ونقاب طرّزت حواشيه بأزهار الكنكر الصفراء ، وقد حملته معها هيلانة الجميلة عند هربها من بيتها ، وكانت أمها ليديا قد أهدته لها ، وكذلك صوبجان كانت تحمله إليون كبرى بنات فريام ، وعقد من اللؤلؤ ، وتاج مزدوج من الجواهر والذهب .

ولكن قلب فينوس قد اضطرب على ابنها ، خشية أن يغدر به رجال صور ، كما هي عاداتهم ، وخشية أن تذكر جينو حقدها عليه .

وبعد أن قلّبت الرأي في نفسها ، دعت اليها الصبيّ المجنّح ، وهو ابنها الحبّ ، وقالت : « إنك يا ولدي كل ما أملك من قوة ، فأنت الهازىء بصواعق جوبيتر ، وأنت تعلم أن جينو حانقة على أخيك انياس أشد الحنق ، وهي التي سببت له كل هذا المطاف في نواحي الأرض . إن ديدو قد أخذته اليوم إلى قصرها، وكلّمته بجميل القول، ولكنني أخاف عليه عواقب الأمور الخوف كلّه . فأصغ لما أقترحه عليك . لقد أرسل أخوك الآن يطلب الغلام اسكانيوس ، ليأتي إلى القصر ويجلب معه الهدايا التي انقذوها من خرائب طروادة . وسألقي عليه الآن نوماً عميقاً ، وأخفيه في سيذرا أو ايدا ليوم واحد ، أما انت فاتخذ شكله لليلة واحدة فقط . وحينما تأخذك الملكة ديدو في المأدبة إلى حضنها أنفخ من نارك في قلبها خفية ...

وهكذا فعل الحب ما أمرته به أمه ، فخلع عنه جناحيه ، واتخذ شكل اسكانيوس . أما هذا فقد ألقت عليه فينوس نوماً عميقاً، وحملته إلى غابات ايدا ليوم واحد،

ولفّته بالأزهار العطرة الشذا . وذهب الحب عوضاً عنه إلى الملكة يحمل الهدايا . وقاموا إلى المائدة عند قدومه ، وكانت تتوسطها الملكة ومن فوقها مظلة ، واتكأ انياس ورجال طروادة على فرش أرجوانية ، وقد أحضر لهم الندل الماء ، ووضعوا الخبز في سلال ، وقدموا لهم المناديل، كما وقفت على خدمتهم خمسون جارية ، يملأن ما ينقص من طعام ، ويؤججن النيران ، وهنالك مائة سواهن مع مائة غلام يثقلون الموائد بالصِحاف وكؤوس الشراب . ودعي إلى الوليمة الكثيرون من رجال صور ، وقد دهشوا لهدايا انياس كما دهشوا لرؤية اسكانيوس الزائف . أما الملكة فلم ترتوِ من النظر اليه ، ولم تكن تعلم ماذا يُهيأ لها من متاعب في الزمن القريب . اما هو فقد قبّل الأب الذي لم يكن اباه ، وتعلق بعنقه ، ثم قدم نفسه إلى الملكة ديدو ، التي كانت لا تنفك تتبعه بعينيها بعد ذاك . وقد تحمله إلى حضنها أحياناً . وقد فعل هو ما أراد ، فجعلها تنسى سيخوس الميت ، وتضمر في قلبها حبّاً جديداً .

ولكنهم حينما انتهوا من الوليمة ، أحضر بعض الرجال كؤوساً عظيمة ، وضعوها على المائدة ، وأترعوها بالنبيذ .

ثم طلبت الملكة إناء من الذهب رُصّع بكثير من الجواهر ، وقد شرب منه بيلوس ، وكل الملوك بعد بيلوس ، وبعدما ملأته بالنبيذ قالت : « جوبيتّر ! يا من تُدعى بإلـه الضيف والمضيف ، إجعل هذا اليوم يوم سرور لرجال طروادة ورجال صور ، لكي يذكره أبناؤنا من بعدنا إلى الأبد . وأنت يا باخوس ، يا مانح السرور كُن شاهداً ، واشهديه يا جينو العطوف » .

ولما مسّت النبيذ بشفتيها ، سلمت الكأس الكبيرة إلى الأمير بيتياس ، الذي جرع منها جرعة كبيرة ، وأخذها غيره من الأمراء من بعده . وغنّى ايوباس المنشد على قيثاره ، وقد علّمه أطلس ذاته الغناء ، فأنشد عن القمر ومسيره في مستقره ، وعن الشمس وكيف يظلم نورها . وغنّى عن الرجال ووحوش الفلاة ، من حيثما أتت ، وعن السماكين النيرين ، وعن الدب الأكبر ، والدب الأصغر، وتوابع النجوم ، وعن شمس الشتاء وتعجّلها الغطس في الأوقيانوس ، وعن ليالي الشتاء وبطئها الوئيد .

وقد تحدّثت الملكة كثيراً عن قصة طروادة وعن فريام، وهكطور ، وهي تسأل الأسئلة الكثيرة عن أسلحة ممنون ، وجياد ذيوميذ وعن أخيل وعظمته . ثم قالت لإنياس :

« قُصَّ علينا الآن قصة أخــذ طروادة ، وتيهك فوق الأرض والبحار » . فأجاب انياس : « لقد طلبت إليَّ أيتها الملكة أن أجدد آلاماً لا توصف . وإذا شئت مــع ذلك أن تسمعي هــذه الأمور فأصغي إليَّ » . ثم قَصَّ عليها كل ما مرَّ به حتى ذلك اليوم الذي توفيَّ فيه أبوه أنخيس .

٩

حبّ ديدو وموتها

لقد تأثرت الملكة ديدو أشدَّ التأثر بالقصة ، كما أعجبت براويها غايــة الإعجاب ، ولم تكد تقدر على النوم لكثرة تفكيرها به . وكلمت أختها « أنّا » في اليوم التالي قائلة : « لقد أزعجتني أحلام سوءٍ هذه الليلة ، وأقلقت فؤادي. وأيّ رجل يكون هذا الغريب الذي قدم شواطئنا ! أيّ طلعة نبيلة طلعته ! وأيّ جرأة في الحرب جرأته ! لا ريب عندي في أنــه أحد أبناء الأرباب ! أي ثراء كان ثراؤه وأي حروب هذه التي حدثنا عنها ! ولو لم أكن قد صمّمت تصميماً قاطعاً على أن لا أقرن نفسي الى نير الزواج مرة أخرى ، لكان هــو الرجل الذي أذعن له ، وأقول لك الحقيقة يا أختاه إنــه الرجل الوحيد الذي حرّك قلبي منذ وفاة سيخوس بيد أخيه . ولكن لتبتلعني الأرض ، بــل

ليضربني الخالق الجبار بصواعقه ، قبل ان انحطّ الى سفالة كهذه فإن زوج أيام شبابي حمل معه غرامي وسيحتفظ به في لحده » .

قالت هذا ، وهي تبكي بكاء مُراً ، فأجابتها أختها: « لمَ تضيعين شبابك في الآلام دون زوج أو ولد ؟ وهل تظنين أن في اللحد من يذكر أو يهتم بهذه الأمور ؟ ولم ينل أحد من الخُطّاب رضاك لا في صور ولا هنا ، فهل تناضلين منى قلبك ؟ حبّاً به ، أذكري شراسة الأقوام الذين تساكنين ، واذكري أخاك في صور وسوء عمله نحوك . ولا ريب في أن قدوم سفن طروادة إلينا لم يكن إلا بمشيئة الأرباب ، وإرادة جينو على الأخصّ . وهذه المدينة التي بنيتِ ، أي عظمة ستبلغ إذا ما ارتبطت بأواصر وثيقة كهذه ! وأي مجد عظيم ستناله قرطجنة ، إذا ما دعمتها قوة طروادة ! ولا تعدّي الصلاة للأرباب وتقديم الضحايا، أما الآن ، وقد مضى زمن الإبحار ، فليكن لك العذر على استبقاء هؤلاء الغرباء قليلاً » .

وهكذا روّحت أنّا عن نفس أختها، وشددت عزمها . وبدأت الاثنتان بتقديم الضحايا للأرباب ، ولجينو على الأخص ، لأنها اكثرهم اهتماماً برابطة الزواج ، ودأبتا على فحص أمعاء الحيوانات الذبيحة ، تبغيان بذلك معرفة

ما سيقع من أحداث . واصبحت ديدو منذ ذلك الحين تصاحب إنياس إلى سور المدينة الذي تبنيه . وكثيراً ما كانت تبدأ حديثها ، ثم تتوقف عنه ، والكلمات لا تزال في منتصفها ، بل اتى عليها زمن كانت تجلس فيه إلى مائدتها وتصغي إلى قصة طروادة تُقصّ وتعاد ، حتى كان النوم يأخذ الحضور جميعاً ، وهي لا تمل الإصغاء . وكان يخيل إليها ، إذا ما بعد إنياس عن ناظريها ، بأنها تراه وتستمع اليه . وقد تعانق اسكانيوس حباً بأبيه ، وهي تخادع في ذلك قلبها . ولكن العمل في المدينة كان يتأخر في هذه الأثناء ، فلم تعد تتصاعد الأبراج في علوها ، ولا يتمرس الشباب في حمل السلاح .

ولما رأت جينو ما آل اليه حال الملكة كلمت فينوس قائلة : « هل رضيت وابنك بهذا النصر الذي نلتماه معاً بالتغلب على امرأة مفردة ؟ إنني أعلم جيداً خوفك من ان قرطجنّة قد تمس هذا الذي تخصينه بحبك بأي سوء . ولكن لمَ يجب أن تقوم الحرب بيننا ؟ لقد كان لك ما تشائين، فلنعقد العهد ما بيننا . على ان تخضع ديدو لزوج فريجياني، وتحضر رجال صور صداقاً لها » .

ولكن فينوس كانت تعلم أنها ترمي من كلامها إلى مقصد سوء ، ينتهي برجال طروادة إلى عدم تملكهم على

ايطاليـا . ومع ذلك فقد جعلت لسانها يتصنع الخطاب ، فقالت : « من هو الذي لا يفضل السلم معك على الحرب؟ ولكنني اشك برضاء جوبيتر عن هـذا الأمر . وعلم هذا من شأنك ، فأنت زوجه ، وحيثما توجهين القيادة اتبعك » .

وهكذا تشاورت الاثنتان ونظمتا الامور على هذا المنوال .
فقد هيء موكب عظيم للصيد في اليوم التالي ، إذ لم تكد تطل شمسه عـلى الأرض حتى كان شباب المدينة مجتمعـاً متزوداً بالشباك ، ورمـاح الصيد وكلاب الأثر . ووقف أمراء قرطجنّة ينتظرون الملكة عند باب القصر ، حيث قام جوادها يلوك لجامه ، وعليه سرج من الأرجوان والذهب . وما هو إلا قليل حتى أقبلت يتبعها الكثيرون ، وقد اتشحت بمعطف صيداني ، رقشت حواشيه بمختلف الألوان . وكانت كنانتها من الذهب ، ومن الذهب كانت عقدة شعرها ، ومنه مشبك معطفها . وكذلك قدم انياسُ يزهو بجمال رائع ، وهو أشبه مـا يكون بأفلون حينما ترك ليديـا ، ومجرى كزانتوس قادماً إلى دلوس ، وقد طوق شعره بإكليل من ورق الغـار ، وطوق من الذهب . ولمـا بلغ الصيادون الهضاب ، وجدوا عدداً عظيماً من الماعز والأوعال . فجعلوا يطاردونها ، وكان اسكانيوس أسبق الصحاب إلى الصيد ،

وأكثرهم هزوءاً به ، فقد كان يتمنى لقـاء خنزير بري أو أسد يخرج اليه من بين التلال ليكون فريسة له .

ثم هبت عاصفة عظيمة ، قصف فيها الرعد ، وسقط البرد ، فتفرق الصيادون يبحثون عن أمكنة يلوذون بها . وبقي إنياس والملكة منفردين عن الصحاب ، فلجـأا إلى كهف واحد ، وهنالك قطعا مـا بينهما عهداً . ولم تجعل الملكة بعد ذلك من حُبها سراً ، بل أصبحت تدعو انياس زوجها .

وسرت الإشاعة حالاً في مدن ليبيا . والإشاعة كما يقال هي أصغر بنـات الأرض ، وهي مخلوقة عجيبة تتحرك بسرعة عظيمة ، لها أرجل وأجنحة مكسوة بالريش ، وتحت كل ريشة تقوم عين ولسان وفم وأذن . تطوي الليل طائرة بين الأرض والسماء ، لا يأخذها نوم . أما في النهار فتتخذ مجلسها فوق قمة منزل ، أو برج سامق ، أو إنها تنشر الرعب على المدن الجبارة . وهي تحب الزائف محبتها للصادق النقي . وقد سارت الآن تبث أنباءها في ليبيا ، وتقص قصة قدوم إنياس الطروادي وزواج ديدو منه . وكيف يعيشان في دعة وعدم مبالاة غير آبهين لما دعيا له من أعمال .

وكان أول من قصدتهم هو الأمير يارباس الذي كان قد تقدم إلى الزواج من ديدو . وقد بلغ منه السخط مبلغاً

عظيماً ، حينما سمع النبأ ، فذهب إلى هيكل جوبيتر يعرض أمام الإلـه ما لحقه من ضيم ، وكيف انه قدّم لديدو هذه مكاناً من سواحله ، راغباً في الزواج منها ، وكيف فضلت عليه رجلاً غريباً عن فريجيا ، وما هو إلا فارس آخر يرتدي من الملابس والحُلي ما يليق بامرأة أكثر منه برجل .

ورأى جوبيتر أن ما يقوله كان حقاً ، فقال لرسوله مركوري : « اذهب وخاطب انياس بهاته الكلمات : إن ملك الأرباب والناس يبلغك هذا القول : أهذا ما وعدت به أمك وهي تنقذك من رماح الإغريق مرتين ؟ وهل أنت ذاك الذي سيحكم إيطاليا ورجالها المحاربين الأشداء ؟ وتبسط ملكك إلى آخر المعمور ؟ وإذا نسيت كل هذا فهل تمنع ابنك قلاع روما ؟ وما مقامك هنا ؟ ولم لا تتجه نحو ايطاليا ؟ فابرح الآن ولا تتمهل » .

فأوثق مركوري خفيه المجنّحين إلى قدميه ، وأخذ صولجانه الذي يسيّر به أرواح الموتى ، وسار تواً إلى جبل الأطلس الذي يحمل السماء على رأسه ، فالضباب يلازم أعلاه والثلج يغطي كتفيه ، أما لحيته فقد قست من الجليد. وهنالك وقف مركوري هنيهة ثم انقضّ كما ينقض طير يطلب فريسته في البحر ، حتى أتى انياس ، حيث أقام يزيّن مقبض سيفه حجر من الشهب ، ويلقي على كتفيه

عباءة وُشّيت بالذهب ، فكلمه قائلاً : « أتبني قرطجنّة وتنسى عملك ؟ إن الخالق الجبار يبلغك هذا : ما هو قصدك ؟ وما تمهّلك هنا ؟ وإذا كنتَ لا تأبه لنفسك ففكّر بولدك ، وان الأقدار منحتْه ايطاليا وروما » .

قال هذا ولم يعد انياس يراه ، فوقف مكانه وقد صعق رعباً وريبة . وودّ لو يطيع الصوت ويفعل ما تريده الأرباب . ولكنْ كيف يُبلغ الملكة قصده ؟ ثم خُيّل إليه أن من الخير أن يدعو اليه بعض الزعماء مثل منثوس وسرجاستوس وانثوس ، وطلب إليهم تجهيز السفن خفية، وأن يعملوا على جمع القوم دون إظهار السبب ، في حين يرقب هو الوقت المناسب ليخاطب الملكة ويبسط لها الأمر .

ولكنّ ديدو لم تخدع ، لأن للحب نظرة ثاقبة . وقد أبلغتها الشائعة أيضاً بأنهم يعدّون السفن للإبحار بها . فطارت تقطع المدينة كما يطير ليلاً فوق جبل سيذارون من يصيبه مسّ من باخوس ، حتى أتت انياس فخاطبته قائلة : « أظننت أنك تُخفي جريمتك ، وأنك ستبرح المكان خلسة؟ ألا يهمّك أمرُ تلك التي ستتركها للموت ؟ أوَلا تخشى عواصف الشتاء التي يضطرب بها البحر ؟ وإذا كان لا يزال هنالك للتوبة مجال ، فتب وارجع عن قصدك ، بحق كل ما فعلته من أجلك ، وما قدّمته لك . فلقد تحملت في

سبيلك سخط أمـراء ليبيا وغضب عشيرتي ، وإذا كنت ستتركني فما معنى العيش لي ؟! هل أعيش لكي يهدم أخي مدينتي ، أو يحملني يارباس أسيرة ؟ ولو كان لي عـلى الأقـل انياس صغير ، يلعب في أبهائي لما شعرت أنني مهجورة بهذا المقدار » .

ولكن انياس خشي كلمات جوبيتر ، فنظر إليها بعين لا تلين ، حتى تكلّم أخيراً ، فقـال : « إنني لا أنكر أيتها الملكة ما قدمته لي من خير ، ولن أنسى ديدو مـا حييت ، ولم أقصد الى الهرب بالخفاء ، على أنني لم أعِدْ بسكنى هذا المكان . ولو كان لي أن أختار ، وأن أتبع رغباتي لأعدت بناء طروادة حيثما كانت قائمة . ولكن أمر الأربـاب أتاني بوجوب السعي الى ايطاليا ، ولك انت قرطجنّة ، فلِمَ تحقدين علينا من أجل إيطاليا ؟ أما تمهّلنا بالسفر ؟ فكيف أقدر عليه وأنا أرى أنخيس أبي يأتيني ، وينذرني في المنام ليلة بعد ليلة ، عدا عن أن جوبيتر قـد بعث إليّ رسوله — وقد سمعته بأذنيّ هاتين — وهو يأمرني بالرحيل » .

فتقدمت ديدو نحوه ، وقد تملكها غضب شديد ، ونظرت اليه شزراً ، وهي تقول : « لا ريب في أنّ أمك لم تكن ربّة ، ولا انحدرت مـن نسل دردنوس ، بل أنسلتك

صخور القوقاز ، وأرضعتك نمرة هرقانية . ولمَ أخادع وأرائي ؟ هل تحرك هو أبداً لدموعي أسفكها ؟ وهل رثى لحبي أبذله ؟ لا بل إن الأرباب نفسها لتَتَألّبُ عليّ ؟ فقد اخترت لنفسي هذا الرجل ، بعد ان تحطّمت به سفينته ، وأشرف على الهلاك ، وقد أعدْتُ سفنه وصحابه ، وأنقذتهم من الدّمار . وها هو رسول جوبيتر لا ريب فيه ، يحمل إليّ من الأربـاب أوامر مريعة . أما أنت فلن احاول الاحتفاظَ بك ، فاذهب وابحث عن ايطاليا هذه عبر البحر ، وإذا كان هنالك ثأر في السماء ، فستدفع العقاب عـلى ما قدّمت يداك من سوء ، فتهلك على أحَد الصخور في أغوار البحر ، وعبثاً ستنادي ديدو عند ذاك ، وسيلاحقك ظلّي حيثما كنت ، ويتملكني السرور هنـا حيث أقيم عند سماعي لأخبار هلاكك » .

وعادت أدراجها مسرعـة نحو المنزل . ولكنها فقدت وعيها ، فحملتها وصيفاتها إلى مخدعها وأضجعتها في فراشها.

وقد اضطرب قلب انياس أيما اضطراب ، وود لو قدر على تعزية الملكة ، ولكنه مع ذلك خضع للكلمة السماوية ، وبرح المكان إلى سفنه . وعكف رجال طروادة على إعداد أنفسهم للسفر . وكما يحتشد النمل ويكدح في سلب كومة كبيرة من الحب يدخرهـا في مساكنه استعداداً للشتاء ،

فيؤلف خطاً أسود طويلاً يتحرك في الحقل ، بعضه يحمل الحب الكبير ، والبعض الآخر يعمل على تأنيب المتوانين ، هكذا احتشد الطرواديون في مختلف السبل يجدّون في عملهم مثابرين .

ولما رأت ديدو ذلك ، دعت أختها أنّا إليها، وقالت : « أترين كيف يسرعون إلى عملهم عند الشاطىء ؟ لقد أصبحوا على استعداد تام للإبحار ينتظرون اتجاه الريح . وقد زين البحارون السفن بأكاليل من الزهر ، كأنهم مبحرون ، فاذهبي الآن – انتِ التي كان المخادع يثق بك على الدوام ، وأنت التي تعلمين أفضل السبل لإلانته – إذهبي وتوسلي إليه ، فإنني لم أسىء اليه ، ولا أسأت إلى قومه ، فليمنحني إذن هذه المنحة فقط . وهي ان ينتظر قليلاً ، ويختار لسفره فرصة أكثر ملاءمة من هذه . ولا أطلب اليه أن يتحول عن مقصده . بل أن يهبني وقتاً أتمالك به روعي ، واتعود فيه احتمال هذا العذاب » .

فأصغت أنّا إلى اختها ، وحملت الرسالة إلى انياس ، ولم تفد شيئاً ؛ لأن الأرباب اغلقت أذنيه دون سماعها . وكما تصمد شجرة السنديان أمام الريح الشمالية التي تحاول اقتلاعها – وقد تناثرت الأوراق من حولها، ولكنها ما تزال

راسخة تمتد جذورها إلى أعماق الأرض ، وترتفع فروعها إلى السماء – هكذا صمد إنياس ، ولم تحوله عن قصده الدموع الغزيرة التي سفحتها .

وقد ملّت ديدو حياتها ، فقد كان الماء القراح يصبح أسود إذا ما قامت لتقديم القرابين ، كما كان النبيذ يتحول إلى دماء ، وكانت تسمع من المزار ، الذي اقامته لزوجها في وسط القصر ، صوتاً يناديها كما كانت البوم تصرخ من أعالي المنزل . وكانت ترى انياس الجائر في أحلامها وكأنه يسوقها أمامه ، أو يخيل اليها أنها تقطع المسافات الطويلة وحيدة لا رفيق لها ولا أنيس ، وهي تبحث عن قومها في صحراء خاوية . وقد خاطبت أختها وهي تخفي ما في قلبها قائلة : « لقد اهتديت إلى وسيلةٍ تُرجعه إليّ يا اختاه أو تحررني من قيده . فإن هنالك عند شاطىء البحر العظيم ، حيث يسكن الأثيوبيون ، كاهنة تحرس هيكل بنات هسفوروس ، وتطعم التنانين الحافظة للتفاحات الذهبية . وهي قادرة بفعل سحرها على تفريج الهموم عن القلب ، أو إيثاق رباطه . كما ان بقدرتها إيقاف مجاري الأنهار وتغيير مساري النجوم ، ودعوة أرواح الموتى . فاعمدي الآن اذن – لأن هذه أوامر الكاهنة – إلى تكديس ركام

في الفِناء المكشوف من الدار ، وضعي عليه السيف الذي تركه معلقاً في غرفتنا ، والثياب التي كان يرتديها ، والمتكأ الذي كان يضطجع عليه ، وكل ما كان يخصه ، لكي تُباد جميعها معاً » .

ولما هُيئ جميع ذلك – وقد كانت أنّا تجهل مقصد أختها – ووضعت فوق الركام صورة انياس ، وقفت الكاهنة محلولة الشعر ، ودعت الأرباب ساكني العالم السفلي، وهي ترش الركام بالمياه ، قائلة : إنه جلب من بحيرة افرنوس ، وتنثر الأعشاب الضارة قائلة : إنها قطعت عندما نام القمر بمنجل من البرونز . وتركت ديدو إحدى قدميها حافية ، وفكت ثيابها ، والقت بالطعام إلى النار ، ثم دعت الأرباب علّ هنالك رباً ينظر إلى اولئك الذين يحبون ويعانون الإساءة .

وكان انياس في هذه الأثناء يرقد عند مؤخر سفينته ، فظهر له الإله مركوري في الحلم ، وكان في الحالة التي رآه عليها عند قدومه اليه يحمل أوامر جوبيتر . فتكلم مركوري قائلاً : « هل تقدر على النوم يا ابن فينوس ؟ ألا ترى ما يحيق بك من الهلاك ، إن الملكة تقصد بك شراً ، وإذا اقمت متمهلاً إلى الصباح ، فسترى أن الشاطىء

قد ملىء بأولئك الذين يتمنون لك الأذى ، فاهرب إذن ، ولا تتأخر ، لأن المرأة كل يوم في شأن » . فاستيقظ انياس من نومه فزعاً ، ونادى صحبه قائلاً : قوموا واجلسوا إلى مقاعدكم ، وأرخوا الشراع ، فإن الذي يطلب الينا الهرب إلَه ، وقطع حبل المرساة بسيفه ، وهو يتكلم وأسرع الجميع يتبعونه ، ويمخرون البحر معجلين .

وكان قد حلّ الصباح ، حينما نظرت الملكة ديدو من برج المراقبة ، فرأت السفن تسير في البحر . فدقّت صدرها ، وقطّعت شعرها ، وصاحت قائلة : « أهكذا يسخر بنا هذا الغريب ؟ فلنسرع لاتباعه ولنأت بالسفن من أحواضها ، ولنهيء السيف والنار . فإن هذا الرجل هو ذاته الذي حمل أباه العجوز على كتفيه ! فلمَ لم أمزقه قطعاً وأذبح صحبه بالسيف ، وأقدم اسكانيوس الصغير له طعاماً ؟ وما يهمني لو هلكت حينذاك ، إنني لمائتة اليوم . فيا أيتها الشمس ، يا من ترين الأرض جميعها ، ويا جينو ، يا حافظة المواثيق الزوجية ، ويا هيكات يا ملكة الموتى ، وأنتُنّ يا ربات الانتقام اللواتي تثأرن من فاعلي الشر ، أصغين إليّ . إذا كان أمر الأرباب بأن يبلغ تلك الأرض ، فامنحنه أن يلقى شتى أنواع العذاب من أعدائه ، وأن يشتّت من بلده ، فيطلب العون من الغرباء ، وأن يرى

قومه يُذبحون بالحسام دون شفقة ، وحينما يستتبّ له الأمن بأسوأ الظروف ، فليحرم من نعيم الملك طويلاً ، وليمت قبل يومه ، فيبقى ملقىً في السهل من غير دفن . وأنتم يا رجال طروادة ! إكرهوا أولاده وقومه إلى الأبــد ، وليُمّح الحب والسلام بينكم وبينهم ، وليقم مــن قبري منتقم يضطهد نسل دردنوس بالنار والسيف ، لكي تبقى الحرب بيني وبينه مستعرة إلى الأبد » .

ثم خاطبت برسة العجوز التي حضنت زوجها سيخوس قائلةً : « أُطلبي الى أختي أن تغتسل بالماء ، وتحضر معها الماشية للذبح ، وضعي إكليلاً حول رأسك ، فإنّ نيتي متجهة إلى انهاء تقديم هــذا القربان الذي بدأته لإحراق صورة رجل طروادة » .

ولما أسرعت العجوز لتلبية مــا أُمرت به ، ركضت الملكة ديدو ، إلى الفناء ، حيث أقيم الركــام للحرق فصعدته ، وسلّت سيف انياس من غمده ورمت نفسها على الفراش قائلة : « إنني أسلم الآن روحي ، وقــد أنهيت عملي ، فبنيت مدينة جبارة ، وانتقمت لزوجي من قاتله ، ولو لم تأتِ سفن الطراوديين إلينا ، لسعدت بل لتمتّت لي السعادة » . ثم قبّلت الفراش ، وأجهشت قائلة : « هل أموت من غير أن يُثأر لي ؟ ومع ذلك فلأمت ، وسيشاهد

رجل طروادة هذه النار من البحر الذي يمخره فيحمل معه شؤم الموت » .

ورأتها الوصيفات ، ويا لهول ما رأين ! لقــد ألقت بنفسها على السيف ، واصطبغت يداها بالدماء ، وتجاوب الصراخ في أنحاء القصر ، وكان صراخاً مريراً ، يخيل معه أنّ الأعداء استولوا على قرطاجنة ، أو صور القديمــة ، وأن النيران تصاعدت فنالت مساكن الناس والأربــاب . وسمعت أختها أنّا هذا ، فأسرعت في وسط الجمع تناديها باسمها وتقول : « أهذه كانت غايتك يا أختاه ! ألهذا كان الحسام والركام والنيران ؟ ولمَ لم تُتيحي لي الموت معك ؟ ولا ريب في أنك قد انتحرتِ يا أختاه ، ونحرت معك أختك وقومك وبلدك . ولكن إليّ أيتها الوصيفات بالمــاء لنغسل جراحَها ، ولعلّ هنالك شيء من الرّمق نقــدر على الإبقاء عليه » .

ثم صعدت الرّكام ، وأخذت أختها بين ذراعيهــا ، وجرّبت أن ترقأ دماءها بملابسها ، وقد جــاهدت ديدو ثلاثاً لتفتح عينيها ، ولكنها عادت ثلاثاً إلى إغمائها . وثلاثاً اعتمدت على مرفقيها للنهوض ، وعادت ثلاثاً إلى الوقوع في فراشها ، وهي تنظر إلى النور بعينين دهشتين وتئن متبرمة بأنها لا تزال تراه .

ورأت جينو من أعالي السماء ما تعانيه ديدو من الألم الطويل ، فرأفت بها وبعثت اليها برسولتها ايريس ، لتحرر هذه الروح التي تكافح للانطلاق . فإن الملكة فرسفين التي رأت أنها لا تموت موتاً طبيعياً ولا بيد انسان ولكنها تموت قبل أوانها بوحي من جنونها ، لم تقطع لها تلك الخليقة التي تقطعها عادة من رؤوس أولئك الذين يموتون . وعليه فقد هبطت إيريس بأجنحتها الندية من السماء ، وقد أحيطت بمختلف الألوان من نور الشمس ، فوقفت عند رأسها ، وقالت : « إنني أسلمك الى الموت كما أمرت ، وأحررك من جسدك » . ثم قطعت الطوقَ فأسلمَتِ الملكة ديدو الروح .

١٠

مباريات مأتم انخيس

لقد بعد الآن انياس ورجال طروادة عن الأرض . ولكنهم حينما التفتوا وراءهم ، شاهدوا نوراً عظيماً لم يعلموا له تأويلاً ، ولكنهم خَشُوا أن ينزل بهم شر ، وهم يعلمون شدة الغضب الذي تحمله لهم ديدو في قلبها ، ويعلمون ما تقدر عليه المرأة عندما تثور ثائرتها . والحقيقة هي ان قوم ديدو كانوا يحرقون جثتها على الركام الذي هيأته بنفسها .

ولكن ها هي السماء تظلم فوق رؤوسهم ، وها هي الدلائل تنذر بعاصفة عظيمة . وصرخ فالينوروس ربان السفينة ، وقد اتخذ مجلسه في مؤخرتها ممسكاً الدفة بيده ، وقال :

« ماذا تعني هذه الغيوم ، وماذا أنت فاعل يا أبا الخلق نبتون ؟ » ثم طلب إلى الرجال إخلاء السطوح ، وإعداد المجاذيف للعمل ، وأن يدعوا الشُّرُع للهواء . ثم خاطب انياس فقال : « قد لا يكون لنا أمل ببلوغ ايطاليا في حالة الجو هذه ، ولو كان الوعد فيها قد أتى من قبل جوبيتر ذاته . ولكن إذا لم تَخُنِّي الذاكرة، فإن شواطىء صقلية قريبة ، فلنولِّ وجهنا شطرها » .

فأجاب انياس : « فلنفعل ؛ لأنني أرى أن الرياح تعاندنا . والحق ان ليس من أرض يسرني الذهاب إليها أكثر من صقلية ، وقد دفن فيها أبي أنخيس » .

ثم حولوا اتجاههم ، وتركوا سفنهم تجري أمام الريح، حتى بلغوا أرض صقلية بأقصى سرعة ، وكان اسستيس ملكها ابن امرأة طروادية ، وما إن رآهم من أعالي هضبة حتى أتى للقائهم ، وقد ألقى على كتفيه جلد أسد ، وحمل بيده نشابة ، وأنعشهم بالطعام والشراب .

وفي فجر اليوم التالي ، دعا انياس إليه رجال طروادة، وتكلم في جمعهم قائلاً : « لقد مضى عام كامل على دفننا لأبي في هذه الأرض . وإذا لم أُخطىء ، فقد كان هذا النهار بعينه . وعليه فإنني راغب في تقديسه والاحتفال به . وقد كنت سأقوم بذلك حقاً ، ولو كنت جوّابة في

مجاهل افريقيا ، أو محجوزاً في مسينا ذاتها . أما الآن ونحن في هذه الأرض الصديقة . فلنحرص على التزام الخشوع والوقار في هذا النهار . ولنأخذ على أنفسنا عهداً بأننا سنحافظ على إحياء هذا اليوم من كل عام في أرض ايطاليا ، إذا ما يسرت لنا الريح الرخاء بلوغها . وقد أعطانا الملك اسستيس ثيراناً خص منها كل سفينة بثورين، فاغتبطوا وامرحوا . وإذا ما حل اليوم التاسع رائقاً جميلاً، فإنني أود إقامة المباريات في الركض ، ورمي النشاب والصيد بالقوس والملاكمة وما اليها . وهلموا بنا الآن إلى إعداد التضحية » .

ثم وضع على رأسه إكليلاً من رياحين أمّه ، وحذا العجوز اسستيس حذوه ، وكذلك فعل اسكانيوس والآخرون . وتقدم إلى قبر أبيه ، وأراق عليه كأسين من النبيذ ، ومثلها من اللبن الطازج ، ونثر الأزهار ، وقال : « سلام عليك يا أبي . يا من لم تسمح الأرباب بدخولك معي إلى أرض ايطاليا » .

وبينما هو يتكلم ، ظهر ثعبان من أعماق القبر ، وقد التف سبع طيات ، ورقّط جسمه بالأزرق ولون الذهب وبألوان متعددة كقوس قزح بين الغيوم . وتوقف انياس دهشاً ! ولكن ها هو الثعبان يمر بين المذبح ، ويتذوق

من الضحية ، ومما أُريق فوق القبر . وارتاب انياس في تعليل ما حدث ، فقام بتضحية جديدة ، وقدم ثورين وخنزيرين ، ثم ثورين أسودين وهو ينادي روح انخيس . وأحضر رجال طروادة عطاياهم ، وذبحوا الثيران للتضحية ، ثم أقاموا وليمتهم يشوون اللحوم بالنار .

وحل اليوم التاسع وقد راقت السماء . وكان احتشاد الناس عظيماً ؛ لأن الملك اسستيس كان يتمتع بشهرة فائقة في هذه الأرض ، كما أن الكثيرين جاءوا لرؤية رجال طروادة . وجاء آخرون للاشتراك في المباريات . ووضعوا الجوائز أولاً في الوسط ، وفيها موائد للتضحية ذوات أرجل ثلاث ، وتيجان ، وسعف النخل ، وأسلحة وثياب أرجوانية ، وزنات من الفضة والذهب . ثم نفخ بالبوق لدعوة القوم للاجتماع .

فبدأوا بسباق السفن ، وتقدم للمباراة فيه أربع منها ، فقاد منثوس حصان البحر ، وقاد جياس الخميرة ، وقام سرغتوس بقيادة القنطروس . أما كلنثوس فكان على قيادة سيلا . وهنالك في وسط اليمّ قامت صخرة ، كان الموج يلفها عند هياج البحر وترتفع من فوقه عند سكونه . وكان يحلو لغربان البحر أن تجثم فوقها طلباً للدفء . وعلى

هذه الصخرة وضع انياس شجيرة من السنديان لتكون للمتبارين هدفاً على ان تدور السفن حولها ثم ترتد عائدة . وبدأوا برمي القداح لتعيين الأمكنة . ثم انتصب كل ربان في مؤخرة سفينته ، وقد اكتسوا الأرجوان والذهب . اما المجذفون فقد ضفروا أكاليل الشرف حول رؤوسهم ، وتطيّبوا بالزيت ، واتخذوا مقاعدهم وأمسكوا بالمجاذيف ينتظرون الإشارة ، وقد خفقت قلوبهم أملاً . ولما أعلن البوق إشارة البدء ، وثبت كل سفينة من مكانها ، وأرغى البحر من كثرة ضربات المجاذيف، وتعالى هتاف القوم تحمساً لهذا أو لذاك من الربابنة . وجاء جياس أولاً على الخميرة، يتبعه كلنثوس على سيلا ؛ لأن رجاله كانوا أقوى الرجال حقاً ، ولكن سفينته كانت اثقل السفن ، وحصان البحر والقنطروس تتساويان سرعة بعد سيلا وتتنازعان السبق، فمرة يكون لهذه وأخرى لتلك .

ولما اقتربوا من الصخرة كان جياس أول المتبارين فصرخ على مدير دفته مينوتيس قائلاً : « لمَ تنحرف إلى اليمين بهذا المقدار ؟ داوم على محاذاة الصخرة وليختر غيرك البحر إذا شاء » . ولكن مينوتيس كان يخشى الصخور الخفيّة فحوّل مَرْنحة السفينة نحو البحر . وصرخ جياس

ثانية يقول : « اتّجه نحو الصخرة يا مينوتيس » . وبينما هو يقول هذا ، اقتربت سيلاّ وسلكت السبيل فيما بين سفينته وبين الصخرة متقدمة عليه . فأخـــذه الحنق الشديد وبكى غيظاً ، ثم قبض على مينوتيس وألقاه في البحر . وأخذ الدّفة بيده ، وحوّلها نحو الصخرة . أما مينوتيس فإن تقدمـــه بالسن وثقـــل ثيابه لم يمكناه من بلوغ الصخرة والجلوس فوقها ، إلا بكل مشقة وعناء ، وضجّ الرجال ضاحكين حينما رأوه ملقىً في البحر ، وهو يحاول السباحـــة ويمجّ الملح من فمه . ولكن منثوس على حصان البحر وسرغستوس على القنطروس لم يريا ما حدث حتى أمّلا بسبق الخميرة في المباراة . وكدح الاثنان جادّين ، وركض منثوس بين رجاله المجذّفين ، وهو يرى أن القنطروس ما زالت أمامه في السباق ، وخاطبهم قائلاً : « أيها الرفاق الذين اخترتهم لصحبتي ، كونوا رجالاً كما كنتم فوق بحار افريقيا وأمواج ايونيا . وأنـــا لا أطلب المقام الأول ولكنني لن أكون الآخر » . فكدّ رجاله بكلّ ما لهم من قوة ، وهـــم ينحنون إلى الأمام مع ضربات المجاذيف . فأسعفهم الحظّ بما أمّلوا ؛ لأن القنطروس ، وقد جعلت سيرها بمحاذاة الصخرة ، ارتطمت بجزء ناتىء منهـا فكسرت مجاذيفها ، واصطدمت مرنحتها اصطداماً شديداً . وبينما كـــان رجاله

يدفعونها بالعمد وما أشبه ذلك تقدّم منثوس بحصان البحر وأدرك المجال مفتوحاً أمامه، وكان قد انتصر أولاً على جياس والخميرة بعـد أن رأى أنها فقدت مدير دفّتها . ولم يبقَ أمامه الآن إلا كلنثوس في سيلاّ ، فاشتدت عليه منافسته، وعلا صراخ القوم يدعون منثوس إلى السرعة ليكون المجلّي. وتنافس رجـــال السفينتين ، فعزّ على اولئك أن يخسروا ما ربحوه ، وجَدّ هؤلاء يؤملون الزيادة من الانتصار ، وقد ودوا لو يضحّون الحيـــاة في سبيله . وكادت السفينتان تتساويان في نيل السبق ، ولكن كلنثوس بسط يديه نحـــو البحر ، ودعا الآلهة ذوي السلطان فيه ، قائلاً : « يا آلهة البحر الذي عليه الآن مسيري ، أعينوني ، وإذا ما فعلتم، فإنني سأضحّي عنـــد مذبحكم بثور أبيض كاللبن ، وأرمي بأحشائه إلى الموج ، وأريق عنده نبيذاً رائقاً صافيـــاً » . فسمعته من بنـــات البحر العصبة جميعاً ، فأتت فانوبي العذراء ، وفورتيمنوس ذاته بيده الجبارة ، وقادا السفينة إلى الامام وهي تفوق بسرعتها الريح الجنوبية ، أو النبـــل رُمي عن القوس . فكانت أول من لامس الشاطىء . فجهر أحد الدعاة معلناً بأن سيلاّ وعليها كلنثوس كانت المجلّية في السباق . وعقـد أكليلاً من الغار حول رأسه ، وقدّم

انياس للجذّافين ثلاثة ثيران ودَنَّيْنِ من النبيذ ووزنة من الفضة . وقدم للربابنة عطايا ، فخص الأول بوشاح وُشِّيَ بالذهب ، وضوعفت حواشيه الأرجوانية ، وطرّزت عليه صورة الصبي الملوكي غانيميد ، وهو يصطاد في جبل إيذا ، وقد بدت حماسته كمن يلهث مطارداً صيده ، ولكن النسر حمله في الجانب الآخر ، فبسط حرّاسه المسنّون أيديهم ، وأرسلت الكلاب نباحها عنيفاً نحو السماء . وقدم انياس للثاني درعا من الزرد ذا حلقات ذهبية كان قد سلبه هو من ديموليون عند نهر سيمويس وكاد اثنان من الخدم ينوءان بحمله لثقله . ومع ذلك فإن ديموليون كان يرتديه ، وهو يطارد رجال طروادة راكضاً بأقصى سرعته ، وكانت الجائزة الثالثة مرجلين من البرونز وكؤوساً فضية تسنّمتها النقوش . ولما تفرّق الجميع فرحين بهداياهم ، قدم سرغستوس يزحف بفلكه التي لم يتمكن من انقاذها من الصخور إلا بشقّ الأنفس فلم تعد صالحة للعمل ، وبقي له صف واحد من المجذّفين ، كان أشبه بثعبان تدوسه في الطريق عجلة ، فيرفع مقدّمه متوعداً ، أما مؤخره فيجرجر على الأرض . هكذا عاد سرغستوس إلى الميناء . ولما رأى انياس أنه عاد بالسفينة والنوتيّة ، قدّم له أيضاً

جائزة هي امرأة كريتية تدعى فولوي ، برعت في العمل على النّوْل .

وانتقى انياس لنفسه بعد ذلك مكاناً من الأرض سوياً ، تكتنفه الغابات ، فجلس على عرش في وسطه ، وأعلن أن على الراغبين في المباراة بالركض المجيء اليه . فجاءه الكثيرون من الطروادين والصقليين . وكان أوريالوس أول القادمين ، وهو فتى ظريف ومعه نيسوس (وكان بين هذين حب عظيم) ، وجاء بعده ديورس وهو من بيت فريام . ثم ساليوس وفاترون وكلاهما من الإغريق . ثم صائدان فتيان هما هليموس وفانوبيس وهما صقليّان من بلاط اسستيس ، وجاء غير هؤلاء كثيرون . فخاطبهم انياس قائلاً : « إنني سأقدم لكل من المتبارين نبالاً كريتية ، وفأساً زينت بالفضة ، لكي لا يبقى منهم واحد بدون عطاء . وسيكون للثلاثة الأولين أكاليل من الزيتون . وسأقدم للمجلي حصاناً بكامل عدته ، وللمصلي جعبة على طراز الأمازونيات ونبالاً من تراقة . وقد حبكت الجعبة بحزام نقش بالذهب ، وشبكت بحلية من الجوهر . أما الثالث فليأخذ هذه الخوذة الإغريقية ويسر بها » .

ولما جُعلوا صفاً اعطيت الاشارة بالركض ، فبدأوا

بـه . وتقاربوا جميعاً مدة من الزمن . ثم سبق نيسوس الجميع ، وجاء بعده ساليوس ، ولكن المسافة بينهما كانت عظيمـة . وكان الثالث اوريالوس وبعده هليموس يزاحمه ديورس مزاحمة شديدة ، جعلته يميل فوق كتفه ، ويكاد يتقدمه لو طال أمد السباق قليلاً . وكادوا يبلغون نهايـة الشوط حينما زلت قدم نيسوس بدم ثور ، كان قـد ذبح في ذلك المكان ، ولم يقدر على تثبيت قدميه ، فوقع وقد لوث بالوحل والدمـاء . ولكنه مع ذلك لم ينس حبيبـه اوريالوس ، فنهض عـن الأرض وتشبث بساليوس لكي يتدحرج أيضاً على الأرض . وعـلى هذا بلغ اوريالوس الهدف أولاً يتبعه هليموس ثالثهما ديورس . ولكن ساليوس جهر بالشكوى إلى الجمع كلـه ، الكبير فيهم والصغير ، قائلاً إنه غُلب بالخدعة ، على أن القوم فضلوا اوريالوس لجمال منظره ، فقد كان الجمال أبداً داعية للفضيلة . وقد لج ديورس يستعجل الأمر لأنه لولا ذلك لما نال الجائزة الثالثة . ثم قال الأب انياس : « إنني لن احدث أي تغيير في الأمر . فان ترتيب الجوائز سيأتي بحسب بلوغ المتبارين الهدف . ومع ذلك فإنني لأشفق على اولئك المتألمين باطلاً » . وهكذا أعطى ساليوس جلـد الأسد الافريقي العظيم بشعره الكث ومخالبه المحلاة بالذهب . فقال نيسوس : « إذا ما

اعطيت جوائز كهذه للمغلوبين واخذتك الرحمة بالساقطين ، فماذا تركت لي ؟ ولا شك في أنني كدت أنـال الجائزة الاولى لولا سوء الحظ الذي شكا منه ساليوس أيضاً » .

ثم أراهم وجهـه وجسمه الملوث بالوحول ، فضحك الأمير العطوف ، وأعطاه مجنّـاً من صنع ديديمون .

١١

مباريات مأتم انخيس (بقية)

ثم قدم انياس عطاياه للمتلاكمين ، فأعطى الغالب ثوراً مذهب القرنين ، ووهب المغلوب سيفاً وخوذة . فهب داريس الضخم فوراً ، وهو الذي جرؤ أن يكون في عداد المتبارين ضد الأمير فاريس، وقهر بوتيس في مباريات مأتم هكطور ، واشتد في ايذائه حتى أسلم الروح (وبوتيس هذا كان من نسل أميكوس الملاكم العظيم ، الذي ذبحه فولكس ، ولم يقف في وجهه ملاكم) . ولما رأى القوم منكبيه العريضين ، وشاهدوا جبروته ، لم يتقدم لمنازلته منهم أحد . ولذا تقدم داريس من انياس واضعاً يده اليمنى على قرني الثور ، وتكلم قائلاً : « إذا لم يكن

هنالك رجل يتقدم لمباراتي فلمَ انتظاري ؟ ألا فاطلب اليهم احضار الجائزة » . والتفت اسسيتس نحو أنتيلوس الذي افترش الحشائش بجانبه ، وقرّعه قائلاً : « هل ترضى بأن تسلب عطايا كهذه دون أن يبدو منك أي اعتراض ؟ فأين أستاذك اريكس ؟ وأين شهرتك التي اجتاحت أرض صقلية ، وتلك الغنائم المدلاة في بيتك ؟ »

فأجاب انتيلوس : « لا تظنن يا اسسيتس أن بي رعباً ، أو أنني لا أقيم للشرف وزناً ، ولكنني بلغت الكبر، وفارقتني قواي ، ولو كنت فتياً كهذا المتبجح الواقف هناك ، لما تريثت بانتظار الجوائز بينما كان عليّ أن اتقدم للقتال » .

عندها رمى في وسط الجمع قفازين عظيمين ، كان يرتديهما اريكس الملاكم الجبار ، وقد أعجب الرجال برؤيتهما ، لما هما عليه من ضخامة ولما اثقلهما من جلد ثور ورصاص وحديد . اما داريس فوقف دهشاً إذ ليس بمقدوره أن يتعرض لسلاح كهذا . ولما رآهما انياس وخبر ثقلهما تكلم انتيلوس وقال : « ماذا كان يقول رجل طروادي لو رأى قفازي هرقل ذاته ، ورأى المعركة الفظيعة التي نشبت على هذا الساحل بالذات ؟ وهذان القفازان هما اللذان كان يرتديهما اريكس ابن اقي : وانك لتراهما ملطخين

بالدم والنخاع ، وقد كنتُ أرتديهما في أيام شبابي . ولكن إذا لم يروقا لداريس ، فله ما يريد فسأطرحها جانباً ، وليفعل هو بقفازيه ما فعلت » .

ثم ألقى رداءه عن كتفيه، فظهرت ذراعاه القويتان وعضلاته، وأعطاهما انياس أقفزة مماثلة ، فوقفا وقد مالا برأسيهما الى الوراء وبدأا المعركة . وكان داريس حقاً أسرع حركـة ونشيطاً وفتياً ، وكان أنتيلوس ضخم الجسم بطيئاً ضيّق النَّفَس ، وقد سدّدا لبعضهما ضربات أصابت منها الصدرين والخدود ولكنها لم تصب المرمى .

وأقام أنتيلوس لا يبرح مكانه ، بل يميل بنفسه ذات اليمين وذات اليسار بعين رقيبة . أمـا داريس فكان مثله مثل من يحاصر مدينة أو قلعة فوق الهضاب فهو يقربها مرة من هنا ومرة من هناك ويتقصّى الأمكنة جميعها ، ويهاجمها بمختلف الطرق . ولكن انتيلوس رفـع أخيراً يده اليمنى بضربـة جبارة رآهـا خصمه ، وهي تهوي ، فتفاداها وذهبت قوة العجوز في الهواء ، فتهالك إلى الأرض بهدّة عظيمة ، كما تنهدّ سنديانة اقتلعت من جذورها على جبل أريمانثوس أو جبل إيذا . فهبّ رجال طروادة ورجـال صقلية من أمكنتهم ليروا الحادث ، وتقدم اسستوس راكضاً وأنهض الرجل العجوز عـن الأرض ، متمنياً أن يهوّن

عليه . ولكن هذا رجع إلى المعركة وهو حانق الحنق العظيم، يثيره الخزي والغضب . وهرب داريس من أمامه الى الحقل وهو ما زال يلاحقه ضارباً إياه تارةً باليمين وطوراً بالشمال، وكانت الضربات تنزل عليه نزول البرد على السطوح .

ولكن انياس طلب اليـه الحد من غضبه ، وخاطب داريس برفق وهو يرجوه وقف النزال ، فقال : « ألا ترى ان النصر اليوم لسواك ، وان الآلهة أخصامك ؟ فلا تقاتل الأرباب » . ثم أمر بوقف المعركة . أمـا داريس فقاده صحبه إلى السفن وهو يكاد لا يقدر على جرّ ساقيه، بينما كان يقذف الدم الثخين من فمه ، وقد تخضبت أسنانه بالدماء . وأخذوا معه جائزته ، وهي درع وخوذة ، أما غصن النخيل والثور فتركا لأنتيلوس الذي قال : « أرأيت يا ابن الآلهة ، وانتم يا أبناء طروادة أي قوة كانت تسكن هذا الجسد ، حينما كنت لا أزال فتيـاً . ومن أي ميتـة أنقذتم داريس هذا » . ثم وقف قبيل الثور ، وضربه في قفازه ما بين عينيه فخرّ إلى الأرض جثة هامدة . وصاح انتيلوس عالياً « اليك يا اريكس أقدّم حياة هذا بدلاً من حياة داريس ، وقد استعضت بشرّهما حقاً عن خيرهما . واطّرح هذين القفّازين جانباً مع هذه المهارة » .

ثم دعا انياس الراغبين بالرمي عن القوس ، وأقام سارية أحضرها من سفينة سرغستوس ، أوثق اليها حمامة بحبل ، وجعلها علامة تهدف اليها ضربات المتبارين . ثم جاء الجميع ، وأجالوا القداح التي وضعوها في خوذة ، فجاء هيبوكون بن هيرتاكوس أولاً ، وبعده فنثوس ، وثالثهما اوريتون أخو فنداروس ، الذي نكث العهد ما بين الطرواديين والإغريق بأن أرسل على مانيلا سهمه . ولكن قدح أسسيتس أبطأ في الخوذة ولم يثب . وفوّق هيبوكون قوسه ، وضرب السارية فاهتزت ورفّ جناحا الطير رعباً . ثم رمى فنثوس سهمه ، ولم يمس الطير ، بل قطع الحبل الذي أوثقه . أما اوريثيون ، فترك الحمامة تطير ، ودعا أخاه فنداروس النبّال العظيم لعونه ، ثم ضربها وهي تطير فرحة بالهواء، فهوت إلى الأرض تحمل السهم في جسمها . ولم يبق إلا أسسيتس، وليس له من هدف يصوب اليه، فأرسل سهمه في الفضاء مظهراً بذلك براعته وقدرة قوسه . ولكن معجزة وقعت عند ذاك ، لم يفهم الناس مغزاها إلا بعد أيام . فقد احترق السهم وهو ذاهب في الفضاء ، وترك خطاً من النار حتى التهم جميعه فكان كالنجم الذي يضرب في السماء ليلاً . ودهش الناس لرؤيته ، ودعوا الأرباب أن يجعلوا فيه خيراً .

ولم يرفض انياس الرمز ، بل أقبل على سيستوس يعانقه ، ويقدم له جزيل العطاء وهو يقول : « خذ هذه الهدايا يا أبي ؛ فإن مشيئة جوبيتر قضت بأن تنال شرفاً خاصاً بهذا الأمر . ولذا أقدم لك هذه الكأس منقوشة بتماثيل الرجال ، وكانت لأنخيس العجوز ، وقد أعطاه إياها سيسوس والد الملكة ايقاب » . ووضع على رأسه اكليلاً من الغار ، فلم يتذمر اوريثيون الطيب مع أنه هو الذي قتل الطير، وقد نال الآخرون عطاياهم وسرّوا بها .

ولكن المجلس لم يفضّ إلى الآن ، بل بقي هنالك منظر يشهدونه ، فقد أقبل اسخانيوس وفتية من رفاقه يمتطون الخيول ، وقد طوقت الأكاليل رؤوسهم . وحمل كلٌّ منهم نشابتين من خشب الكرز . وعلق بعضهم جعبة على كتفه ، وتحلوا جميعاً بعقود من الذهب تنبسط على أعالي صدورهم . وقد قُسموا إلى ثلاث فرق لكل منها قائد يتبعه منهم اثنا عشر ، وكان أحد هؤلاء القواد فريام ابن فوليت وقد دعي باسم جده ، وهو يمتطي جواداً أدهم محجّل القوائم أغر الجبين . وثانيهم أتيس حبيب اسخانيوس . أما الثالث ، وكان أجملهم منظراً ، فهو اسخانيوس على جواد صيداويّ أهدته إياه الملكة ديدو، كما ان أسسيتوس أهدى الآخرين خيولاً صقلية .

ولما أقبل هؤلاء ، علا الهتاف ودوّى تصفيق الأيدي، وبلغ سرور الطرواديين مداه لرؤيتهم هؤلاء الفتيان يشبهون آباءهـــم العظام هذا الشبه الشديد . ثم أعطيت الإشارة ، فانقسمت الفرق إلى زمر كأنهـــا تقتتل في معركة . فهم يكرّون حيناً ويفرّون حيناً . وقد يتّجهون معاً إلى هـــذه الناحية أو تلك . وتعدّدت اتجاهاتهم وحركاتهم حتى لكأنها تعاريج دهاليز اللابيرانت في كريت . وقد كان لهم مـــن الخفة والرشاقة ما جعلهم أشبه بالدّلافين ، وهي تلهو بين أمواج البحر الكرياتي أو بحر افريقيا . وهـــذا النوع من الرياضة علّمه اسخانيوس لقومه ، حينما بنى مدينة البا ، وأخذته عنهم مدينة روما الجبارة وحفظته للأيام المقبلة .

١٢

إحراق السفن ـــ السفر إلى إيطاليا

بينما كان الطرواديون منهمكين في مبارياتهم ، كانت جينو تهيء الشر لهم في نفسها ، وقـــد بعثت برسولها إيريس لإتمامه . وكانت النساء في هذا الحين ينتحين من الشاطىء جانباً بعيداً ، وقد ارتفعت أصواتهن يندبن العجوز أنخيس، ولكنهن حينما نظرن إلى البحر رثين لحالهن ، ولما لا يزال أمامهن من سفر شاق لإتمام رحلتهن ؛ فقد كـــان البحر يخيفهن ، وهن مشوقات إلى مدينة يأوين إليها ويتخذن منها سكناً . ولما ظهرت لهن ايريس ، وقد خلعت عنها شبه الإلهات ، واتخذت شكل بيروة زوجـــة دوريكلوس ، خاطبتهن قائلة : « ما كان أسوأنا حظاً حين لم نُجرّ إلى الموت بأيدي الإغريق . فقد قدم الصيف الخامس ، ونحن

لا نزال نضرب في الأرضين والبحار ، ونسعى إلى ايطاليا هذه التي لا تزال تفرّ من أمامنا . وإن لنا هنا أصدقاء ، ولنا أقارب . فما الذي يمنعنا من إقامة مدينة في هذه الأرض. ألن أرى أسوار طروادة أخرى أبداً ، ولن اجد نهرَيْ طروادة كنثوس وسيمويس في أرض غريبة ؟ فلم لا نحرق هذه السفن الملعونة ، التي تحملنا هنا وهناك ؟ لقد رأيت في الحلم العرّافة كسّندرا ، وكأنها تضع مشعلاً في يدي، وتخاطبني قائلة : « هنا أطلبوا طروادة ، فهنا موطنكم، وان هنا لهياكل ونيراناً » . ثم قبضت على جذوة من نار الهيكل، وألقتها بعيداً على السفن . فصرخت فيرغو حاضنة أبناء فريام قائلة : « يا أمهات طروادة ، ليست هذه بيروة التي نرى ، لاحظن بريق عينيها ، وصوتها ومشيتها . أما بيروة فقد تركتها منذ أمد ، وهي مريضة وقد اشتدّ بها الأسف على غيابها عن اجتماعنا المقدس اليوم » .

ومكثت النساء هنيهة وهن في شك من أمر السفن مريب. فقد أحببن حقاً هذه الأرض حيث يقمن ، وهن يعلمن بأن الأقدار تدعوهن إلى سواها ، ولكنهن حينما رأين الإلهة تنهض بجناحيها ، وتصعد ممرات قوس قُزَح ، مجتازةً إلى السماوات العلى ، أصابهن رعب شديد ، فقبضن على جذوات من نيران الهياكل ، وأشعلن النار بالسفن ،

وللحال التهم اللهيب المقاعد والمجاذيف والدّفات المصنوعة من الصنوبر المدهون . وركض أوميلوس الى رجال طروادة، وهم مقبلون على مبارياتهم ، وقد شاهدوا بأنفسهم هذه السحب السوداء من الدخان ، تتلوّى أمام الرياح وتلتفّ. وسمع اسخانيوس الأمر ، وهو في وسط فرسانه ، فهرع الى المخيم ، وصرخ حال قدومه : « أيّ جنون هذا ؟ إنكم لم تحرقوا مخيم الإغريق ، ولكنكم تحرقون آمالنا . هيا انظروا فأنا رجلكم اسخانيوس » . ثم القى بخوذته الى الأرض ليعرفوه . وأسرع انياس ورجال طروادة بالحضور. وقد تملّك الخجل نساء طروادة مما قدمت أيديهن . وقد ذهب عنهن الرعب فوددن لو اختفين ، ولكن وطأة النيران لم تخفّ عن التهام السفن ، ولم يصب من يحاول إخماد النيران أيّ نجاح . وشقّ انياس المؤمن ثيابه ، ودعا الالهة قائلاً : « جوبيتر . إذا كنت لا تكرهنا كرهاً تاماً ، فأنقذ سفننا من النار ، ولا تعرّضنا للهلاك التام . أما إذا كنت غاضباً، وكان في قتلي رضاك ، فأرسل عليّ صاعقة من لدنك » .

وبينما هو يتكلّم ، أتت زوبعة شمالية ، يصاحبها رعد وبرق ومطر غزير ، فأخمدت النار بعد أن أتت على أربع من السفن وتركتها حطاماً .

ونال القلق من انياس كل منال لهذه الأمور ، واشتدت عليه الريبة فيما يجب عليه عمله ، هل يبقى مقيماً في صقلية

ولا يبـــالي بالأقدار ، أم هل يجري وراء إيطاليا . ولكن العجوز فوتيس كاهن فلاس ، الذي حاز من حكمة الآلهة ما لم يتسنَّ لكل الرجال مجتمعين ، خاطبه قائلاً : « يا ابن الإلهة ! إنه لمن الضروري أن نذهب إلى حيث تدعونـــا الأرباب ، ولعلك تدبر لهذه الضرورة القائمة أمراً . وخذ مشورة الملك استيس ، فهو أيضاً ابن طروادة ، وقد احترق من سفننا أربع ، فأصبح عدد القوم فوق ما تستوعبه السفن الباقية . ولعل البعض يضعف عن احتمال ما نختطه من الأمر . كما أن هنالك رجالاً مسنين ، وعجائز هرمات ، ينهكهم البحر ، وهنالك الضعاف والخائفون ، فاجعل استيس يأخذ هؤلاء اليه ، ويجعل منهم له قوماً . وليبنِ لهـم مدينة يدعوها استانية نسبةً إليه » .

وأخذت انياس سنة من النوم ، وهو يفكر بهذه الأمور . وأتـــاه أبوه أنخيس في الحلم ، وخاطبه قائلاً : « لقـد أتيتك يا بني بدعوة مـــن جوبيتر . فألق بالك إلى نصائح نوتيس ، فهي صائبة خالصة . دع المختارين مـــن فتيان قومك يذهبون معك ، ليكون لك رجال جبابرة أشداء في لايتوم ، حيث يقـوم بينكم القتـــال . ولكنك يجب أن تقصد أولاً مساكن الموتى ، وتعقد معي مجلساً . وأنا حقاً

لا أسكن طرطوس مع الأشرار ، ولكنني أقيم في اليسيوم بصحبة الأبرار . وإلى هنالك ستقودك سيبيل . وهنـــالك ستعلم ما سيقع لك ولقومك من بعدك . والوداع الآن فقد أقبل الصباح وحان رحيلي » .

وتلاشت من أمامه روح أنخيس ، كما يتلاشى الدخان في الهواء ، ولم تبال به حينما أراد بقاءها . فنهض انياس وضحّى لآلهة بيته ولفستا . ثم عقد مع صحبه ومع استستس مجلساً . فأطاع استستس كلامه . ونحّوْا جانباً أولئك الذين سيقيمون في الأرض من نساء ورجال . أمّا الباقون ، وهم قلة في العدد حقاً ، ولكنهم ذوو قوة وبأس ، فقد هيأوا السفن للإبحار . وحدّد انياس أسس المدينة في هذه الأثناء ، كما وضع لها استستس الشرائع والحكومة . وبنوا على جبل اريكس معبداً لفينوس ، كما أقاموا حول قبر أنخيس غابة صغيرة . وخصصوا له كاهناً .

ثم اقاموا حفلاتهم تسعة أيام ، تهيأوا بعدها للإبحار ، وقد صفا الجو ، وهبت الريح الجنوبيـــة رخاء . وتعالى النحيب عـلى الشاطىء ، واشتد العناق ، وقد رغبوا الآن جميعاً في الذهاب لكي لا يفترقوا عن الأهل والصحاب . ولكن انياس هدّأ من روعهم . وبعد أن قدم من الضحايا

ثلاثة عجول لإيريكس ، ورأساً من الضأن للزوابع ، بدأ رحيله .

وكلمت فينوس نبتون قائلة : « إنه ليؤسفني أشد الأسف ان لا تلقي جينو بغضبها جانباً . فلقد خرّبت مدينة طروادة ، وهي لا تزال من بعد خرابها تلاحق أولئك الباقين من أهلها بكره لا مجال للتخفيف من حدته. وأخشى الآن شرّ ما عساها أن تفعله بهم ، فقد أثارت أيولوس الذي أطلق عليهم الرياح جميعها . وألقت الآن في روع النساء عملاً جنونياً بإحراق السفن . ولهذا فإنني أتوسل اليك بأن تمنحهم إلى ايطاليا سفراً أميناً » . فأجاب رب البحار قائلاً : « لقد احسنت في وضعك الثقة بي . أما ما يقع في الملك الذي في حوزتي فقد أوقفت جنون البحر ، كما اهتممت بأمر رجلك انياس ، على الأرض . ألا تذكرين ذلك اليوم الذي لاحق فيه أخيل رجال طروادة إلى مدينتهم ، وملأ الأنهار بجثث موتاهم ، حتى لم يعد بمقدور كزانثوس أن يأخذ مجراه إلى البحر ، وقد كاد انياس أن يلقاه في المعركة وهو الضعيف ازاءه ، فاختطفته بعيداً ، وأخفيته في سحابة . مع أنني كنت أرغب في اعماق قلبي خراب مدينة طروادة ، ولو كانت من صنع يدي ؟ فلا تخشي إذن أمراً ، وسيبلغ جنة افرنوس

سالماً ، بعد أن يهلك أحد صحبه فقط وهو واحد من من كثيرين » .

وراح يجوز البحر في مركبته ، وقد عمه هدوء شامل ، وتلاشت السحب من السماء ، وذهبت معه حيوانات البحر العظيمة ، كما رافقته ربّات البحر وأربابه مثل غلوكس وفاليمون . وصحب تريتون وثيتس وفانوبي العذراء .

وحل رجال طروادة عقدة السفينة ، ونشروا الشُّرُع للريح ، وكانت سفينة انياس في مقدمة العمارة يدير فلينوروس دفتها . وفي الليل هبط « النوم » من السماء ، وقد اتخذ شكل فورباس ، وخاطب فلينوروس قائلاً : « إن كل شيء هادىء ، فخذ لنفسك شيئاً من الراحة ، فهذه ساعتها،ودعني أقوم بعملك مقامك » . ولكن فلينوروس أجاب ، وهو لا يكاد يرفع عينيه : « هل تطلب إليّ أن اثق بالبحار الهادئة والرياح اللطيفة ، كلا إن هذا لن يكون ، فكثيراً ما خدعت بهذه الأمور » . قال هذا ، وهو لا يخفف من تشبث قبضته على دفة السفينة ، أو يحوّل نظره عن النجوم . عند ذلك لوح « النوم » فوق رأسه بقضيب غمس بماء ليث ، وعندما استسلم للرقاد مضطراً ، أمسك به وألقاه في البحر ، مع قطعة من الدفة ، فتخبط في الماء ، وهو يطلب النجدة عبثاً .

ولما قربت السفن من صخور سيرن ، التي كانت في ما سلف من الأيام بيضاء من عظام الناس ، ويعلوهـــا الآن العُسلج ، وتضربها الأمواج المتكسِّرة ، شعر انياس بأن السفينة تتيه عن خطتها ؛ لأن الأمواج والرياح كانت قد تملّكت بهـــا حقاً ، بعد أن هلك مدير دفتها ، فأسرع بنفسه إلى الدفّة ، وحزّ في نفسه كثيراً ما حلّ بصديقه من شؤم .

١٣

سيبيل

وهكذا قدم انياس أرض ايطاليا بالقرب من كومو ، التي كانت موطن سيبيل ، وحوّل الرجال مقـــدم سفنهم نحو البحر ، وأوثقوها بالمراسي ، ثم قفزوا إلى الشاطىء ، وأوقدوا النار ، وراح بعضهم يحتطب من الغابة ، والبعض الآخر يجلب المـــاء من الجدول . ولكن انياس ذهب الى كهف سيبيل العظيم ، حيث أجاز لها أفلون الكشف عـن أمور مقبلة .

وكان الهيكل رائعاً للناظرين ؛ فإليه قدم ديدالوس حين هربه من مينوس ملك كريت ، قدم طائراً في الهواء يتجه جنوباً على جناحين ، وأقام في كومو . ثم كرّس جناحيه تقدمـــة للهيكل ، وقد نقشت على الأحجار فوق الأبواب

الداخلية قصة موت اندروغوز ، واختيار رجال اتيكا لسبعة ممن تصيبهم القرعة من أولادهم ، ليُقدِّموا كفدية سنوية ، وتصاعدت من البحر في الناحيـة الأخرى أرض كريت . وكـان هنالك ما يشبه دهاليز اللابيرانت وطرقها الملتوية ، ولكنهم لم يروا ايكاروس ؛ لأن أباه حينما كان يريد أن ينقش بماء الذهب قصة موته ، كانت يداه تخذلانه ، وقد عاود السّعي مرتين ، وخذلته يداه في المرتين . ولما أراد انياس ان يتابع النظر ، خاطبته الكاهنة تقول : « لا تتريّث في النظر إلى هذه الأمور ، بل سارع إلى ذبح سبعة من ثيران القطيع ، وسبعة خراف تُختار حالاً من بين الماشية» . ولما أتوا الكهف – وكان له مائة باب يخرج الصوت من كل منها – سمعوا سيبيل تصرخ قائلة : « لقد حان الوقت يا إلهي ، أيها الإلـه ! » وقد تغيّر منظرها ، وهي تتكلم ، وحال لون وجهها ، وانحلّ شعرها ، وخفق صدرها ، ثم ضخمت حتى فاقت قامات الرجال . وصرخت تقول : « هل تهمل الصلاة ، هل تهملها يا إنياس الطرواديّ ، أمهمل أنت ؟ فإن الأبواب لا تفتح إلا للمصلّين » . ولم تزد على ذلك شيئاً . فطفق انياس يدعو قائلاً : « يا فوبس ، يا من كنت للطرواديين شفيعاً على الدّوام . يا من وجهت سهم فاريس ليصيب من أخيل العظيم مقتلاً . لقد اتّبعت

أمرك ، واجتزت الأرضين ، وها أنا أحطّ رحالي على شاطىء ايطاليا ، التي كانت وكأنها تفرّ أبداً من أمامي . فهب لنا بأن يكفّ النحس عن ملاحقتنا ، وأنتم أيها الأرباب والربّات الذين لم يضمروا لطروادة حباً ! إرأفوا بنا وارحمونا . أما أنت أيتها الكاهنة فهاتي جوابك لأسمعه ، ولكي أسعى مع بني قومي لتمجيدك إلى الأبد . وأسألك ان لا تكتبيه على ورق الأشجار كي لا تذروها الرياح ، بل دعيني أسمعه بصوتك » .

وبقيت الكاهنة تكافح الرّوح هنيهةً ، حتى تغلبت عليها ، وفتحت الأبواب ، ثم تكلّمت قائلة : « لقد نجوت من مهالك البحر ، ولكنْ هنالك مهالك أدهى وأشدّ ، تنتظرك على وجه الأرض . فإنّ رجال طروادة سيأتون مملكة لافينيوم ، فلا يخيفنّك هـذا ، ولو كانوا يتمنّون لو لم يقدموها . إنني أرى معارك ، وأرى نهر التّيبر يرغي بالدماء ، وهنالك كسانثوس وسيمويس جديدان ، وأخيل آخر وهو أيضاً ابن إلهة . وستظلّ جينو على كرهها لكم . وستظلّ لاجئاً تتوسل بالعون إلى كثير من المدن . وستكون سبب كل هذه النّكبات امرأة أيضاً ، فلا تستسلم ، ولا تلن ، بل سِر قُدُماً متحلياً بالجرأة أبـداً ، كلما لاحت

لك الفرصة ، ولن يدور بخلدك أن أول ما سيأتيك من النجدة سيكون من مدينة إغريقية » .

ولما أنهت هذه الكلمات أجابها انياس : « إن المشاقّ والمهالكّ لن تأخذني على غرّة يا سيدتي ، فقد فكرت في نفسي بكل هذه الأمور . ولكنني أطلب اليك سؤلاً . فها هو باب مسكن الموتى ، وكم أتمنى اجتيازه عليّ أظفر بزيارة أبي . فلقد حملته على كتفي لأنقذه من نيران طروادة ، وتحمّل معي من مشاق البر والبحر ما لا يقوى على احتماله رجل في مثل سنّه . وقد طلب إليّ ان اسألك هذه المنحة . فارحمي الوالد والولد ، وإنك لقادرة على ذلك إذا شئت . ألم يرجع اورفوس امرأته من الموت ، وهو لا يحمل إلا قيثاره ؟ ألم يجتز فولكس هذه السبيل مراراً ، وقد أعتق أخاه من الموت . ولمَ أقص خبر ذيوس وهرقل ؟ فإنني أنا الآخر من نسل جوبيتر » .

وعند ذلك تكلّمت سيبيل قائلة : « إنه لمن السهل يا ابن انخيس أن تنحدر إلى الجحيم ، فإن الباب مفتوح ليل نهار . ولكن الرّجعة ومكافحة الهواء الأعلى فيهما كلّ المشاق . ولم يفعل ذلك إلا القليل ، وهم إما من نسل الأرباب أو من الأعزاء لدى جوبيتر . وإذا شئت مع هذا أن تحاول ذلك فأصغِ إليّ . في الغابة يختبيء فرع شجرة

من الذهب مقدّس لدى ملكة الجحيم . وليس لرجل أن يذهب إلى رحلته هذه ، قبل أن يجتثّه لكي تأخذه الملكة هدية لها . وحينما يجتثّ الفرع ، ينبت دائماً فرع مكانه ، وإذا كان ذهابك يرضي الإلهَة فإنّ الفرع سيلين ليديك . ولكن اعلم أنّ هنالك أحد رفاقك لا يزال مطروحاً ميتاً على الشاطىء . فعليك أولاً أن تدفنه ، ثم تقدّم التضحية اللازمة ولتكن خروفاً أسود . وهكذا تقدر أن تقترب من مساكن الموتى » .

ترك انياس الكهف ، ومعه اخات ، ولشد ما تساءلا عمّن يكون ذلك الميت من رفاقهما . ولمّا قدما الشاطىء وجدا ميزانوس ، وقد طُرح أرضاً ويا للهول ! انه الرجل الذي ليس لبراعته في دعوة الرجال إلى القتال مثيل ، إذا ما نفخ في الصّور ، وقد كان لهكطور رفيقاً فيما سلف من الأيام ، ثم صحب انياس . أما الآن فقد نفخ في بوقه عند الشاطىء ، وتحدّى الأرباب لمباراته . فقبض عليه غول البحر ، وأغرقه في الماء فلقي حتفه . فعمد انياس ورفاقه إلى تهيئة دفنه ، وراحوا يقطعون من الغاب أشجار البلوط والسنديان والكمثرى . ولمّا رأى انياس شدّة اتساع الغاب ، قال : « فلتسمح الأرباب بأن يكشف فرع الذهب في هذه الغابة الفسيحة عن نفسه » . وبينما هو في هذا القول ،

طارت من أمام وجهه حمامتان ، واستقرتا على العشب ، فعرف فيهما طيري أمه ، وصرخ قائلاً : « هيا أرشداني الى الفرع الذهبيّ ، وأنتِ يا أماه هيي لي عونك كما كنت تفعلين فيما مضى » . فطارت الحمامتان ، وما زالتا على قيد البصر منه وهو يتبعهما ، ولكنّهما لما بلغتا فم أفرنوس حطّت كلتاهما على الشجرة ، ويا لروعة ما هناك ! لقد لمع الفرع الذهبي من بين الغصون وصفّق للريح ، فاقتطعه إنياس فرحاً مسروراً ، وحمله إلى مسكن سيبيل .

وقام رجال طروادة بدفن ميزانوس في هذه الأثناء ، واحتفلوا بذلك احتفالاً عظيماً عند الشاطىء ، فبنوا ركاماً من الحطب ، وغسلوا الجثة ، وطيّبوها وأسجوها في النعش ، ومن فوقها الملابس التي كان يرتديها حياً . وعمد الآخرون وقد حوّلوا وجوههم إلى حمل المشاعل نحو الغابة ، وهم يحرقون عليها البخور ويقدّمون الزيوت . ولما تمّ الإحراق أخمدوا بقاياها بالنبيذ . وجمع كورينوس العظام في قمقم من البرونز . وطهّر القوم وهو يرشهم بالماء بواسطة غصن من شجر الزيتون .

ثم أقام إنياس هضبة عظيمة وضع فوقها بوق الميت وقوسه ، وتدعى هذه الهضبة ميزانوس تخليداً لاسمه إلى يومنا هذا .

ولما تمّ الدفن عمل حسب أوامر سيبيل ، فقد كانت هنالك مغارة كبيرة تنبعث منها رائحة كريهة إلى حدّ لا يقدر للطير معه أن يجتازها ، طائراً . وإلى هنالك جلبوا أربعة ثيران سود ، وصبّت الكاهنة النبيذ على رؤوسها ، وجزّت شعراً من بين قرونها ، ولما أحرقوا هذا ذبحوا الثيران وهم يحملون الأوعية للدماء . وقدّم انياس للمكات الخوف حملاً أسود ، وللملكة الجحيم عجلة عقيماً ، وقد ذبحها بسيفه . وأحرقوا الأحشاء بالنار وصبّوا فوقها زيتاً . وسمع للأرض من تحتهم صوت زاعق ، ونبحت الكلاب ، وكانت الآلهة على مقربة منهم . وصرخت الكاهنة قائلة : « اذهبوا يا من ليس لكم في هذا الأمر شأن . أما انت يا انياس ، فاستلّ حسامك من غمده ، واتبعني ، فأنت بحاجة الآن إلى كل قواك وشجاعتك » . ثم غاصت في الكهف ومعها انياس .

١٤

مساكن الموتى

لقد ذهبا معاً بجوزان أرض الأشباح ، فكانا أشبه برجلين يقطعان غابة لا يتخللها إلا نور مريب ، يلقيه القمر وقد سطع حقاً ، ولكنّ الغيوم تغشّي السماء . فأتيا أول ما أتيا أبوابَ الجحيم ، حيث يقيم الحزن ، والنّدم ، والسّقم الشاحب ، والخوف ، والجوع الذي يحفز الناس الى الخطيئة ، والعوز ، والموت ، والنّصَب ، والنوم نسيب الموت وقريبه ، والحرب القاتلة . ورأيا غرف ملكات الرعب والتنازع وشعورهنّ حيات تقطر دماً . وفي هذه المنطقة دردارة عظيمة تسكن على أغصانها جميع أنواع الأحلام ، وأشكال من جميع أنواع الهول الشريرة ، مثل صنتورس الذي كان نصفه رجلاً ونصفه حصاناً ، وبرياروس ذي المائة يد وغيرهما من الأشياء التي حينما رآها انياس ،

أسرع إليها بسيفه ناوياً قتلها ، ولكن مرشدته حذّرته بأنها ليست إلا أشباحاً .

وقدما بعد ذلك إلى نهر الجحيم ، حيث يكدح الملاّح شارون ، وله لحية طويلة بيضاء شعثاء ، وقد ثبّت ناظريه بتحديق متقد ، وعُقد على كتفيه شال كما هي عادة الملاحين . وهو كهل عجوز ولكنه صحيح الجسم مورّد الوجه . وهنالك على الشاطىء ازدحام دائم ، وحشد عظيم من الزوجات والأمهات ورجال الحرب البواسل ، ثم فتيات وفتيان قَضَوْا قبل الزواج ، وشبان يُضجَعون على رُخام الدفن أمام أعين والديهم ، كل هؤلاء تكاثفوا وكأنهم أوراق الشجر تتساقط على الأرض عند بوادر صقيع الخريف ، أو كأنهم طير الخطاف يجمع بعضه بعضاً ، ويتأهّب للطيران عبر البحر إلى أرض الشمس . وكان شارون يأخذ بعضهم إلى سفينته ، ويمنع البعض الآخر مبتعداً عن الشاطىء . وقد عجب انياس لرؤيتهم فقال : « أيتها السيدة : ماذا يعني هذا الحشد عند الشاطىء ؟ وماذا تطلب هذه الأرواح ؟ ولمَ يُطْرَدُ بعضهم عن النهر ويعبره الآخرون ؟ »

فأجابت سيبيل : « إن هذا النهر الذي ترى هو نهر ستيكس ، وبه يقسم الأرباب في السماء ، ويخشون الحنث

بيمينهم . وهؤلاء الذين رأيتهم يُطردون عن الشاطىء هم الذين اخطأتهم مراسيم الدفن ، أما الذين يعبرونه فهم الذين دفنـــوا كما يجب . فلا يعبر هـــذا النهر إلا الذين دفنت أجسادهم في قبورها ، وإلا فهم يظلّون هائمين مائة عام ، وقد يعبرونه بعد ذلك .

وقد رثى انياس لسوء حظهم ، وكانت شفقتـــه أشد حينما رأى اورونتس وجماعته الليقانيين ، الذين ابتلعهم اليمّ أحياء أمام عينيه ، ورأى كذلك فالينوروس قائد سفينته ، ولم يتعرف عليـــه إلا جاهداً ، ولم يكد يبصره في الظلام حتى خاطبه قائلاً : « أيّ إلـه أخذك منا ، وأغرقك في البحر ؟ ولا ريب في أن افلون قد خدعني في هذا الأمر قائلاً بأنك ستنجو من البحر ، وتبلغ أرض إيطاليا » .

فأجاب فالينوروس : « أجل يـا إنياس العظيم ، لقد بلغت أرض ايطاليا ، وقد حملتني ريح الجنوب ثلاثَ ليال فوق البحر ، ورأيت في اليوم الرابع أرض ايطاليا من فوق الموج ، ولما سبحت إلى الشاطىء ، وتشبثت بصخوره ، وقد ثقلت ملابسي المبتلة بالماء ، أتاني القوم الوحشيون ، وأخذوني فريسة وذبحوني . والآن فإن الريـــاح والأمواج تدفعني حيث تشاء . فأسألك بحق أبيك ، وبحـــق يولوس أمل بيتك ، أن تنقذني مـن هذا العذاب . وأتوسل اليك

أن تذهب إلى سماء فاليا ، وتهيل عـــليّ التراب للدفن ، أو أعطني يدك الآن وخذني معك عبر النهر » .

فقالت الكاهنة : « أيّ جنون هذا يـا فالينوروس ؟ أتقطع النهر قبل تأدية ما يجب عليك من مراسيم الدفن ، وهل تقدر على النظر إلى وجوه ملكات الخوف المرعبة ؟ ولا تظنن أن الأقدار تتغير بـالدعوات . ومع ذلك فـاسمع ما أقول وهدّىء من روعك . إن هؤلاء الذين أقدموا على ذبحك سيقدمون لك كفارة ، بعد ان نزلت بهم الأوبئة ، واشتدت عليهم وطأتهـــا ، فسيبنون لك قبراً ، ويقدمون عنده الذبائح عاماً فعاماً . وسيسمى مكان ذبحك باسمك » .

فهدأ روعه ، ومضى في سبيله ولكنّهما لما قربا مـــن النهر صاح بهما الملاح قائلاً : « إلبثا حيث أنتما ، أيـان كنتما يا من تقدمان إلى هذا النهر مسلحين . وأخبراني ماذا تطلبان . إن هـذه أرض الأشباح ، أرض النوم والليل ، أما الأحياء فلا يعبرون في هذا الفلك . وكان يوم سوء ، ذلك اليوم الذي حملت فيه هرقل وذيسوس وفيريذوس ، مع أنهم كانوا أبناء الآلهة . فقد كبّل هرقل الكلب الحارس للنار بسلسلة ، وجرّه وهو يرتجف رعباً من سيده . أما ذيسوس ورفيقه ، فقد قصدا إلى حمل الملكة من غرفة زوجها » .

عند ذاك أجابت سيبيل : « إننا لم نأتِ هنا ، ونحن

نقصد شراً فلا تقلق . ودع الكلب الحارس لجهنم يخيف الأشباح الباهتة ، ودع ملكتك تقيم في قصر زوجها ، فإننا لن نقربهما بضرّ . ولكن انياس الطروادي نزل إلى جهنم لكي يخاطب أباه . وإذا كنت لا تأبه لِبرّ كهذا ، فإنك ستتعرف على هذا الرمز » .

وقدّمت له الفرع الذهبي، ولما رآه ترك سخطه جانباً، وقد سرّ لرؤية الهدية الرائعة بعد عدّة سنين . ثم قدم فلكه من الشاطىء ، وطرد منه الأرواح التي كانت فيه ، وأخذ اليه انياس والكاهنة . وقد أنّ الفلك ممّا يحمل من ثقل ، وتدافعت المياه سريعة نحو الحافة . ومع هذا فقد عبرا النهر بسلام .

ثم رأيا سربيروس الكلب الحارس في كهفه ، فأعطته سيبيل فطيرة منوّمة من العسل وبزر الخشخاش ، وقد ابتلعها ، وهو يفتح أفواهه الضارية الثلاثة ، فانبسط في عرض كهفه ، ونام في الحال .

وسمعا بعد هذا نحيب أطفال شديداً ، وهي أصوات أولئك الذين قَضَوْا قبل أن يأخذوا نصيبهم ، أو ينالوا قسمتهم من الحياة . وعلى مقربة منهم أولئك الذين ماتوا بتهم مزوّرة ، ولم تنقصهم العدالة مع ذلك ، فقد كان مينوس يفصل في قضاياهم . ومن ورائهم أولئك الذين

لا ذنب لهم ، وقد أسلموا أنفسهم ، وودّوا الآن لو تحمّلوا المشاقّ ، وبقوا على قيد الحياة ، ولكنْ أنّى لهم هذا ، وهذا النهر يحتفظ بهم مع مجراه البغيض ، كأنهم في سجن. ولا تبعد عن هؤلاء كثيراً حقول الحداد ، حيث تسكن أرواح الذين ماتوا حباً ، مثل بروكريس الذي قتله سنالوس خطأ ، ولوداميا التي قضت نحبها حُزناً على زوجها . وبين هؤلاء كانت ديدو وقد شفيت حديثاً من الجرح الذي قتلت نفسها به . ولما رآها انياس ، وقد غشيها الظلام بين الاشباح، فكان كأنه يرى ، أو يخيّل إليه أنه يرى على ضوء القمر المتأخر ، انتحب وقال : « إيه يا ديدو ! لقد كان حقاً إذن ما وصل إليّ من أخبار تقول انك قتلتِ نفسك بالسيف . أخبريني هل كنتُ سبب انتحارك ؟ لقد كنت مكرهاً أيتها الملكة — وإنني لأُقسم على ذلك بكل ما هو مقدس في السماء أو الجحيم — على ترك بلادك . ولكن الأرباب التي أتيت هذه الأرض اليوم بطلب منها ، أجبرتني على ذلك قسراً . ولم أكن أعلم بأن رحيلي سيسبّبُ لك كل هذا الأسى . ولكنْ تريثي قليلاً ، ولا تذهبي ، فلن أقدر على محادثتك إلا هذه المرّة فقط » .

قال هذا ، وبوده لو قدر على تخفيف حدة غضبها ، ولكنها أرخت عينيها الى الأرض ، وكان قلبها قاسياً عليه

قساوة الصخر . ثم دخلت غابةً قريبة من المكان ، كان فيها زوجها الأول سيتوس الذي أحبها بقدر ما كان محبوباً . وقدما بعد ذلك الأرض التي يسكنها الأبطال . وهنالك رأيا تيتوس ، الذي مات أمام طيبة ، وادراستوس وكثيراً من رجال طروادة ، ورأيا أبناء انطنور الثلاثة ، وايدوس حامل سلاح الملك فريام ، الذي كان يحمل الأسلحة ويقود المركبة . وقد اجتمع كل هؤلاء من حوله ، وهم يودّون معرفة سبب قدومه . ولكن حينما رأى جيش الملك أغاممنون سلاحه يلتمع في الظلام ، فرّوا كما كانوا يفرّون إلى السفن في الأيام السالفة . ولقد كان بعضهم يصرخ عالياً ، لو قدر على ذلك ، ولكن أصواتهم كانت ضئيلة لأنها أصوات الموتى .

ورأى ذيفوب بن فريام بين هؤلاء، وقد شُوه تشويهاً فظيعاً ، فقد قطعت ذراعاه ، وجدع أنفه ، وصُلمت أذناه ، حتى كادت معرفته تخفى على إنياس . أما هو فقد ودّ لو خبأ جروحه خجلاً ، ولكن ابن انخيس خاطبه : قائلاً : « من هو الذي عاملك بهذه الصورة القبيحة يا ذيفوب العظيم ؟ لقد قيل لي إنك وقعت قتيلاً في آخر ليلة من ليالي طروادة ، فوق ركام من رجال الإغريق ، قضيت عليهم قبلك . ولذا فقد أقمت لك قبراً

عند الشاطىء ، وهتفت باسمك ثلاثاً ، ولكنني لم أجد جثتك لأقوم بلحدك » .

فأجاب ذيفوب : « إنك لم تدع شيئاً لم تفعله لأجلي ، بل قدمت لي كل إكرام وتمجيد ، ولكنّ سوء حظي ، والوقاحة اللعينة التي كانت عليها المرأة الاسبارطية ، هي التي سببت هلاكي . وأنت تعلم كيف قضينا تلك الليلة الأخيرة ، ونحن نمرح لاهين ، أما هي فقد كانت تحمل مشعلاً في القلعة ، بينما كانت نساء طروادة يرقصن أمام الآلهة . وبدت كأنها تقود حركاتهن ، أما الحقيقة فهي أنها كانت تشير إلى الإغريق في تنذوس وتدعوهم . وقد اضطجعت في غرفتي بعد ان أنهكني التعب ، فدخلتْ ، وكانت زوجة شريفة حقاً ! وجمعت السلاح من المنزل ، حتى سحبت سيفي الموثوق من تحت رأسي ، ثم عمدت إلى إدخال مانيلا آملة ان تمحو بذلك ما اقترفته نحوه من إثم ، وأدخلت أوذيس الذي كان دائماً على استعداد لتقديم النصائح الشريرة . وماذا تنتظر أكثر من ذلك ؟ فلتفعل بهم الأرباب ما فعلوا بي بل أدهى وأمرّ . ولكن قل ما الذي جاء بك إلى هنا ؟ »

وكان الوقت قد جاوز الظهيرة ، وقد قضى هذان الاثنان جميع الوقت المحدد لهما بالحديث ، فقالت سيبيل :

« لقد أقبل الليل يا إنياس ، وأضعنا نهارنــا بالدموع . فهيا بنا ! وهاك سبيلين هنا احدهما إلى اليمين وهو يقود إلى قصر فلوتو وسهول ايليز . والآخر إلى الشمال يـأخذك إلى طرطوس مقر الأشرار » . فأجاب ذيفوب : « لا تغضبي أيتها الكاهنة العظيمــة ، وسأرجع إلى مكاني ، فاذهب يا صديقي ، وليرافقك التوفيق » .

وبينما كان انياس ينظر حواليــه ، رأى بناء عظيماً ، وحوله سور ذو ثلاث طبقــات ، وحول السور نهر من النار . وهنالك بوابات عظيمة ، وبرج من النحاس جلست فيه تيزيفون احدى ملكات الرعب حارسة . وسمع أصوات اولئك الذين يطرقون فوق السندان وقرقعة السلاسل . فوقف وقال : « مــا معنى هذا الذي أسمع وأرى ؟ » فأجابت سيبيل : « إن قدم الصالحين لا تجتاز عتبة هذا المكان . ولكن ملكة الجحيم أخذتني بنفسها إلى هنا ، وأخبرتني بكل شيء عن المكان حينما سلمتني مركزي هذا . فهناك يجلس رادامنتوس الكريتي ، ويقسط بين الموتى ، فمن قضى عليهم أخذتهم تيزيفون ، وفتحت البوابة التي رأيت لاستقبالهم . وهنالك في الداخل حفرة عظيمة ، عمقها بقدر علو السماء عن الأرض ، فيها يرقد اليتانيون أبناء الأرض الذين ضربهم جوبيتر بصاعقة من عنده . وفيها أبناء الوس الذين جاهدوا

لطرد الأربــاب من السماء ، وسالمونوس الـذي كان يود الاستهزاء بصواعق جوبيتر ممتطياً مركبته ، يقطع بها مدن ايس ، ويهز مشعلاً مدعياً أنه إلـه . ولكن البرق ضربه في كبريائه . ورأيت أيضاً تيتيوس ، وقد تمدد فوق تسعة أفدنة من الأرض ، ووقعت عليه النسور تقتات من فؤاده . ورأيت بعضهم ، ومن فوقهم صخر عظيم يكاد ينقضّ ، والبعض الآخر جلوساً إلى وليمة لا يكادون يمدون اليها يداً حتى تمنعهم ملكــة الرعب الجالسة إلى جانبهم ، وترفع مشعلها وتهزه فيصمّ الرعد آذانهم . ثم هؤلاء الذين كرهوا إخوتهم في الحياة الدنيا ، أو ضربوا آباءهم وأمهاتهم ، أو خدعوا من وثق بهم ، أو احتفظوا بغناهم لأنفسهم ، ولم يأبهوا حتى ولا لأهل بيتهم (وعددهم كثير) ، أو أثاروا نزاعاً أهلياً . ومن هؤلاء من يدحرج حجراً عظيماً ، ولا يقف ، ومنهم من أوثق إلى عجلات ، ومنهم من جلس يصرخ أبداً : « سنعمل صالحاً ونخشى الأرباب » .

ولما انتهت الكاهنة من هذا الكلام ، أسرعا في سبيلهما ، وبعد هنيهة قالت : « هذا هو القصر الذي بناه السيكلوبيون لفلوتو وملكة الجحيم . وهنا يجب علينــا أن نقدم الغصن الذهبي » . وبعد أن فعلا ذلك قدما إلى مساكن الصالحين .

هنا الفسحات الخضراء تحيطها الغابات ، ونور جنتهم أشرق وأعم مما وقعت عليه عين بشر . فلهم شمس غير شمسنا ، ونجوم غير نجومنا ، فبعضهم يلهو بالملاكمة والركض ، وبعضهم يرقص رقصاً مُوقّعاً ، وهم يغنون انغاماً بهيجة، وقد ارتدى اورفوس ثوباً فضفاضاً ، وجلس يُوقع لهم ؛ فكان يمس قيثاره بأصابعه حيناً ، وبقوس من العاج حيناً آخر . وهنا كان إعجاب انياس عظيماً ، فقد رأى جبابرة الرجال السابقين مثل ايلوس ودردانوس الذي بنى طروادة . وقد شُكّت رماحهم في الأرض جانباً ، وتركت خيولهم ترعى في الحقل . فهم لا يزالون يحبون الرماح والمركبات والخيول ، كما كانوا يحبونها على الأرض . وأقبل بعضهم يحتفلون ، وقد اتخذوا من العشب مجلساً ، وفاح عليهم شذى لطيف من بستان من الغار ، حيث يجري النهر الذي يدعوه أهل الأرض باسم فو . هنا أقام الذين قضوا لأجل وطنهم ، والكهنة المقدسون ، والشعراء الذين لم يأتوا أمراً إدّاً ، أو الذين استنبطوا اختراعاً بارعاً ، أو أولئك الذين قدموا للبشر خدمة عظمى . وجميع هؤلاء كُللت رؤوسهم بأكاليل بيضاء كالثلج . وخاطبت سيبيل موزوس الذي وقف في وسطهم ، وقد بزّهم جميعاً بطول قامته ، وقالت : « خبريني أيتها الأرواح السعيدة أين نجد انخيس » . فأجابها

موزوس : « ليس لنا أماكن للإقامة معروفة ، فاصعدا هذه الهضبة ، ومنها تريان جميع السهل تحتها ، ولا شك في أنكما واجدان من تطلبان » .

فأبصرا بأنخيس ، وقد جلس إلى واد أخضر ، وهو يُعنى بأرواح أولئك الذين سيولدون من نسله . ولما رأى انياس قادماً ، بسط يديه ، وقال : « هل أتيت يا ولدي ؟ وهل وجدت طريقك اليّ ؟ لقد ظننت أنك فاعل ، ولم يخب املي » .

فأجاب انياس : « أجل لقد اجتزت طريقاً طويلاً لرؤيتك ، كما رغبت إليّ روحك ، ولكن دعني أعانقك وأضمك بين ذراعيّ » .

ولكنه حينما حاول عناقه كان كمن يقبض على الهواء .

ثم نظر انياس فأبصر نهراً ، وعنده حشد عظيم من الأرواح ، وقد تكاتفت تكاتف النحل على جنّة من الزنابق في يوم صيف هادىء . وحينما رغب في معرفة سبب هذا الاحتشاد ، قال انخيس : « هذه أرواح أولئك الذين ما زال عليهم أن يعيشوا في الأبدان الفانية . وهم مجبرون على الشرب من ماء النسيان » . فقال انياس : « لا يا أبي ، وهل هنالك من يرغب في الرجوع إلى الجسم الميت ؟ »

فأجاب انخيس : « أصغ إليّ يا بني ، وسأخبرك بالأمر كله : إن هنالك روحاً واحدة في السماء والأرض ، في النجوم وضياء القمر السيّار ، وفي الشمس ذاتها التي تنبت منها حياة الانسان والحيوان ، والطير والهواء ، وأسماك البحر . ولهذه الروح طبيعة إلهيّة ، ولكن الجسم الفاني يجعلها بطيئة بليدة . وهنا يأتي الخوف والرغبة ، ويأتي الحزن والفرح . ولهذا فإن الروح تكون في هذه الحالة وكأنها في سجن ، وتعود لا ترى الضوء خارجاً . وحينما تبلغ الحياة الفانية نهايتها ، لا يكون الإنسان قد خلص من كلّ شرور الجسد ، بل إن هذه لا تطرح جانباً إلا بطرق عديدة عجيبة . فبعضها يعلق في الهواء ، وتغسل شرور الآخرين بالماء ، ومنها ما يحرق بالنار ، ولكننا جميعاً نجابه عذاباً مريعاً ، ثم يرسل من يستحق منّا إلى اليسيوم، وإلى حقول المباركين . وعندما تنقّى الروح تماماً بعد عدد من الأيام ، يرسل بها إلى نهر النسيان لكي تشرب منه ، ثم تعود إلى العالم الأعلى » .

ثم أخذ بأنياس وسيبيل إلى هضبة يرون منها الجمع كله ، وتطالعهم الوجوه القادمة من حيث يجلسون ، ثمّ قال : « تعال أريكَ هؤلاء الذين سيأتون من بعدك . إن هذا الفتى الذي ينحني على رمح أبتر ، هو سيلفيوس ابنك

الأصغر ، الذي ستحمله لك لافينيا في أيام شيخوختك . وسيحكم البا ، ويكون أباً لملوك . وهنالك ملوك عديدون سيبنون مدناً عظيمة شهيرة . ثم انظر هذا هو رومولس ، الذي ستحمله إيليا لمارس . وسيبني روما التي سينبسط حكمها على الأرض ويمتدّ مجدها إلى السماء . وهل ترى ذاك الذي يتوّج رأسه تاج من الزيتون ، وله لحية بيضاء ؟ هذا هو الذي سيضع لروما شرائعها . وبجانبه تولوس المحارب . وهؤلاء هم التاركينيون ، وهذا بروتوس الذي سيحرر البشر ، أجل ، وسيقتل بنيه لأنهم أرادوا بوطنهم شراً . وانظر إلى دسي وتوركاتوس مع الثّور العنيف ، وكاميلوس الذي سيستردّ أعلام روما . وهناك يقف ذاك الذي سيخضع كورنثا . وهناك آخر سيثأر لدم طروادة من سلالة أخيل. وتقدر أن تشاهد السيبين ، وهم صواعق الحرب الذين ستخشاهم أرض افريقيا ، وهذا ريخولوس منهمك بالأخاديد. وأخيراً وليس آخراً ، هذا هو فابي أعظم الأسماء طُرّاً ، وهو الذي سينقذ بلادك بهوادة وحكمة . هؤلاء يا بنيّ هم بنو بنيك ، وهنالك غير هؤلاء وهم الذين سيحفرون وجوه البشر بالرخام بلمسات أرقّ من تلك ، وسيذيبون البرونز. وسيبرهن غيرهم عن براعة اعظم أو انهم يخططون السماء أو يخبرون عن مطالع النجوم . وإخضاع العالم هو لك

يا رجـــل روما . وعملك أن تقيم السلام بين المغلوبين ، فتدع الخامل وتقهر المتكبِّر » .

ثم تابع كلامـه قائلاً : « وخصّ باهتمامك مارسلوس أول مرافق للفاتحين ، فهو الذي سينقذ الحكم في أيـام الاضطرابات ، وسيهرب من أمامه القرطاجيون والغوليون». فقال انياس ، وقد رأى بجانبه فتى يرتدي السلاح اللامع ، وجماله يسر الناظرين ، ولكنه كئيب يسبل عينيه إلى الأسفل: « قل لي يا أبـي من يكون هذا ؟ ما أشرف منظره ! وما أحسن هذه الزمرة التي ترافقه ! ولكن هنالك ظل من الظُّلمة يحيط برأسه » .

فأجاب انخيس : « لا تبحث يـا بني عن معرفـة ما سيحل بأبنائك من حزن عظيم بعدك . إن الأقدار لن تظهره للبشر إلا بمقدار ، وإذا عاش ، فإن الأرباب سيرون بأن رومـا قد اشتد جبروتها وعظم . وأي حداد سيكون عليه ! وأيّ مأتم سيقام له . ويا نهر تيبر ! إنك ستجري قرب لحده المشاد حديثـاً ، ولن يرجى من فتى من نسل طروادة مـا يرجى منه ، ولكن واحسرتاه ، إن صلاحه وصدقه وشجاعته لا يعلى عليها ، وأنت أيها الفتى السيء الحظ ، إذا اتفق وقدرت على نقض هلاكك المشئوم فانك ستكون كمارسيلوس . أعطني قبضات من الزنابق . وسأنثر

هذه الأزهار النيرة واقدم لظل حفيدي الإكرام التافه » .

وهكذا أرى انخيس ولده أموراً قادمة ، وأضاء روحه برغبة إلى المجد ، ثم أراه الحروب التي سيشتبك بهـا ، وكيف يجب أن يكابدهـا ، أو أن يتفادى الشرور القادمة إذا أمكنه ذلك .

وهنالك بوابتان « للنوم » إحداهما من بوق تخرج منه الأحلام الصادقـة ، والأخرى من عاج ، وتخرج منهـا الكاذبة . وأخرج انخيس ولده وسيبيل من بوابـة العاج ، ورجع انياس إلى السفن ووصل في إبحاره إلى الرأس الذي سمي فيما بعد كاتيا .

١٥

الملك لاتينوس

كانت كاتيا حاضنة انياس قد قضت نحبها في أثناء إقامتهم في كومو، ودفنت هناك، ولما بلغوا هذا الرأس سمّوه باسمها. ثم تابعوا رحيلهم، فبلغوا الجزيرة التي تسكنها سيرسة ابنة الشمس. وكانت تجلس الى نولها، وتغني بصوت لطيف، وتحرق مشاعل من الأرز الطيّب الشّذا لكي تستضيء بها ليلاً. وإنك لتسمع حول بيتها زئير الأسود، والخنازير البرية، والدببة، والذئاب، وهي رجال مسختهم الإلهة بسحرها، وجعلتهم على أشكال الحيوانات. ولم تسمح مشيئة نبتون بأن يلقى رجال طروادة هذا المصير، لأنهم يخشون الأرباب، فأرسل لهم ريحاً رخاء، فجازوا هذه الأرض مسرعين.

ولما بزغ الفجر، وقد سكن الآن الهواء، بلغوا غابة على الشاطىء، وفي وسطها نهر تيبر، وقد اصفرّ لونه لما يتراكم فيه من رمال وهو يجري نحو البحر. وهنالك طيور كثيرة في الغاب وعلى الشاطىء. وإلى هنالك أحضر رجال طروادة سفنهم سالمة.

وكان يحكم هذه البلاد الملك لاتينوس بن فونوس بن بيكوس بن ساتورن.

ولم يكن للاتينوس من الأولاد سوى ابنة اسمها لافينيا، وكانت الآن في سن الزواج. وقد تقدم اليها كثيرون من زعماء لاتيوم، بل من كل أنحاء ايطاليا راغبين في اتخاذها زوجة، وكان أول هؤلاء تورنوس وهو شابّ جميل الصورة ومن بيت ملكيّ. وقد أحبته الملكة أم الصبيّة، وودّت لو زوجت ابنتها منه، ولكن الأرباب منعوا الزواج برموز شرّ ومعجزات.

وتوسطت القصر شجرة عظيمة من الغار، كرّسها الملك الذي بنى القصر للإلـه فوبوس. وقد استقرّ عليها حشد من النحل، وتعلق بها، كأنه عنقود من العنب يتدلّى من أحد أغصانها. ولما رأى العرّافون هذا، قالوا «إن غريباً سيقدم إلينا ويتزوّج لافينيا. وسيحكم هذه البلاد شعب غريب». ولما أشعلت لافينيا النار فوق المذبح،

وهي تقف بجانب أبيهــا ، وثبت من النار جذوة اتصلت بشعرها ، وأحرقت ما يعلو رأسها من زينة ، وأحرقت التاج المصنوع من الجواهر والذهب ، وانتشرت تحمل الدخان والنار إلى القصر جميعه . فعلّق الكهنة على ذلك قائلين : « إن عذراءنا ستكون عظيمة حقاً ، وستنال الشهرة الواسعة ، ولكن حرباً شعواء ستأتي على بني قومها » .

أما الملك لاتينوس ، فقد أخافه ما عسى أن يعني هذا الأمر ، فلجأ إلى وحي أبيه فونوس يستخيره ، وكان قرب حديقة ألبوني ، وقد جرت العادة بأن يقدم الكاهن ضحية في الحديقــة ، ثم يضطجع للنوم عــلى جلود الماشية التي ذبحها ، فيرى رؤى في الليل ، ويسمع صوت الأرباب . وقدّم الملك لاتينوس ضحية عظيمة من مائة خروف ، وكان هو بذاته كاهناً . وتمدد لينام على جلودها ، ولكنه ما كاد يفعل ، حتى سمع صوتاً آتيــاً من الحديقــة ، يقول : « لا تسع يــا بني إلى زواج ابنتك مـن أحد زعماء هذه الأرض ، وسيأتيك صهر مـن وراء البحار ، يعظّم اسمنا مـــن أقصى السماء إلى أقصاها » . ولم يخف الملك هـــذه الأمور ، بل لغط بها خارج بلاده ، فكانت شهرتها عظيمة في تلك الأيــام التي قدم فيهــا انياس وصحبه إلى أرض إيطاليا .

وحدث أن كان انياس وابنه يولوس وغيرهما من الأمراء جالسين لطعامهم تحت شجرة ، وأمامهم صحاف من عجين ، يتناولون منها اللحوم ، ولما أتموا طعامهم ولم يحسّوا شبعاً ، أقبلوا عــلى الصحاف يلتهمونها ، وهم لا يعلمون مــاذا يفعلون . فقـال يولوس هازلاً : « مــاذا ! هل نأكل موائدنا أيضاً ؟ » فسر انياس لسماع ذلك سروراً عظيماً ، واقبل على الغلام يقبله ، ويقول : « الآن علمت بأننــا قدمنا الأرض التي وعدت الأرباب بإعطائها لي ولقومي ، فـإن والدي انخيس خاطبني قائلاً : « إذا قدمت يا بني أرضاً لا تعرفهــا ، وأجبرك الجوع على أكل مائدتك ، فاعلم بأنك وجدت لنفسك وطناً » . وقد تمت الآن هذه الأمور فلنُرِق الخمر لجوبيتر ، ولنقم الصلاة له ولوالدي انخيس ، ولنحتفل مرحين ، وعندما يقبل الصباح نجوس خلال هذه الديار نستقصي خبر هؤلاء القوم الذين يسكنونها » .

ثم وضع حول رأسه اكليلا من أوراق الأشجار ، وقدم صلواته لأمّنا الأرض ، ولآلهة هذا المكان ، الذين لا يعلم من أمرهم شيئاً ، ثم للإلَه جوبيتر ولبقية الأرباب . ولما أنهى صلاته أرسل جوبيتر الرعود ثلاثاً من السماء ، وانتشرت الأخبار بين رجال طروادة بأنهم قــد بلغوا الآن الأرض

التي سيبنون لهم فيهـا بلداً ، وقـاموا يأكلون ويشربون ويمرحون .

وفي اليوم التالي توجه الذين يستقصون خبر البلاد إلى عملهم . ولما أخبر انياس بأن هذا النهر هو نهر تيبر وأن السكان هم اللاتينيون ، وهم رجال حرب أشداء ، اختار مائة من رجاله ، وقد طوقوا رؤوسهم بتيجان من الزيتون ، وحملوا بأيديهم الهدايا ، وطلب اليهم الذهاب إلى مدينـة الملك ، وبث الدعوة لقيام السلام بين هذا الشعب ورجال طروادة . وأسرع الرجال بالرحيل ، وكان انياس في أثناء ذلك قد عين لمعسكره مكاناً ، وطلب إلى رجاله أن يجعلوا هنالك سداً ، ويحفروا خندقاً .

أما رجاله الذين أرسلهم إلى المدينة ، فانهم ما كادوا يقربونها ، حتى رأوا في السهل المنبسط أمامها فتياناً يمتطون الجياد ، ويقودون المركبات ، وكان منهم من يرمي عن القوس ، أو يضرب بالنبال ، بينما يلهو الآخرون بالركض والملاكمة . وأسرع فـارس منهم عـلى ظهر جواده يخبر الملك بـأن هنالك رجالاً في كساء غريب قدموا البلاد ، فأصدر هـذا أمره بإحضارهم إلى القصر ، ثم جلس على عرش آبائه ، ودعاهم إلى المثول بين يديه .

وكان القصر قائماً على هضبة تتوسط المدينـة ، وقد بناه الملك فيكوس ، وأحاطه بالغابات الكثيفـة المقدسة . وفيه كان الملوك يتقلدون الصولجان ، إعلاناً لتحملهم تبعات حكم الشعب . وكان القصر في الوقت ذاته مجلساً للشيوخ ، ومنزلاً للولائم ، يُقيم فيه الأمراء حفلاتهم . وكان رائعاً عظيم الضخامة ، له مائة عمود ، وفي أبهائه أقيمت تماثيل الملوك القدمـاء ، وقد حفرت في خشب الأرز ، ومنهم ايطالوس ، وسابينوس محضر النبيذ ، والأب ساتورن ، وجانوس ذو الوجهين . وعلّقت على الحائط آثار تذكارية من مخلفات الحروب ، ومنها مركبات ، وفؤوس حربية ، وخوذ ، ونبـال ، ورؤوس السفن ، وأجلست صورة الملك فيكوس على عرش ، وقد كُسي بملابس ملكية ، وحمل ترسه على ذراعه الأيسر . أمـا الملك نفسه ، فقد قلبتْهُ امرأته سيرسة عصفوراً .

وتكلم الملك لاتينوس قائلاً : « أخبروني الآن يا رجال طروادة ، لأنني أعلم من أنتم ، أخبروني ماذا تقصدون ؟ ولأي الأسباب قدمتم أرض ايطاليا ؟ هل تهتم في سفركم ، أو غيّرت الزوابع وجهتكم ، كما يحدث للمسافرين فـوق البحار في كثير من الأحيان ؟ على الرحب قدمتم . واعلموا

أننا من نسل ساتورن ، الذي يعمل الصالح طوعاً لا كرهاً، ومن هنا ، من كورتيوس بلد الاتروريين ذهب دردانوس واتخذ أرض طروادة مقراً » .

وأجاب ايلينوس قائلاً : « أيها الملك العظيم ، إننا لم نتـه في سفرنا ، ولا غيّرت الزوابع وجهتنا ، بل أتينا هذه البلاد عامدين . لقد طردنا سوء الطالع من بلادنا ، ونحن أيها الملك لعلى يقين بأنك في ريبة من هذا . ومَنْ مِنَ العائشين تحت ظل السماء لا يعـلم أي عاصفة من الخراب قدمت علينا من بلاد الإغريق ، وهدمت مدينـة طروادة العظيمة ؟ إن اوروبا وآسيا قد حملتا السلاح بعضها على بعض ، وقد أتينا الآن نطلب قطعة من الأرض نتخذ منها سكناً ، ونطلب هواء وماء هما حق للناس أجمعين. ولن نقوم نحو هــذه المملكة بأي عمل مشين ، أو نعق برّها بنا . وثقْ أيها الملك بأنك لن تندم على استقبالنا ، فإن كثيراً من الشعوب لتتمنّى أن تضمنا إليها ، ولكن أمر الأرباب إلينا كان بأن نقصد هذه البلاد من إيطاليا . وحقاً إن الأمر لكما ذكرت ، فمن هنا ذهب دردانوس ، وإلى هنا أمر أفلون أبناءه بالرجوع ، وانظر الآن هــذه الهدايا التي أرسلها إليك انياس ، وهي ما بقي لنا من تراثنا

القديم . فهذا الصولجان الذي كان يحمله الملك فريام عندما كان يجلس للقضاء بين شعبه ، وهذا تاج ، وهذه ملابس حاكتها نساء طروادة بأيديهن » .

فسكت الملك لاتينوس هنيهة ، وقد أطرق بعينيه إلى الأرض ، وأغرق يتدبّر أمر زواج ابنته في نفسه ، وفي تنبؤات أبيه فونوس ، وهل يكون هذا الغريب الذي أتى بلده هو حقاً الصهر الذي تكلم عنه الكهنة العرّافون ؟ ثم تكلم أخيراً ، وقال : « فلتوفّق الأرباب هذا الأمر بينكم وبيني ، وقد منحنا رجال طروادة ما طلبتم ، ونعتبر هذه الهدايا مقدمة منكم ، واعلم أنني مـا دمت في هذا الملك فإنكم لن تكونوا بحاجــة إلى ثراء ، ولو كان بقدر ثراء طروادة . أما ملككم انياس ، فليأت إلينا وجهاً لوجه ، إذا كـان يرغب في الانضمام إلينـا كما ذكرت ، وارجع برسالتي هذه اليه : إن لي ابنة منعتني الأرباب من اتخاذ زوج لها من هذه البلاد ، قائلين بأن هنالك غريباً سيكون لي صهراً ، ومـن صلبــه سينحدر أولئك الذين سيرفعون اسمنا إلى النجوم » .

وأمر الملك بــأن تحضر الجياد من إصطبلاتها ، وكان فيها ثلاث مئات سريعة الجري . فأحضروا منها مائـــة ،

وقدموا لكل من رجـــال طروادة جواداً . وقـد حُلّيت بزخارف مـــن الأرجوان ، شبكت بقطع مـن الذهب . أما انياس فأرسل اليه الملك مركبة يجرهـــا جوادان ينفثان النار من أنفيهما ، وهما من نسل خيول الشمس . وهكذا رجع رجال طروادة يمتطون الجياد ، ويحملون إلى انياس الهدايا ورسالة السلام .

١٦

حنق جينو

حينما رأت جينو أن رجال طروادة قد قدموا إلى أرض ايطاليا ، وأنّ البيوت تقـــام لسكناهم ، تملّكها الحنق الشديد ، وقالت في نفسها : « حقاً لقد انتصرت هـــذه السلالة الملعونة عليّ ، فلم يلتهمها لهب طروادة ، ولا ابتلعتها أمواج البحر ، وها قد قدم رجالها الأرض التي يبتغونها ! بل لقد بلغوا نهر التيبر ، ومع أنّ مارس قد أهلك أمـة لابيتيا بأجمعها حينما حنق عليها ، وأجاز جوبيتر لديانا أن تتغلّب عـــلى أرض كاليدون ، ومع ذلك فلا الليثيون ولا الكليدونيون أقدموا على وقاحة تشبه وقاحة هذه الأمـــة الطروادية ، وأنا زوجـــة جوبيتر ذاته يتغلّب عليّ انياس هذا ؟ لقد بقيتْ لي وسائلي الخاصة ، وإذا لم ألقَ العون

من أرباب السّماء ، فسألجأ إلى قوى جهنم . وقد لا أقدر على إخراجه من مملكة لاتيوم ، كما أن قضاء الأرباب يقضي بأن يتخذ من لافينيا زوجاً . ولكني أقدر أن أعيق الأمر، وأجعله يدفع ثمن هذا الارتباط غالياً . أما أنت أيتهـا العذراء ، فإن مهرك سيكون دماء ايطاليا وطروادة » .

ثم انحدرت جينو إلى طبقات الأرض السفلى ، ونادت اليكتو من منازل أخواتها ملكات الرعب – اليكتو التي تعشق الحرب والغدر وكل أعمال الشر – حتى أن فلوتو ذاتهـا كانت تكرهها ، وكذلك أخواتها جميعهن ، لما هي عليه من منظر مريع ، وخاطبتها جينو قائلة : « إنني أدعوك إلى نجدتي يا ابنة الليل لكي لا تهدر كرامتي ، إنني لا أريد أن يتخذ انياس ابنة لاتينوس زوجاً ، أو أن يجعل له من أرض ايطاليا سكناً ، وأنا أعلم بأنك تقدرين عـلى إثارة أخ على أخيه ، وعلى خلق العداوة في البيوت والممالك حتى تنهار ، فانقُضي اذن هذا السلام الذي عقدوه ، واجعلي للحرب فيما بينهم سبباً » .

فتوجهت اليكتو بنفسها حالاً إلى مسكن الملك لاتينوس، فوجدت هنـالك الملكة أماتا ، وقد أخذ منها الاضطراب والحنق كلّ مأخذ ؛ لأنهـا لا تحبّ رجال طروادة ،

وتفضّل أن تتخذ مـن طورنوس صهراً ، وأمسكت ملكة الرعب بشعرة من رأسها ، فإذا هي حيّة تسعى ، وألقت بها في صدر الملكة ، فانسلّت إليه دون أن تشعر بها ، ونفثت في قلبها أنفاساً سامة ، ثم انقلبت إلى عقد مـن الذهب المجدول يحلّي عنقها ، والى تـاج يطوق رأسها ويحبك شعرها مرة أُخرى . وحينما بدأ السّم عمله ، ولم يكن قلبها قد أفعم بحرارته بعد ، كانت تتكلم بشيء من العطف كعادة الأمهات ، وهي تبكي ابنتها بحرارة ، وتقول لزوجها : « هـل أنت حقاً على استعداد لإعطاء ابنتك لهذا اللاجىء الطروادي ؟ ألا تشفق على نفسك وعـلى ابنتك وعليّ ؟ إنني على ثقة بأنه سيحملها معه ، ويعود هارباً يجوز البحار عند أول ريح جنوبية . وماذا فعلت بوعدك ، وبالعهـد الذي قطعته لطورنوس عـلى نفسك مراراً ، وهو قريبك ونسيبك ؟ وإذا كنت تبحث عن صهر من بـلاد غريبة فإنني أرى أن كل من لا يخضع لحكمك هـو غريب ، ولا يقصد الأرباب من قولهم أكثر من هذا ، وإذا دقّقت البحث بنسب طورنوس ، وجدت أنه ينحدر مـن سلالة اناخوس ، وقد قدم أول ما قدم من بلاد ميسينا » .

ولمـا رأت أن زوجها لا يأبه لكلماتها ، وقـد بدأت سموم الأفعى تعمل بها عملها ، ذهبت تركض كالمجنونة في

انحاء المدينة، بل قد ادعت إن مساً من باخوس قد أصابها، وهربت إلى الغابات ومعها ابنتها ، لعلهـا بذلك تقدر أن تعيق الزواج . ورافقتهـا كثير من النساء اللواتي تركـن بيوتهن ، حينما أتاهن خبرهـا ، وقد عطلت أعناقهن من الحلي ، وحلّت شعورهن ، وكن يصرخن عاليـاً وهـن يحملن هراوات مـن الصنوبر ، ويرتدين جلود الوحوش البرية . وتوسطتهن الملكة تحمل بيدهـا مشعلاً عظيماً من الصنوبر ، وهي تنشد أناشيد زواج ابنتها من طورنوس ، وقد أصبحت عيناها حمراوين كالدم .

وبعد أن تأكدت ملكـة الرعب مـن هدمهـا لمقاصد لاتينوس ، أسرعت إلى بلدة طورنوس الروتوليانية ، واسمها اردي . وقد بناها دناي في سالف الأزمان ، ولا تزال تسمى بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وقد زال عنها مجدها . وكان طورنوس نائماً في قصره فـاتخذت اليكتور شكل عجوز ، هي شايبة، كاهنة جينو ، وخاطبته قائلـة : « هل تسمح يا طورنوس بأن تذهب أتعابك جميعها عبثاً ، وان يُعطى ملكك للآخرين ؟ لقد انتزع الملك لاتينوس منك زوجتك العتيدة ، واختار لهـا غريباً يرث ملكه من بعده ، وقد أمرتني جينو بـأن أنبئك بهذا وأنت نائم ، فـانهض اذن وسلح قومك ، وأبِدْ هؤلاء الرجـال مع سفنهم بالنار ،

وإذا لم ينجز الملك لاتينوس وعده ، فدعه يعلم ماذا يقدر طورنوس أن يفعل يوم القتال » .

ولكن طورنوس هزأ بهـا ضاحكاً ، وقال : « إنني أعلم حق العلم بقدوم سفن الغرباء أرض تيبر ، أمـا هذه الحكايات فلا تخبريني عنها شيئاً ، إن الملكة جينو لا تنساني قط ، فلا أخاف شيئاً ؛ أما أنت أيتها الأم ، فقد بلغت من الكبر عتيا ، وضللت الصواب ، وأقلقت نفسك عبثاً، وكنت أضحوكة لخوف تافه . إن عملك الآن هو العنايـة بمعابد الأرباب وصورهم .. أما الحرب فدعيها للرجال فقد كتبت عليهم » .

فأخذ اليكتور الحنق العظيم لسماعها هذا الكلام ، وكان الشاب لا يزال يتكلم حينما انتابته الرعدة ، وحلق جزعاً ، فقد فحّت ملكة الرعب أمامه بأفاعيها المائة ، وحينما أراد متابعة الكلام ، دفعتـه القهقرى ، وأمسكت باثنتين من أفاعي شعرها ، وجلدته بهما ، وصرخت عالياً : « أأنا عجوز ! وضللتُ الصواب ! وأصبحت أضحوكـة خوف تافه ! لا بل أنا التي أتت من مساكن الرعب . وان الموت والحرب لفي يديّ هاتين ! »

ثم رمت الفتى بشعلة ، جعلت لهـا دخاناً مؤذيـاً في قلبه ، فشى ، وهو يرتجف هلعـاً ، ويتصبب منه العرق

بارداً . ونادى على سلاحه ، وقد جُن للقتال جنونه ، وطلب إلى الفتيان أن يتسلحوا ، قائلاً إنه سيطرد رجال طروادة من إيطاليا بل سيقاتل اللاتينيين ، إذا قضت الضرورة بذلك . فأطاع القوم أمره ، لأنه كان رائع الجمال ، نبيل المولد . ذا شهرة في القتال عظيمة .

ثم أسرعت اليكتور إلى حيث كان يولوس يصطاد الحيوانات البرية .

والآن فقد كان هنالك إيّل ضخم ذو قرنين عظيمين، تجاوزا حد الروعة ، وقد تعهده تيروز وأولاده بالتربية ، منذ كان خشفاً صغيراً ، وكانت ابنته سيلفيا العذراء الجميلة تزينه بالأكاليل ، وترجّل شعره ، وتغسله بالماء ، وكان يجول في الغابات ليلاً ، ويرجع إلى البيت عند حلول الظلام . وقد شمت كلاب يولوس رائحة هذا الإيل وشرعت تطارده ، وقد جعلته اليكتور يمر من أمامها لكي يقع عليه ما تقصده من شر ، فلحق يولوس بكلابه جاهداً ، ثم أرسل سهمه فنفذ من الإيل ولم يخطئه (لأن ملكة الرعب أرادت ذلك) .

وهرب الحيوان الجريح إلى البيت ، وهو يقطر دماً وملأ أرجاءه بأصوات الألم ، وكأنه يطلب عوناً، فسمعته سيلفيا ونادت أهل بلدها تطلب النجدة ، فهرعوا إليها ،

وكانت اليكتور تثيرهم (فقد اختبأت في الغابات) ، وقد حمل بعضهم قضيب نار محروق ، وحمل الآخر نبّوتاً مدبباً . أما غيرهم فقد حمل أي سلاح يقع في يده، وقادهم تيروز الذي اتفق أن كان يشق سنديانة كبيرة بالأسافين ، وقد حمل بيده فأساً عظيمة .

ثم صعدت اليكتور السطح ، ونفخت في النفير صوتاً جهنّمياً ، مطلقة إشارة الرعاة بعيداً . فاهتزت الغابة جميعها للصوت ، كما اهتزت بحيرتا تريفيا ونار بأمواجها الكبريتية البيضاء ، وينابيع فليا . أما الأمهات الهلعات ، فقد ضممن أبناءهن إلى صدورهن .

وهكذا هجم كل أبناء البلد ، كما أسرع فتيان طروادة إلى نجدة يولوس ، ولم يقتلوا الآن بالهراوات والنبابيت المحدقة بهم ، بل اتخذوا السيوف والرماح في كسوة القتال. ثم وقع آلمو ابن تيروز البكر بضربة في عنقه ، ومن حوله كثيرون ، بينهم العجوز غاليزوس ، وقد تقدم ليكون بين المقاتلين وسيطاً ، وكان من أشد الرجال صلاحاً ، وأكثرهم غنى ، فقد كان يملك خمسة قطعان من الغنم ، وخمسة من البقر ، ويحرث الأرض بمائة محراث .

وبعد أن قامت اليكتور بكل هذا ، أسرعت إلى جينو،

وخاطبتها قائلة : « لقد لبيت طلبك ، وإذا شئت أن أذهب الآن إلى البلدان المجاورة ، وأشيع بينها أحاديث القتال فعلت » . ولكن جينو أجابتها قائلة : « كفانا هذا الآن وقد أريقت الدماء ، ويجب أن لا يراك الآن ربُّ الأرباب تتجولين في الطبقات العليا ، فاذهبي اذن ، وإذا بقي هنالك ما يجب عمله ، فسأهتم به بنفسي » .

١٧

اجتماع الزعماء

رجع الرعاة بعد ذلك مسرعين إلى المدينة ، وهم يحملون الموتى ، ومنهم الفتى آلمو ، والعجوز غاليزوس ، ويصرخون طالبين من الأرباب ومن الملك الأخذ بالثأر . وكان تيروس أشدهم عنفاً ، وهو يشكو من أن رجال طروادة يريدون الحكم عليهم ، وقد أقصي هو ذاته عن الحكم . وأصرّ الحشد جميعه على الملك بمقاتلة هؤلاء الغرباء، دون أن يأبه أحد منهم إلى أوامر الأرباب . وثبت الملك في وجوههم ثبوت الصخر الأشمّ في وسط البحر ، لا يزحزحه هدير الموج من حوله ، وتلاطم الطّحلب على جنباته . ولكنه حينما رأى أنه غير قادر على التغلّب على طلباتهم الشريرة ، أشهدَ الأربابَ قائلاً : « إن العاصفة

ضرب في وجهي ، وقد لا أقدر على الثبات لها ، وستدفعون أيها اللاتينيون ثمن جنونكم من دمائكم ، وستجزى يا طورنوس أقسى الجزاء ، وحينما ستلجأ إلى الأرباب فسيصمّون دونك أسماعهم . أما أنا فإن راحتي قريبة ، ولن أخسر إلا شرف تكريمي في دفني » .

وكانت العادة المتّبعة في لاتيوم ، والتي اتبعتها فيما بعد البا ، وحافظت عليها روما الجبارة بعدهما الى هذا اليوم ، أنهم كانوا حينما يعلنون الحرب ، سواء أكانت على أهل تراقيا أم على رجال الشرق ، أم الغرب ، أم الهنود ، أم الفارثانيين ، فإنهم كانوا يعمدون إلى بوّابات المعبد العظيمة يفتحونها (وكانت هذه البوّابات مزدوجة ، وقد قوّيت بمسامير من النحاس والحديد) ، وقد جلس على العتبة جانوس حارسها . فلا يكاد الآباء يقضون بالحرب ، حتى يفتحها القنصل نفسه ، وقد ارتدى ثوبه ، وتنطّق بحزامه ، ويدخل الشعب وراءه وتصفر الأبواق معاً صفيراً عظيماً . وهكذا طلبوا إلى لاتينوس السير على تقاليد البلاد، وإعلان الحرب على رجال طروادة ، وفتح بوابات المجزرة، ولكنه لم يذعن لطلبهم ، وهرب يختبيء في الظلام . فما كان من جينو العظيمة إلا أن أتت بنفسها ، ودفعت بوابات الحرب المصفحة بالحديد على مصراعيها .

عندها تأهّب الرجال في أنحاء أرض ايطاليا للقتال ، فصنعوا التروس اللامعة والنبال ، وسنّوا الفؤوس على حجارة الشّحذ ، وأقاموا السندانات في خمس مدن يصنعون السلاح عليها ، من أغطية للرأس وتروس مجدولة ، وصفائح برونزية للصدر ،فضيّة للسيقان ، ولم يعد الناس يأبهون لفأس الحصاد أو المحراث ، بل أقبلوا على سيوف آبائهم يُعدونها للقتال .

وكان أكبر الزعماء هم :

أولهم الأمير ميزنتوس التوسكاني الذي لم يكن يبالي بالأرباب ، ومعه ابنه لوزوس أجمل رجال الجيش طرّاً، ما عدا طورنوس ، وقد تبعه ألف رجل من أجيلا . وهو يستحق والداً خيراً من والده هذا .

والثاني افنتينوس بن هرقل بجياده السبّاقة ، التي لا تفوقها جياد ، وجعل على مجنّه شعار أبيه ، وهو هيدرا ذات المائة أفعى . وحمل رجاله السيوف الطويلة ، والرماح السابينية ، ورمى حول رأسه وكتفيه جلد أسد عظيم ، ذي لبدة مريعة ، وأنياب فظيعة بيضاء .

ومن طيبور قدم شابان من بلدة أرغوس وهما التوأمان كاتيلوس وكوراس . ولهما خفّة وقوّة . وهنالك أيضاً

كيكولوس باني فرنيستي ، وهو ابن فولكان ، ومعه جمع عظيم من رجاله ، وجلتهم لا يحملون مجناً ، ولا رمحاً ، بل يرمون بقذائف من الرصاص وبالنّشابات يحملونها في كل يد ، ويضعون على رؤوسهم الخوذ من جلود الذئاب .

ومشى بعد هذا ميسابوس مروّض الجياد ، وهو ابن نبتون ، الذي ليس لرجل ما أن يرميه أرضاً لا بالنار ولا بالسيف ، يتبعه شعبه ينشدون نشيد ملكهم الحربي ، وكأنهم سرب كبير من الإوزّ يطير ، وهو يرسل مختلف الأصوات قاطعاً المستنقع الأسيوي . ثم كلوزوس السابينيّ ، الذي انحدر منه بيت كلوديان العظيم . وهليزوس رفيق أغاممنون وعدوّ طروادة منذ القدم ، ووراءه أمم كثيرة ، وهم يحملون النبابيت أوثقت بسيور من الجلد ، والترّوس المجدولة في أيديهم اليُسرى ، وجعلت سيوفهم على شكل مناجل الحصاد . وأتى بعد هؤلاء أوبالوس بن تيلون مع رجال كامبانيا ، يلبسون الخوذ من الفلّين ، ويتخذون التروس والسيوف البرونزية . ثم اوفنز بن نيرسي بأحزمة من المطاط ، ثم امبرو الكاهن المارسيافي الساحر الجبار ، حاوي الثعابين ، وشافي عضاّتها ، ولكنه لم يقدر على شفاء جرح السيوف الطروادية ، ولم تنجده في شفائها أعشابه الجبّارة أو سحره .

وأتى معهم فيربيوس بن هيبوليتوس من اجيريا ، ويقول الرواة إن هيبوليتوس هذا هلك بجنون جياده حينما نزلت عليه لعنة أبيه ثم ردّته مهارة السكولابيوس إلى الحياة ، فحنق جوبيتر لبعثه من جديد ، ورمى بصاعقته ابن فويبس الذي أحياه . أما هيبوليتوس فقد خبّأته ديانا في كهف في أريسيا ، يقضي فيه حياته متروياً ، لا يبدي إساءة ، ومع هذا فإن الفتى فيربيوس قاد الجياد في مركبته .

وكان يتزعمهم جميعاً طورنوس ، الذي كان يجول في وسطهم ، وقد تلألأ لأمته ، وعلا برأسه الرؤوس جميعاً ، ولبس خوذة ذات ريشات ثلاث ، وعليها رسم الخميرة شارةً له ، كما رسمت على مجنّه صورة يو ، وقد اتجهت أبواقها إلى السماء ، وصورة أرغوس الراعي واليناخوس يتدفق نهر من قمقمه . وتبعه عدد كثير من المشاة ، منهم الروتوليان والسيكان وسكان ضفاف التيبر وانكور وسكان غابات فيرونيا .

وأتت أخيراً كاميلا الفولسيانية ، ومعها جمعٌ عظيم من الفرسان يتلألأون بالأسلحة البرونزية ، ولم تكن لتحب المغزل ، ولا سلة مينرفا ، بل كان همها القتال ، ومسابقة الرياح في عدْوها . وكانت عدّاءة جبارة تعدو فوق سهول

الحنطة ، فلا تمس سنابلها ، وتسرع فوق أمواج البحر فلا تبتلّ قدماها . وكان الشبان يرمقونها بالإعجاب ، بينما تقفُ النساء مشدوهات يحدّقن اليهـا في سيرهـا . وعلا كتفيهـا ثوبٌ أرجوانيٌّ ملكي ، وطوّق رأسها بطوق من الذهب ، وحملت جعبة سوريّة ، ومنخساً من خشب الآس شأن الرعاة .

١٨

الملك إفاندر

وهكذا التـأم جمع الزعمـاء ، ومعهم شعب عظيم ، زعمـاؤه ميزانتيوس وأوفنس وميسافوس ، وأرسلوا إلى ذيوميذ سفيراً (لأن ذيوميذ كان قـد بنى لنفسه بلداً في ايطاليا تدعى اربي) ، ينبئه بـأن انياس ورجال طروادة في سبيل بناء ملك في هذه الأنحاء ، ويطلب اليه ان يرى في الأمر رأياً .

وبلغ بإينياس الاضطراب أشده لهـذه الأمور ، وصار يقلّب الرأي في نفسه ، ويبحث عن وجهة يطلب منهـا عوناً . وأخذه النوم وهو في تفكيره ، فرأى فيما يرى النائم الرب تيبر إلّه النهر ، وهو شيخ عجوز ، يرتدي ثوباً

من الكتان الأزرق ، ويضع على رأسه إكليلاً من البوص ، وتكلم قائلاً : « مرحباً بك في هذه الأرض التي قدِمتها ، وجلبت معك اليهـا آلهة طروادة . فلا تقنطنّك الحرب ، وشائعات الحرب ، ولا تؤخرنّك عن مقاصدك ، وسنجعل لك رمزاً ، وهو أنك ستجد خنزيرة بيضاء على شاطىء البحر ، معهـا ثلاثون خنوصـاً أبيض ، تحوم حول أثدائها ، وسيكون معنى هذا أن إيلوس سيبني المدينة البيضاء بعد ثلاثين عاماً . وسأخبرك الآن كيف تقدر أن تنال في هذه الحرب نصراً : إن رجالاً من أرقاديا ، وقـد تبعوا ملكهم إفـاندر ، بنَوا في هـذه الأرض مدينـة سموها بالانتيوم ، وهم يشتبكون بـالحرب دائماً مع اللاتينيين . فاقصد اليهم وخذ مجرى النهر سبيلاً . انهض الآن إذن ، وقدم الضحايا لجينو لتخفف من حنقها ، وعليك أن تقوم بواجب تقـديم نذورك إليّ حينما تنتصر . واعلم أنني النهر تيبر ، وليس مـن نهر على وجـه البسيطة آثر لـدى الأرباب مني » .

وأفاق انياس من نومه ودعا حوريات الماء والنهر الإله بأن يشملوه بعطفهم ، ثم نظر فرأى عند الشاطىء خنزيرة بيضاء معها ثلاثون خنوصاً أبيض ، تحـوم حول أثدائها .

فقدّم التضحية لجينو من الخنانيص ، ثم أمر بأن تُهيأ له سفينتان ، وسار بهما في سبيله . واوقف تيبر جريانه ، لكي لا ينال الرجال في تجذيفهم الإرهـاق . وأسرعوا مجدّين السير ، تعلوهم الأشجار من فوقهم ، ويرون الظلال في المـاء من تحتهم . وطلعت عليهم ظهراً مدينة ذات أسوار وحصن ، وبعض البيوت من حوله .

وحدث ان كان الملك إفاندر وشعبه يقدّمون في ذلك اليوم ضحيّة لهرقل أمام المدينة ، وعندما شاهدوا من خلال الأشجار أن السفينتين تقتربان ، عجبوا للأمر ، وتركوا احتفالهم . ولكن فالاس ابن الملك أمرهم بأن لا يقطعوا تضحيتهم ، ثم انتزع رمحاً وصرخ مـن أعلى الرابية التي أقيم عليها المذبح ، قائلاً : « أيها الغرباء لمَ أتيتم ، وماذا تقصدون ؟ أحرباً تحملون أم سلاماً ؟ »

وأجـابه انياس من مؤخّر سفينته ، وهو يحمل غصناً مـن الزيتون ، قائلاً : « إننا رجال طروادة ، وأعداء اللاّتين ، ونحن نقصد الملك افاندر ، فبلّغْه إذن بأن أنياس أمير طروادة قد جاءه يطلب حلفاً » .

وعجب فالاس لسماعه هذا الاسم أشدّ العجب ، وقال : « اقترب ، وكن أيّا من تكون ، وتعال تحدّث مع والدي ، ثم أمسكه من يده » .

ولما مثل انياس أمام الملك افاندر ، تكلم قائلاً : « لقد أتيتك أيها الملك عن رغبة لا عن رهبة ، مع علمي بأنك إغريقي ، وان لك بابنَي اتريذ نسباً . ولكن بيني وبينك أيضاً وشائج من نسب ، فإن دردنوس باني طروادة كان ابن الكترا ابنة أطلس ، وقد انحدرت أنت من مركوريوس ابن سيلين ، التي كانت هي الأخرى ابنة أطلس ، ولـذا فانني لم أرسل اليك السفراء ، بل أتيت بنفسي ، وأنا لا أخشى منك ضراً . فاعلم الآن أن أمّة الدونيان ، التي حاربتك تطاردنا نحن كذلك ، وإذا ما تمّ لك النصر عليها، فلا شكّ في أنك ستبسط حكمك على ايطاليا جميعها من البحر الواحد إلى البحر الآخر . وقد أتيتك الآن لكي نعقد ما بيننا حلفاً » .

ولم ينقطع أفاندر عن النظر اليه ، وهو يتكلم ، ثم أجابه قائلاً : « مرحباً يا ابن طروادة العظيم ، ولكم يسرُّني أن أعرف فيك وجـه انخيس وصوته ، فإنني أذكر حيناً قدم فريام في سالف الأيام إلى مملكة شقيقته هيزيونه زوجة تلامون ، وكان بصحبته بعض الأمراء ، أن أنخيس كان أعظمهم شأناً ، وقد ملك الرجل عليّ نفسي ، وصحبته إلى فينوز . وأعطاني عند رحيله جعبـة وسهاماً ليقيّة ،

ومعطفاً محلى بخيوط ذهبيـة ، ولجامين من ذهب لا يزال ابني فالاس يحتفظ بهما إلى الآن . أمـا هذا الحلف الذي تطلب فهو لك . وستبرحنا غداً ومعك كل ما أقدر عليه من عون . وبما أن قدومك كان في هذا الوقت السعيد ، فتعال وشاركنا في تضحيتنا وفي احتفالنا » .

وهكذا احتفلوا معـاً ، وهم يأكلون لحوم الثيران ، ويشربون النبيذ ويمرحون . ولما أتوا من طعامهم وشرابهم على النهايـة ، تكلم الملك افاندر ، وقال : « إن هـذا الاحتفال الكبير ، الذي نقيمه الآن يا صديقي ، لم يكن من غير داع ، وسأخبرك خبره في الحـال . أترى إلى هذه الصخور المتهدمة ؟ لقد كان هنالك كهف في ما مضى ، وقد غار تحت الجرف إلى عمق سحيق ، حيث كان يسكن كاكوس ، وهو مسخٌ نصفـه رجل وأبوه هو فولكان . وكانت الأرض تفوح بالدماء ، وقد علّقت على فم المغار جماجم الرجال . وكان فولكان ضخم القامة ، ينفث النار من فيـه ، وأتى هرقل هذه الأرض يسوق أمامـه ثيران غيريون بعد أن فتك بـه . ولما تركها ترعى في الوادي قرب النهر ، قـام كاكوس بما يتلاءم مـع قِحته ، وسرق أربعة من الثيران ، وأربعة عجول هي أحسن ما في

القطيع . ولكي يخفي فعلته جرّها خلفياً من ذيولها ، حتى لا ينبىء أثرها عن اتجاهها نحو المغار . ولكنْ حدث أن أرسل القطيع خواراً عظيماً عندما أراده هرقل على المسير عند الصباح ، وأجاب أحد العجول التي خبأها كاكوس في الكهف بخوار مثله ، فأخذ الحنق من هرقل كل مأخذ ، وقبض على نبوته العظيم المعقد ، وتسلق أعلى الهضبة، فارتجف كاكوس رعباً ، وهرب إلى كهفه بسرعة الريح ، وكأن الخوف قد كسا قدميه أجنحة ، فدخله وأغلقه على نفسه بأن اسقط حجراً عظيماً كان معلّقاً فوق فم الكهف بحيلة ماكرة أخذها عن أبيه . ولما وصل هرقل بحث عن مدخل للغار عبثاً ، ورأى أخيراً أحد الصخور العالية وقد جنحت إلى النهر فدفعها من الجانب الآخر وانطلقت إلى الماء يُسمع لها دوي عظيم . فانكشف كهف كاكوس بأكمله ، وكان منظره مروّعاً ، وكأن الأرض قد فتحت فاها وأبانت عن أصقاع الموتى . فبدأ هرقل يرمي المسخ بالسهام ، ثم رماه بأغصان الأشجار والحجارة الضخمة . وجعل كاكوس يتقيأ النار والدخان من فمه ، حتى ملأ أرجاء الغار ، فلم يطق هرقل على هذه الخيبة صبراً ، فاندفع إلى الكهف ، وكان الدخان على أكثفه ، وقبض على الوحش ، ولوى يديه ورجليه من حوله ،

وشد على خناقه ، حتى أسلم الروح . ونحن يا أصدقائي نحتفظ بهذه الذكرى عاماً فعاماً ، فشاركونا العيد الآن ، وضعوا على رؤوسكم أكاليل الحور أولاً ، فإنّ الحور شجرة هرقل . »

وهكذا أقاموا العيد ، وغنّى الكهنة الساليون ، وقد انقسموا إلى شيوخ وفتيان ، وهم ينشدون معدّدين أعمال هرقل ، وكيف خنق الأفاعي التي أرسلتها جينو للفتك به، وهو لا يزال طفلاً ، وكيف دكّ المدن الجبّارة ، وتحمل المشاقّ المرهقة ، وهو يفتك بالكنتوريين وأسد نيمي . وكيف هبط إلى الجحيم ، وأخرج منها الكلب سربروس، وغير ذلك من أعمال البطولة الخارقة .

وفي أثناء رجوعهم إلى المدينة ، شرع الملك افاندر يخبر انياس بالكثير من أحوال البلاد،وكيف كانت في غابر الأيام مأهولة بشعب متوحش ، يعيش عيشة الوحوش ، فقدم إليهم ساتورن هارباً من ابنه جوبيتر ، وبدأ بتعليمهم وتلقينهم شرائع وعادات . وكيف بسط غيره من الملوك حكمه عليهم، وكيف أنه قدم هو ذاته هذه الأرض بدعوة من أفلون ، وأراه المدينة التي أسسها ، وما بها من أماكن، هذه الأماكن التي أصبحت ذات شهرة فيما بعد ، حينما

بُنيت روما الجبّارة فوق هذه الأرض بعينها . ولمّا بلغوا القصر ، قال : « لقد دخل هرقل هذا المسكن ، وهو حقاً صغير منخفض ، فلا تفكّر إذن في ثراء عظيم ، واجعل نفسك أهلاً لصعود السّماء كما صعدها » .

ثم قاده إلى داخل القصر ، ودعاه إلى الجلوس على مقعد ، بُسط فوقه جلد دبّ افريقيّ .

١٩

أسلحة انياس

وفي الصباح الباكر من اليوم الثاني ، نهض العجوز افاندر من فراشه ، وارتدى جلبابه ، واوثق خفّيه التوسكانيّين إلى قدميه ، وتنطّق بسيفه التيفياني ، ورمى على كتفه الأيسر إهاب نمر ارقط ، وذهب يصحبه ابنه فالاس ، يتبعه كلبا صيد يربضان عند غرفته . وقد كان يرغب في محادثة انياس ، فوجده متأهباً ، ومعه اخات ، فقال افاندر : « يا زعيم طروادة العظيم ! إننا لأولو حميّة وعزم ، ولكن وسائلنا ضئيلة ، وقد قلّ عددنا ، وضاقت حدودنا ، وسأخبرك عن شعب غني عظيم يمكنك أن تعقد معه حلفاً . تقوم بقرب هذا المكان مدينة أجيلا الشهيرة ، وقد بناها رجال ليديا في سابق الأيام ، مستقرين في هذه

الأرض من اترووريا . وكان ميزنتوس هو ملك أجيلا ، وقد فــاق الرجال شراً وأذى ، فكان يجمع الرجل الحيّ إلى جثث الموتى ، ويتركه يهلك بائساً . ولكن مواطنيــه ثاروا بعد مدة من الزمن ينفضون حكمه عنهم . فذبحوا حرسه ، وأحرقوا قصره ، أما هو فلم يمسّوه بأذى ، بل هرب والتجأ إلى الأمير طورنوس ، ولذا فإن الحرب قائمة بين طورنوس واجيلا . وعليك الآن قيادتها، لأن المنجّمين يصدون القوم عن الذهاب كلما أرادوا إلى القتال رحيلاً ، قائلين : « إنكم لعلى حق في حنقكم على ميزنتوس ، ولكن لا يجب أن يقود هذا الشعب رجلٌ من إيطاليا ، فابحثوا عن غريب ، وقد كان بودّهم أن آخذ قيادهم ، ولكنني كبير السن ضعيف الجسد . كما ان ولدي فالاس يمت اليهم بنسب ، فهو مولود من أمّ سابينية ، أمـا انت فإنك في أوج قواك ، كما أنك غريب الأصل . فخذ عـلى نفسك هذه المهمة ، وسيذهب معك فالاس فيتلقّن عــلى يديك كيف يجعل من نفسه محاربـاً ، وسأرسل معك بمائتين من الفرسان المصطفين ، وسيعطيك فالاس مثلهما » .

وكانا لمـّا ينهيا الكلام بعد ، حينما بعثت اليهما فينوس رمزاً . أرسلت صاعقة ، والسماء صافيــة ، وسُمع صوت

يشبه صوت البوق التوسكاني ، وحينما تطلعوا إلى السموات العلى ، رأوا ويا للدهشة ! لقد كان هنالك بريق الأسلحة .

وقد أدرك انياس الرمز ، وفهم تأويله ، وأن التوفيق سيحالفه فيما وضع يده عليه . فطلب إلى افاندر بأن يطيب نفساً ، ثم أعادوا تقديم التضحية . ورجع بعدها انياس إلى صحبه ، فاختار من بينهم أكثرهم شجاعة ، ليرافقوه إلى اجيلا ، وطلب إلى الباقين أن يرجعوا إلى المخيم حيث يقيم يولوس .

ولما كان على استعداد للرّحيل ، أخذه افاندر من يده ، وقال : « ليت جوبيتر يُرجع لي ما مضى من الأعوام ، حينما فتكت بالملك ارولوس ، الذي وهبته أمه حين مولده ثلاث حيوات ، فكان يجب ان يقتل ثلاث مــرات لكي يقضي نحبه ، وقــد قتلته ثلاث مرات . فلو رجعت لي أعوامي لمـــا فارقتك يا بني ، ولا جرؤ ميزنتيوس الشرير على قتل هــذا العدد من رجالي . ولتجبْ الأرباب الآن دعائي ، فإذا كان يرضيها أن يرجع فالاس ، فلتُبقِ على حياتي ، لكي أشهد رجوعه ، وإلا فلتمتني الآن ، وأنـا أضمّك الى ذراعي يا بني ، يا بهجتي الوحيدة في الحياة » . وقــد أغمي عليه ، فحُمل إلى قصره ، ثم خرج الفرسان من الأبواب يتوسطهم انياس ، وقد ارتدى معطفاً وحمـل

سلاحه اللامع ، فبدا كـأنه نجم الصباح ، الذي تؤثره فينوس بحبها دونَ كل نجوم السماء . وأطلّت النساء مِنَ الأسوار يرقبنهم وهم يهتفون عالياً ، ويقطعون السهل خبباً . وبعد فترة من الزمن بلغوا كهفاً ، ضرب بقربه الاتروسكان مخيّمهم تحت قيادة زعيمهم طارسون .

وفي هذه الأثناء كانت نفس فينوس قد هاجت من أجل ابنها ، فبينما كان هو نائماً في قصر افاندر ، كلّمت هي زوجها فولكان قائلة : « حينما كان الإغريق يحاربون الطرواد ، لم ألجأ الى معونتك . لأنني لم أشأ أن يذهب جهدك عبثاً . أما الآن ، وقد قدم انياس ايطاليا بأمر الأرباب ، فإنني اطلب اليك أن تصنع سلاحاً ودرعاً لولدي . وهذا ما طلبته اورورا لأجل ممنون ، وطلبته نيتيس لأجل أخيل ، وقد منحتها ما طلبا . وأنت ترى الآن كيف اجتمعت عليه الأمم لإهلاكه . فلذا أرجوك له عوناً » . وقد أطاع نداءها ، وعندما جاء الصباح الباكر نهض فولكان إلى عمله قبل أوانه مثلما تنهض المرأة تسعى إلى العيش من مغزلها ، فتشعل نارها ، وتوزّع على خادماتها أعمالهن لكي تتوفّر على الادخار لزوجها وأولادها .

هنالك جزيرة تدعى ليبارة ، تقرب من شاطىء صقلية ،

وفيها أقام الإلـه اتونه وسندانه ، وكان السيكلوبيون دائبين على العمل ، وهم يسكبون الصواعق لجوبيتر ، وكان لا يزال أحدها في نصف سبكة ، وقد استعملوا في صنعها ثلاثة أقسام من البرَد ، وثلاثة من سحب المطر ، وثلاثة من النار الحمراء والريح الجنوبية ، وكانوا يضيفون إليها الآن البرق والصوت والخوف والحنق واللهب المنتقم . وكانوا في ناحية ثانية يصنعون لمارس مركبة ، ولمينرفا قميصاً من الزرد ، وهو الدرع الآجيّ ذو الاسنان الذهبية ، وكأنها أسنان الأفاعي ، وفي وسطه رأس الغورغون مقطوعاً عند العنق ، بعينين دائرتين ، فصاح بهم الإله قائلاً : « كفّوا عن كدّكم هذا ، فإن عليكم الآن أن تصنعوا لبطل سلاحاً » . فانصرفوا عن عملهم ، وتدفّق البرونز والذهب والحديد تدفّق الجداول ، وعكف بعضهم على المنفاخ ، وغطّس الآخر الكومة المتأجّجة في الماء ، ولوى ثالث التّبر بالملاقط .

وصنعوا له خوذة بريشة متمايلة ، وهي تتألّق تألّق النار ، وسيفاً ، ودرقة من البرونز الأحمر ، ورانين من الذهب المصهور مراراً ، ورمحاً ، ودرعاً نقشت عليه قصة مدهشة لما هو آت ، إذ أوضح الإلـه قصة روما جميعها . فهنا

في كهف مارس استلقت الذئبـــة ، وهي ترضع التوأمين اللذين لم يخافاها قط ، وقد أحنت هي عنقها تلحسهما بلسانها. وهناك رجال رومـــا يحملون معهم العذارى السابينيّات ، ليتخذوا منهن زوجات لهـــم ، وعلى مقربة منهم احتدم القتال . وهنالك يعقد الملوك ما بينهم سلماً ، ويحتفلون به بالذبائح والضحايا . ونقشت هنالك أيضاً المركبـــات التي شطرت ميتوس الالبي شطرين لخيانته ، وقد وقف بوسينا يطلب إلى الرومانيين ، وهو يحاصر المدينة ، أن يستردّوا ملكهم ، ولكن الرومانيين صمدوا في وجهـــه مسلّحين ، ووقف الملك محنقاً متوعداً ، بينما رأى كوكليس وهو يهدم الجسر ، وكلوليا العذراء وقد قطعت قيودها سابحة نحـــو النهر . وهنالك مانليوس يحرس الكابيتول واقفاً ، وإوزّة من فضّة تخفق بجناحين ، لفّقت حواشيها بالذهب، وظهر الغوليون على مقربة منه ، وهم يتستّرون بالظلام ، فيمرون بالآكام متسلقين قمّة الهضبة ، وقد نقشت شعورهم مـــن الذهب كما نقشت ثيابهم ، أمّا معاطفهم فكانت من ألوان مختلفة متقاطعة ، وجعلت أعناقهم بيضاء كاللبن ، لها مشابك ذهبية ، ولكل منهم رمحان وترس مستطيل . ونُقشت عليه أيضاً مساكن الموتى الصالحين منهم والأشرار ، فهنا كاتيلين تدلّى من صخرة ، بينما وقفت ملكات الخوف يتوعّدنـــه

متهددات . وهناك كاتو يضع للشعب الشرائع ، ومن حول هذا جميعاً نقش البحر بالذهب ، ولكن الأمواج زرقـــاء والزبد أبيض ، وفيه تمرح الدّلافين الفضية كما قامت في وسطه معركة عظيمة بين السفن عند راس اكتيوم ، يقود فيهـا اغستوس رجال إيطاليا من جهة ، وهو يقف عالياً عند كوثل السفينة ، وتأججت النار من صدغيه ، يشاركه في القيادة اغريبا ، وقـــد ارتدى كسوته ، ووضع التاج البحري على رأسه . ووقف انطوني من الجهة الثانية ومعه جنود برابرة يكتسون مختلف الأزياء ، وهو يقود الى القتال مصر وفـــارس وجيوش الشرق ، ووراءه ويا للخزي ، وقفت امرأته المصرية . ولكن المعركة استعرت في جانب آخر ، وكـان البحر يُزبد ويرغي من المجاذيف وحيازيم السفن المثلثة ، وقد تعاظم تصادم السفن حتّى ليخيل للناظر بأن الجزُر قد انشقّت عن موضعها ، أو أن جبلاً يلاطم جبلاً . وتطايرت النشابات بنسّالاتها المشتعلة ، وتخضّب وجه البحر بالدّماء ، ووقفت الملكة كليوباطرة في الوسط، وفي يدهـا مِزهر ، وهي تدعو جيوشها للقتال . ويمكنك أن تشهد وراءها الأفعى التي ستموت بعضتها . وفي جانب منه الكلب انوبيس مع غيره من أشكال الآلهة الممسوخة ، يواجههم نبتون وفينوس وميترفا ، وفي وسطهم مارس وهو

يُرى هائجاً ، وقد نقش بفولاذ مستّم . وتحوّمت فوقهم جميعاً ملكات الرعب والشحناء ، تنسلّ برداء الانشقاق ، بينما يفوّق افلون قوسه ، فيهرب من أمامه المصريون والهنود والعرب . وفي مكان ثالث امتطى قيصر فرسه يقطع شوارع روما منتصراً ، وقد انتشت المدينة فرحاً ، واجتمعت ربات البيوت في المعابد . أما في شوارع المدينة ، فقد انتظم صف طويل من أمم مختلفة ، أخضعها لحكمه من الشرق والغرب ومن الجنوب والشمال . هذا هو الترس الذي نقشه فولكان .

ولما رأت فينوس أن ولدها وحيد — فقد انتبذ من صحبه جانباً — أحضرت الأسلحة ووضعتها أمامه قائلة : « انظر هذه الأسلحة ، التي وعدتك بها ، وقد صنعها لك زوجي إلـه النار ، ولن تتحاشى معها من عدو ، حتى ولا طورنوس ذاته » . وقد سُرّ سروراً عظيماً برؤيتها ، ثم جربها عليه ، وعلق الترس على كتفه ، وهو لا يعلم أيّ أقدار جبارة يحمل فيها لأولاده من بعده .

٢٠

نيزوس واورياليوس

كانت جينو تتحين الفرص لرجال طروادة ، فبعثت بإيريس رسولة الأرباب إلى طورنوس ، حيث أقام في كهف أبيه فيلمنوس ، وقالت له : « إن ما لم يجرؤ أحد الأرباب أن يعدك به ، أحضره الزمان اليك ، فقد ترك انياس صحبه وفلكه باحثاً عن مدينة افاندر ، اجل وباحثاً عن التوسكانيين كذلك ، فاغتنمها فرصة ، وباغت بها مخيمه في غيابه » .

ثم بسطت جناحيها ، وصعدت السماء على سهم قوس قزح ، فصرخ طورنوس : « لقد عرفتك أيتها الإلهة ، واني متبع لإشارتك » . وبعد أن غسل يديه ، صلى ونذر للأرباب نذره .

وتقدم الجيش للقتال ، يقود ميسابوس مقدمة صفوفه، ويقود أولاد تيروز المؤخرة ، وفي الوسط كان طورنوس . ورأى رجال طروادة سحاباً عظيماً من الغبار يغطي السهل، فصرخ كايكوس عن الأسوار قائلاً : « ما هذا السحاب الذي أرى ؟ إلى السلاح يا رفاقي ، وتسلقوا الأسوار ، فإن العدو على الأبواب » . ثم أغلق رجال طروادة البوابات ، وحصنوا الأسوار ، فقد أوصاهم انياس بذلك قائلاً : « لا تشتبكوا في معركة مهما وقع لكم ، ولا تسلّموا بأنفسكم إلى السهل ، بل دافعوا عن أسواركم » . ولذا أغلقوا بواباتهم ، ومكثوا ينتظرون اقتراب العدو . وقدِم طورنوس أولاً يمتطي جواداً تراقيّاً، يصحبه عشرون من الفتيان ، وصرخ يقول : « هل منكم رجل يجرؤ على الهجوم ؟ » ورمى نباله يفتتح المعركة . وصرخ رجاله عالياً، وهم دهشون لالتزام رجال طروادة داخل أسوارهم، وعدم خروجهم إلى المعركة . وعكف طورنوس على الأسوار يتفحصها علّه يجد لاختراقها سبيلاً . وكما يُعسعس الذئب حول الحظيرة ، وقد أمنت الحملان إلى جانب أمّاتها ، تثغو ثغاء اهتاج لسماعه ، وجُن جنونه حقداً وجوعاً ، وجف لسانه عطشاً للدماء ، هكذا أخذ الهياج طورنوس حول المخيم ، وهو يدبر أمراً يقدر معه على

استدراج رجال طروادة إلى السهل . وفكر أخيراً بالسفن الراسية بجانب المخيم ، فطلب إحضار مشاعل من الصنوبر، وتبعه رجاله يتصايحون ، وتصاعد الدخان إلى السماء .

ووقعت الآن معجزة ، فحينما كان انياس يبني سفنه على جبل إيدا ، خاطبت سيبيل أمّ الأرباب الإله جوبيتر قائلة : « هب يا ولدي هذه السفن التي يبنيها انياس من صنوبري — فقد أعطيته اياها منحة — هبها النجاة من الرياح والأمواج » . ولكن جوبيتر أجاب : « ما هذا الذي تطلبين يا أمّاه ، أتريدين الخلود لسفن فانية ؟ لا بل سأمنحه هذا: إن أية سفينة من هاته تبلغ أرض ايطاليا سالمة ، تصبح حورية من حوريات البحر » . وقد حلّ الآن اليوم الموعود . وسمع صوت مرعب يقول : « لا تخافوا يا رجال طروادة ، ولا تهتموا بالدفاع عن سفنكم » . ثم قال الصوت للسفن : « اذهبي ! وكوني من الآن وصاعداً من حوريات البحر » . ويا للعجب ! ها قد تقطعت الأسلاك في الحال ، وحلت مكان السفن أشكال نسائية ، فكانت مكان كل سفينة امرأة .

وعجب اللاتينيون أشد العجب لهذا ، وأوقف تيبر مجراه ، ليشاهد ما حدث ، ولكن طورنوس لم يأخذه

رعب ، بل قال : « إن هذه المعجزة تعني لرجال طروادة شراً . فإن سفنهم لا تتحمل هجومنا . ولم يعد لديهم ما يقدرون معه على الهرب من أمامنا . أما القدَر فلا أبالي به . فقد قُدِّر على رجال طروادة أن يبلغوا أرض إيطاليا، وقدر علي أن اهلك هذه السلالة اللعينة ، فقد سرقوا مني زوجي ، وألحقوا ضرهم بأناس غير مانيلا . وقد كان يكفيهم حقاً أن يهلكوا مرة ، ولكن لِمَ يعاودون خطيئتهم؟ وقد كان من الخير لهم أن يعافوا الجنس النسائي بعد ذلك . ام انهم يظنون أن هذا الحاجز سيقوم بحمايتهم ؟ ألم يروا الأسوار التي بناها نبتون تنهار في النار ؟ والآن من منكم يأتي معي لهدم مخيمهم ؟ فأنا لست بحاجة إلى أسلحة تخرج من محددة الإلـه فولكان ، ولا إلى ألف سفينة ، وليس لهم أن يخشوا أعمال التخفي والظلمة ، فإننا لن نختبيء في حصان خشبي ، بل سنحرق أسوارهم في وضح النهار . وان فتيان ايطاليا هم حقاً ليسوا كفتيان الإغريق الذين ألزمهم هكطور الحدود عشرة أعوام » . ثم اصدر الأمر بمحاصرة المخيم ، واقام ميسافوس على مراقبة البوابة ، وجعل أربعة عشر زعيماً من الروتاليين مع كل منهم مائة شاب حراساً على الأسوار ، وأقاموا الليل بطوله يرقبون ، ويحتفلون ، ويشربون ، ويمرحون .

ولكنّ رجال طروادة أكبّوا على العمل في هذه الأثناء، يدعّمون بواباتهم ، ويقوّون أبراج أسوارهم . وكان منيثوس وسرجستوس سريعين في أوامرهما وفي حثهما الرجال على العمل ، فقد أقامهما انياس لمثل هذا إذا مسّت الحاجة إلى ذلك في غيابه .

وكان الودّ العظيم يجمع بين نيزوس حارس البوّابة ، وهو محارب باسل ، وأوريالوس أجمل فتىً بين الطروادين، فقال نيزوس لصاحبه ، وهما يحرسان : « لا أدري إذا كانت هذه دعوة من الأرباب أم انها حافز من نفسي ، فإنّ في قلبي لرغبة شديدة هذه الليلة ، ألا ترى الأعداء كيف يستسلمون لنومهم ثملين ؟ ألا أقدر أن أنال بعض الشرف ، وأحمل انباء هذه الأمور الى انياس ؟ فهنالك عند الهضبة تُسلك الطريق إلى مدينة افاندر » .

فأجابه اوريالوس : « كلا يا نيزوس إنني لن أدعك تذهب وحيداً ، ولن تتركني ، فإن والدي اوفلتيس لم يدرّبني على سفالة كهذه ، ولم أحمل نفسي على مثلها في صحبتك ، وحقاً انني أحسب أن الحياة تستحقّ ان تضحى في سبيل شرف كهذا » .

فقال نيزوس : « إنني لم أظنّ بك سوءاً ، ولعلّ جوبيتر يرجعني سالماً ويُنيلني شرفاً ، أما إذا أصابني سوء،

فإنني أودّ ان نحيا لاسترجاع جثتي ، وإذا ما تعذّر هذا فلتكريم روحي ، ثم فكّر بأمك التي قدمت إلى إيطاليا من دون أمهات طروادة جميعاً حباً بك » .

ولكن اوريالوس ، قال : « إنك لتأتي بالواهي من الأعذار ، فقد عزمت عزماً راسخاً على الذهاب معك ، فلنسرع إذن » . ثم أيقظا أولئك الذين سيأخذون مكانهما عند البوّابة ، وقصدا الزعماء يطلبان منهم الإذن بالكلام، فوجداهم يعقدون مجلساً ، وقد وقفوا في وسط المخيم متكئين على رماحهم ، فقال نيزوس إن لديه ما يقوله ، وإن الأمر يستدعي السرعة ، فدعاه يولوس إلى الكلام فأجاب: « ان العدو يستسلم إلى النوم ثملاً عند الأسوار ، وان نيرانه لتخبو، وإذا ما اسعفنا الحظ ، فسنظفر بشقّ طريقنا إلى انياس ، في بلدة افاندر ، ونذبح الكثيرين ونربح الأسلاب .

أما الطريق فنعرفه ، وقد علمنا بمسالكه حينما كنا نصطاد في هذه الأنحاء » . عندها قال العجوز ايتيس : « لا ريب في أن طروادة لن تهلك ، ولديها قلوبٌ مثل قلوبكم ».

ورمى سلاحه عندهما وهو ينتحب ، فقال يولوس : « أرجعا أبي الينا ، فلا يكون إلا الخير ، وسأعطيكما

كأسين من الفضة نقشا بصور الرجال ، أخذهما أبي من بلدة اريسبا ، وإذا ما أخضعنا أرض ايطاليا ، فإن جياد طورنوس وسلاحه ستكون من نصيبك يا نيزوس، وستنال معها اثنتي عشرة أسيرة ، واثني عشر رجلاً بأسلحتهم ، مع مملكة الملك لاتينوس . أما انت يا اوريالوس فانك أقرب إليّ سناً وستخلفني في كل الامور » .

فأجاب اوريالوس : « إنني أطلب اليك المزيد من أمر آخر . فإن لي أماً من نسل فريام ، ولم أذهب لوداعها ، لانني لا أقدر على احتمال دموعها ، فارعَها بعنايتك إذا ما ثكلتني » . فقال يولوس : « إنها ستكون لي مثل أمّي » .

ثم أعطاه سيفه بغمده العاجي ، كما ان مينيزوس أعطى نيزوس جلد أسد ، وأعطاه اليتيس خوذة . وشيعوهما جميعاً إلى البوابات بالأدعية والنّذر . أما يولوس ، وهو الذي يتصف بحكمة تفوق سنيه ، فقد أرسل إلى أبيه رسائل كثيرة .

ثم قطعا الخندق ، وأتيا الأعداء ، وهم نيام ، وقد مشى نيزوس إلى الأمام ووراءه اوريالوس مراقباً ، لكي لا يهاجمهما أحد من الوراء . فذبح نيزوس رانيس وهو

نائم : وهو العراف الذي كان لطورنوس فيه ثقة شاملة ، ولكنه لم يتنبأ عن هلاك نفسه . ثم ذبح الخدم الثلاثـة ، وحامل الأسلحة ، وسائق مركبة ريموس . ثم عكف على ريموس ذاته ، فقطع رأسه ، وذبح آخرين بينهم سرانوس الفتى الجميل ، الذي كان المجلّيَ في رياضة هذه الليلة ، وقد كان من الخير له لو أطال هذه الرياضة إلى الفجر . وذبح أوريالوس الكثيرين كذلك ، وكلهم كانوا يغطون في نومهم ، ما عدا روتوس ، وهو الوحيد مـن بينهم الذي كان يقظاً ، وحاول عبثاً الاختباء وراء قلة كبيرة للمياه ، ولما أوشك ان يذبح ميسابوس ورفاقـه ، صرخ نيزوس وقد رآه مأخوذاً بحب الذبح ، قائلاً : « كُف الآن ، فقـد اقترب النهار ويكفي أننا وجدنـا في وسط الأعداء سبيلنا » . وتركا وراءهما كثيراً من الأسلاب ، ولكن اوريـالوس أخذ مـن رانيس حزام سيفه المرصع بمسامير ذهبية . — وهو حزام كان كيديكوس قد أعطاه لريمولوس التيبوريّ ، وهذا أعطاه لحفيده ، وربحه منـه رانيس في الحرب — ووضع على رأسه خوذة ميسابوس . وهكذا رحلا عن المخيم .

ولكنْ حدث أن كان ثلاثمائة من الفرسان يقودهـم

فولستر قادمين إلى المخيّم مـن المدينة ، ولما اقتربوا لمح أحدهم خوذة أوريالوس على ضوء القمر ، وقد وضعهـا لصغر سنّه وتهوره على رأسه، فصرخ فولستر : « من أنت ؟ وإلى أين تذهب ؟ » .

ولكنهما لم يجيبا ، بل أسرعا بالهرب . فأصدر عندئذ فولستر أمره بتطويق الغابة من كلّ ناحية ، وكانت شديدة الكثافة ، لما بها من أشجار الشربين الداكنة اللون والعوسج، وقد تاه أوريالوس عن الطريق حقاً ، فقد ثقل عليه ما يحمل من أسلاب ، وتملكه الخوف . أما نيزوس فقد نجا بنفسه، ولكنه حينما أتى الاسطبلات التي تحفظ فيهـا أبقار الملك لاتينوس وجد نفسه وحيداً ، ونظر حوله باحثاً عن رفيقه، فلم يجد له أثراً ، فعاد على أعقابه يبحث عنه في أنحـاء الغاب حتى سمع أصوات الفرسان تقترب ويا للهول ! فإن أوريالوس كان في الوسط يطلب النجاة ، ولا يقدر عليها. وقد دعا هذا ديانا أولاً ، علّها تقدّم له العون ، فيقدر على تبديد هذه الجماعة ، ثم رمى رمحه فوراً . فاخترق ظهر سولمو نافذاً من قلبه ، وحينما تطلّع الجميع دهشين ، رُمي رمح آخر نفذ من رأس تاغوس من الصدغ الى الصدغ . فأخذ الحنق من فولستر كل مأخذ ، وهو يرى ذبحاً كهذا، ولا يعلم كيف حدث ، فصاح قائلاً: « إنك ستجزى على

أعمالك هذه على كل حال » . وهجم على اوريالوس ، ولكن نيزوس لم يقدر على رؤية هذا ، فأسرع من مخبأه، وصرخ قائلاً : « لا ! إنني أنا الرجل الذي أقدم على هذا الصنيع ، فحوّل سيوفك إليّ . أما هذا فلم يقم ، ولا يقدر أن يقوم بأعمال كهذه ، ولم يزد على أنْ كان يتبع صديقه » . ولكن سيف فولستّر مع ذلك لم يتأخر عن اختراق جنب اوريالوس ، فانبثق الدم يسيل على جسمه الجميل ، وتدلّى رأسه كما تتدلى زهرة قطعها حدّ المحراث في الغاب ، أو كزهرة من الخشخاش قطع منها ساقها . ثم هجم نيزوس إلى الوسط وهو لا يفكّر إلا بوسيلة ، يفتك فيها بفولستّر ، ولم يقدر الأعداء على وقفه ، بل أرسل سيفه الى فمه وفتك به ، ثم وقع قتيلاً فوق جثة صديقه ، بعد ان أصيب بجروح كثيرة .

ولكن لما قدم الفرسان إلى المعسكر شاهدوا المذبحة التي حدثت هناك ، ولما بزغ النهار أقاموا القتال صفاً ضد رجال طروادة ، ووضعوا رأسي اوريالوس ونيزوس على صاريتين وأروهم اياهما .

ولما بلغت هذه الأنباء مسامع أم اوريالوس ألقت بمغزلها جانباً ، وأسرعت تخترق المعسكر ، وحينما قدمت السور صرخت قائلة : « أهكذا أراك يا بني ؟ لمَ لم أمنح هبة

توديعك ؟ ولن أغمض الآن عينيك ، أو ألفّك بالأكسية التي صنعت وأنا اتسلى عن همومي بالعكوف على المنوال . فافتكوا بي برماحكم أيها اللاتينيون ، أو فاضربني بصاعقة من لدنك يا جوبيتّر العظيم، ما دمت لا أقدر على الخلاص بطريقة أخرى من هذه الحياة البغيضة » .

ولكنها مسّت بندبها قلوب الرجال، فأنستهم شجاعتهم ، ولهذا ذهب النيونوس ويولوس وأحضرا ايزوس واكتور وأمراهما بأن يأخذا بيدها ويحملاها إلى مسكنها .

٢١

المعركة في المخيم

ونفخ في البوق أن أُعلن القتال ، وتقدم الفولسيان أولاً نحو السور ، وحملوا تروسهم فوق رؤوسهم ، وجمعوها صفاً متراصاً ، فبدوا وكأنهم في إهاب السلاحف ، وملأ هؤلاء الخندق ، ثم دكوا الأسوار . وصعده بعضهم على مرقاة ، بينما كان رجال طروادة يرشقونهم بالنبال،ويرمون عليهم الصواري .. وقد حذقوا حقاً هذا النوع من القتال عن الأسوار ، ثم احتموا وراء تُروسهم ، ورموا صخرة ضخمة ، فتناثرت أجزاؤها ، وبعثرت الرجال الذين لم يعد بمقدورهم متابعة القتال على هذه الصورة ، بل كانوا يرسلون على الطرواد النشابات وما يشابهها من السلاح .

ثم قدم ميزنتيوس التوسكاني يهز في يده مشعلاً من الصنوبر ، وهدم ميسزافوس الاستحكام طالباً مرقاة يتسلقها إلى الثغرة .

وكان يعلو السور برج قصد اللاتينيون إلى الاستيلاء عليه ، ودافع عنه الطرواد برمي الحجارة والسهام من داخل الثُلَم . وإلى هذه الثلم صوب طورنوس شعلة ، بغية إشعال النار في السور فثار اللهيب تزيده الرياح ضِراماً ، وامتد متصاعداً من طبقة إلى طبقة . وحينما هرب مَن بداخله إلى النواحي التي لم تمسها النيران بعد ، حدث ويا للهول ! أن انهار البرج ، فهلك من به جميعاً ، ولم ينج منهم إلا اثنان هما هلنور وليكوس ، وكان هلنور أكبرهما سناً ، ولما رأى الأعداءَ يطبقون عليه من كل ناحية ، اصبح مثله كمثل الحيوان الذي يضيّق عليه الصيادون الدائرة ، ويأخذه الحنق يائساً ، فيرمي بنفسه في شباكهم متلقياً رماحهم ، وهكذا رمى هلنور نفسه بين صفوف اللاتين ، حيث الرماح على اكتفها فقُتل فوراً . أما ليكوس السريع الخطى ، فقد بلغ الأسوار ، وود لو قدر على تسلقها . ولكن طورنوس أمسك به قائلاً : « هل تفكر في النجاة مني ؟ » ووضع عليه يديه وهو يتدلى من

الأسوار ، وسحبه وهو يجر وراءه قسماً كبيراً من السور ، وقبض عليه قبضة النسر على بطة ، أو قبضة الذئب على حَمل صغير ، ثم ثارت ثائرة المعركة ، ووقع القتلى من هؤلاء وأولئك ، فضرب الينوس لوسيتيوسس ، وهو يحاول إشعال النار بالأبواب ، وفتك كابيس بريفرنوس ، وبعد أن رمى ميزنتوس رمحه قذف من مقلاعه بقذيفة سحقتها قوّته ، على ابن أرسيس .

أما يولوس ، الذي لم يعمل قوسه من قبل إلا في اصطياد حيوانات البرّ ، تراه يحوّلها الآن نحو رجل ، وهو نيانوس الذي كان لأخت طورنورس زوجاً . وقد حسب نيانوس هذا انه رجلٌ عظيم فوقف في الصف الأول يتحدى الطروادين قائلاً : « ألا تخجلون من حصاركم هذا ، وقد غلبتم مرتين إلى الآن ؟! وأيّ جنون دفعكم إلى إيطاليا ؟ إننا قوم قساة ، نغطّس أطفالنا في مجاري المياه ، ويذهب صبياننا إلى الصيد في الغابات ، وحينما نصبح رجالاً ، فإن أيدينا أبداً إما على المحراث أو على السيف . أما الشيخوخة فلا تخضعنا أبداً ، وقد يصبح شعرنا أبيضَ ، ولكننا لا ننفك عن تغطيته بالخوذة ، أما أنتم فمعاطفكم من الأرجوان والزعفران ، وجلابيبكم ذات أرداف ، وقلانسكم مزركشة

مزخرفة ، وانكم تحبون النوم ، وتعشقون الرقص ، فماذا تفعلون هنا يا رجال ، بل يا نساء فريجيا ؟ » .

فلم يطق الفتى يولوس سماع تبجّح كهذا ، فثبّت على قوسه سهماً ، وشدّ الوتر ، وكان من شعر الخيل ، ثم رمى ، ودعا جوبيتر يقول : « أعِنّي الآن أيها الخالق العظيم ، وسأحضر لمعبدك عجلاً مذهّب القرنين عاماً فعاماً » . واستجاب جوبيتر الدعاء ، وأرسل الرعد عن اليمين ، ورنّ معه وتر القوس يرسل الموت ، وأزّ السهم في الفضاء ، فأصيب نيانوس نافذاً من أحد صدغيه إلى الآخر ، وصاح به يولوس : « هذا هو الجواب الذي يبعثه إليك رجال طروادة الذين غلبوا مرتين » . وضجّ الشعب يهتف فرحاً ؛ وتكلم أفلون من عليائه ، وهو يشاهد المعركة ، فقال : « سيروا كما بدأتم يا أبناء الأرباب وآباءهم ، هكذا سينهي أبناء طروادة الحروب بعد الآن » . ثم نزل من السماء الى معسكر الطروادين ، متخذاً شكل بوتيس العجوز ، الذي كان حامل سلاح انخيس في سالف الأيام ، وهو الآن يتبع يولوس . وتكلم الإله قائلاً : « يكفيك الآن الفتك بهذا المتبجّح نيانوس ، إن أفلون النبّال لا يحسدك على مجدك هذا ، ولكنْ لا تحاولنّ القتال مرّة أخرى » . قال هذا

وتوارى عن أعينهم ، وعرف الزعماء من يكون ، وهم يسمعون صليل جعبته عند رحيله ، ولم يدعوا يولوس يجذب قوسه بعد ذلك ، ولكنّ الحرب احتدم أوارها على طول الأسوار .

وكان هناك شابان هما ولدا الكانور من جبل إيذا ، لهما قامة طويلة كأشجار الصنوبر ، وكانا يدعيان فندروس وبيتياس . وكانا يقومان على حراسة البوّابة . ففتحاها ووقفا عن اليمين والشمال منها وكأنهما يرحّبان ، وطلبا إلى الأعداء عبورها . ولما رأى بعض هؤلاء الباب المفتوح ، هجموا يريدون اقتحامه ، فقتلوا على العتبة ، واشتدت عزائم الطرواد ، فازداد ضغطهم من فوق الأسوار .

ولما سمع طورنوس هذه الأنباء ، أسرع إلى الباب ، ففتك بأنتينات بن سرمندون وغيره ، ومنهم بيتياس ، ولم يقتله بالنشاب (فلن تعمل النشابة عملاً كهذا) ، بل قتله برمح سغنتوميّ بلغ طول سنّه ذراعاً . فنفذ من طبقتين من جلود الثيران ، وطيتين من ردائه ذي الزرد ، فوقع على الأرض يسمع لسقوطه هدير كهدة ركيزة عظيمة ، أقامها الناس عند خليج بايا . ولما رأى أخوه

فندروس أن الامور تتعثّر أمام أهل طروادة ، أغلق الباب، وهو يدفعه إلى مكانه بمنكبيه العريضين ، تاركاً خارجه الكثير من صحبه للعدو ، ومغلقاً إياه على الكثيرين ، وقد أعمته السرعة والخوف،فلم يفطن إلى وجود الأمير طورنوس بينهم ، وكان هذا هائجاً يطلب الدماء ، وكأنه نمر بين قطعان من الماشية ، ولاذ رجال طروادة بالهرب من أمامه. أما فندروس فلم يخشَ لقياه ، يحدوه الأمل بالانتقام لأخيه ، وصرخ يقول : « إن هذه ليست بمدينتك أردي ، بل هو معسكر أعدائك فلا توغل فيها » . فأجاب طورنوس : « إبدأ إذا كان في صدرك قلب باسل ، واعلم أنك ملاق أخيلاً آخر » . ورمى فندروس رمحاً عظيماً ذا قناة معقدة ، تُرك عليه لحاؤه ، ولكن جينو نحّته جانباً ، فوقع على الباب . فقال طورنوس : « إن سلاحي لن ينجيك هكذا،ولن تقترف يدي خطأ كهذا » . ورفع سيفه بالضربة ، فشق رأس الرجل وانفلق على كتفيه ، ولو فكر طورنوس بفتح الباب ، ودعوة اللاتينيين إلى الداخل ، لكان في ذلك نهاية هذه الحرب ، بل نهاية الأمة الطروادية ، ولكنه لم يفكر بهذا ، ولم يهمه من الأمر سوى الفتك بالأعداء . وقد ضرب منهم الكثيرين بعضهم من قُبُل ، وبعضهم من دُبُر ، وهو هارب

أمامه ، ومن بينهم أميكوس الصياد ، وكليتيوس المنشد ، الذي آثرته ملكات الفن بحبهن .

وبدأ زعيما طروادة منتوس وسرغنتوس بجمع شمل الشعب ، والهجوم على طورنوس ، وصرخ الأول قائلاً : « إلى اين تفرون ، هل لكم أسوار غير هذه ، أيحدث رجل فرد مذبحة كهذه في المدينة ؟ ألا تفكرون قليلاً بمليككم أيها الجبناء ؟ » عندها استرد الطرواديون قواهم ، وتجمعوا صفاً متراصاً ، ولم يعد بوسع طورنوس إلا الإذعان أمامهم ، فكان كالأسد يرده جمعٌ من الناس ، فهو خائف ومفترس معاً ، ولا تجيز له شجاعته الهرب ، ولكن أخصامه كثيرون ، فلا يجرؤ على الوقوف أمامهم . وهكذا كان إذعان طورنوس ، فقد ارتدّ على رجال طروادة ، وجعلهم يفرون من أمامه ، ولكنهم تغلبوا عليه في المرتين ، فقد تقارعت على خوذته النبال ، ثم كسرت بالحجارة ، ونزعت عنها ريشتها ، وتقلقل الترس بالضربات ، وسال العرق منه ، حتى تعذر عليه التنفس ، إلى أن بلغ النهر أخيراً فغطس فيه ، ورجع إلى صحبه .

وبقيت المعركة يستعر أوارها ، ويشتدّ حول الأسوار ،

وصارت حلقة الذين يدافعون عن المعسكر تضؤل وتضعف ، وقد وقف هنالك أزيوس بن امبرازوس ثم كلاروس وثمون أخوا سريندون الليّقي ، واكمون أخو منتوس ومعهم غيرهم . ووقف في وسطهم يولوس الفتى برأسه العاري الجميل ، وكأنه جوهرة نزّلت بالذهب أو العاج ، أو طوّقت بالبقس أو البطم .

٢٢

المعركة عند الشاطىء

كان انياس في هذه الأثناء قــد عقد مع تارشون والتوسكان حلفاً ، فإنه حينما بسط لزعيمهم تارشون أمره شارحاً له كل شيء ، ذاكراً له سبب قدومه ، تبعه الشعب راضياً ، وهو يعتقد أن كل شيء ينجز الآن حسب مشيئة الآلهة ، فعاد إلى المعسكر في سفنه ، يسير في سفينة في المقدّمة ، وعلى مرنحتها نقش أسدان فوقهما صورة الإلهَة إيذا ، وجلس بجانبه فلاس يسأله حيناً خــبر النجوم التي يسترشد بها الناس في سيرهم ليلاً ، وحيناً يسأله عما عاناه هو براً وبحراً .

وجاء وراءه ماسيكوس يقود سفينة (النمر) ، ومعه ألف رجل من كلوسيوم وكوسي ، ثم اباس يرافقه ستمائة

من بوبلونيا ، وثلاثمائة من ايلفا الغنية بمعادنها ، ثم العرّاف اسيلاس يقود ألف رجــل من بيزا ، ثم أستير أجمل الرجال ، ومعه ثلاثمائة من كيرى ، ومن سهول القمح في مينيو ، ومن فيرجي .

وجاء اللّيغوريون مــع سينيراس بن سيكنوس وكانت ريش خوذته من البطّ ، أما سفينته فتدعى القنطروس ، وأتى اوكنوس من مانتوا على سفينته مينسيوس ، ومعــه خمسمائة رجل . واولستيس على السفينة تريتون ، وبلغ عدد السفن الثلاثين عدّاً .

وحلّ الليل ، وبينما كان انياس عند دفــة السفينة ، وقد منعته الهواجس من النوم ، رأى هنالك عجباً ، فقد بدت أمامه مجموعة من الحوريات ، وقد كُنّ يوماً سفنه ، واقتربت إحداهن واسمها سيمودوسي من الخلف ، وأمسكت بكوثل السفينة بيدهــا اليمنى ، وجعلت تسبح باليسرى ، وقالت : « أيقـظٌ أنت يا ابن الإلهَة ؟ إننا صنوبر إيذا ، وكنا سفنك قبلاً ، وقد قُلبنا الآن إلى حوريات ، حينما أراد طورنوس حرقنا بالنار ، واعلمْ أنّ ابنك محاصَر في المعسكر ، فتلأّم الآن لأمتَكَ التي صنعها لك فولكان ، وستُلقي غــداً بكثير من اللاتينيين إلى الموت » . ودفعت

السفينة بيدها وهي تتكلم فأسرعت السير تشق المياه، وتتبعها السفن الباقية .

ولما أقبل النهـــار أمر انياس باستعداد الجميع للقتال ، وأصبح المعسكر الآن على مرمى البصر منه ، فوقف عند كوثل السفينة ، ورفع بيده اليسرى ترساً لامعاً ، فابتهج الطرواد لهذا المشهد،وهتفوا أشدّ الهتاف . وعجب طورنوس وصحبه إلى أن نظروا خلفهم ويا لدهشتهم مما رأوا ! فقد غص البحر بالسفن ، يتوسطها انيـاس ، وكـأن اللهب يتدفق من خوذته ، وأما ترسه فله بريق كأنه المذنَّب يشع في الليل أحمر كالدماء ، أو كأنـه النجم الكابي في أيـام الصيف الحارة ، ببريقـه الضار وهـو يجلب للبشر أنواع الحميات .

ولكن طورنوس لم يَـهِـنْ له عزم ، فهو يبغي احتلال الشاطىء ، ومنع القادمين من النزول ، ولهذا صرخ قائلاً : « لقد أتاكم الآن مـا طالما تمنيتم ، فانظروا ! إن العدو لا يختبىء وراء أسوار ، بل يلقانا وجهاً لوجه ، فاذكروا نساءكم وأطفالـكم في ربعكم ، واذكروا جليل أعمال آبائكم . فلنذهب للقائهم عند الشاطىء ، قبل أن يثبتوا أقدامهم » .

وكان انياس في هذه الأثناء قد أنزل رجاله من السفن على صقالات ، وقفز بعضهم إلى الشاطىء بعـد أن رقب

جزر الأمواج ، وركض البعض فوق المجاذيف ، ولحظ تارشون الاتروورياني مكاناً لا تبلغـه ضربات الموج ، فأمر رجاله بإرساء السفن فيــه . ففعلوا دون أي عائق ، غير أن سفينة تارشون نفسه ، اصطدمت بحرف ، فقذف منها رجالها ولكنهم بعد هنيهة بلغوا الشاطىء سالمين .

ثم قام انياس ضد العدو بأعمال عظيمة . فبدأ بالفتك بثيرون الذي فاق الرجال قامة ، فاخترق الزرد من ردائه ، ثم سيسوس وجياس الذي يحسن استعمال النبابيت على طريقة هرقل . وكانا ولديْ ميلامفوس الـذي صاحب هرقل ، وشاركه بكل مشاقه واتعابــه ، ثم أقبل أبنـاء فوركوس السبعة يهاجمونــه ، ورموه بسبعة رماح ارتـد بعضها عن مجنه ، وكشط بعضها جسده ، دون ان يناله منها أذى . فصاح انياس عــلى آخات يقول : « هاتِ من الرمــاح ما فيه الكفاية ، فإن الرماح التي فتكت بالإغريق في سهول طروادة لا يجب ان تُرمَى على هؤلاء اللاتين عبثــاً » . ثم فتك من هؤلاء السبعة باثنين هما ميون والكنور ، فقد اخترق الرمح من الأول لوحة الصدر والقلب ، أما الثاني فقد ودَّ ان يُنهض أخاه فنفذ الرمح من عضده ، وتابع اختراقــه . وجُندل الكثيرون من الجانبين ، فقـد كانوا

يحاربون وحظوظهم متساوية . انهم يحاربون عند عتبة إيطاليا ذاتها ، فلا الإيطاليون يفسحون المجال ، ولا رجال طروادة ينكصون . وقد رسخت القدم حذو القدم، واحتكّ الرجُل بالرجل .

وقاتل فالاس مع رجاله الارقاديين في مكان آخر من المعركة ، ولكنه رأى أنهم يفرّون لعدم رغبتهم في القتال راجلين (فقد أرسلوا خيولهم لأسباب تتعلق بطبيعة الأرض)، فصاح بهم يقول : « إنني أتوسل اليكم باسم مليككم إفاندر ، وباسم أملي ، بأن أنال من الثناء ما يناله ، أنْ لا تعوّلوا على أقدامكم ، بل يجب أن تجدوا طريقكم نحو الأعداء معتمدين على سيوفكم . فاتبعوني إلى حيث يكون الجمع على أكثفه ، فإنّ الذين يحاربونكم ليسوا بآلهة ، وليس من ترون إلا رجالاً فانين » . وهجم الى وسط الأعداء ، وبدأ بالفتك بلاغوس ، فضربه برمحه ، بينما كان يتناول حجراً كبيراً من الأرض ، فكانت الطعنة في ظهره ، ثم حاول سحب الرمح ، فأتاه هيسبو يبغي قتله، وهو يجهد في نزع الرمح ، ولكن فالاس تنبّه لقدومه ، فأعمل سيفه في صدره . ثم انثنى إلى ذبح الأخوين التوأمين لاريديس وثمبر ، وكانا من الشبه بحيث أنه كان يسرّ

أمهما وأباهما أنْ لا يميزا أحدهما من الآخر ، ولكن فالاس جعل بينهما ميزة لا رحمة فيها ، فقد قطع من ثمبر رأسه ، ومن لاريديس ذراعه اليمنى ، ثم قتل روتوس وهو يمرّ أمامه هارباً بمركبته . وهاجت ثائرة فالاس ورجاله الأرقاديين للقتال ، فكانوا أشبه بنار يشعلها راع في الغاب، ويمتد منها اللهب تحمله الرياح . ولما جاء هالوزوس ، رفيق أغاممنون ، آملاً أن يصدّ هجومهم ، عاجله فالاس برمحه، بعد أن دعا الإلـه الخالق تيبر ، فاخترق صدره ووقع قتيلاً ، ثم جاء لوزسوس ابن الملك ميزنتيوس لنجدة اللاتين ، وقتل اباس البوبولوني وغيره . وتعادلت كفّتا المعركة لوقت ما ، إذ كان فالاس يدعمها من جانب ، ولوزوس من جانب آخر ، وكانا جميلي المنظر ، متساويَين سناً ، وقد فرض على كليهما أنْ لا يرجعا إلى موطنهما الأصلي ، ولم يتقابلا في المعركة لأن كلاً منهما كان يعلم بأن هلاك صاحبه لن يكون إلا عن يدٍ أعظم من يده .

ودعت الآن الحورية جوتورنا أخاها طورنوس بأنْ يسرع لنجدة لوزوس . ولما حضر نادى على اللاتين قائلاً : « أفسحوا لي الطريق ، فإن عليّ وحدي معالجة فالاس ، وكم كنت أودّ لو أن والده هنا يشهد الأمر بنفسه » .

ودهش فالاس كثيراً لمنظره ، ولرؤية الناس يفسحون له الطريق . ولما كان لا يخامره أدنى خوف ، فقد تقدم إلى المكان الكائن بين الجيوش . ومشى الدم بارداً في عروق الأرقاديين ، وهم يرونه يتقدم . ووثب طورنوس من مركبته ليلقاه راجلاً . ودعا فالاس قائلاً : « إذا كنت يا هرقل ضيف أبي حقاً ، فمدّني بعونك ! » وسمعه هرقل حيث يجلس في السماء ، وبكى لعجزه عن تقديم أية مساعدة . عندها قال جوبيتر : « إن أيام البشر معدودة يا بنيّ ، ولكنهم قادرون على التخليد بشريف أعمالهم ، وإن البسالة لتوفر هذا لهم على الأقل . ألم يقع الكثيرون من أبناء الآلهة قتلى في طروادة ؟ أجل ومنهم ابني سرفيدون ، أما طورنوس فإن يوم هلاكه لقريب » .
قال هذا وحوّل نظره عن المعركة ، فأخذ فالاس رمحه ، ورمى به طورنوس بكل ما لديه من قوة ، فاخترق منه الترس ، ومر بصداره ، بل كشط أعلى كتفه . وهز طورنوس رمحه يوازنه قليلاً ، وقال : « أحسب ان الأفضل ان يذهب هذا في سبيله » . ثم أرسله فذهب يخترق الترس ، وجلد الثور الثخين ، ومر بطيات البرونز ، ونفذ الصدار ، وخرجت الطعنة من صدر فالاس إلى ظهره . ومزق فالاس الفولاذ ، عن الجرح ، فانبثقت منه الدماء وخرجت معها

روحه . ووقف طورنوس عند الجسد وقال : « يا رجال ارقاديا ! بلّغوا الملك افاندر هذه الكلمات : لقد اعدت فالاس إلى حيث يستحق أن يعاد ، ولن اضنّ عليه بهبة إكرام الدفن ، وحقاً إن صداقة انياس قد كلفته غالياً » . ثم وضع رجله على الجثة وسحب عنها النطاق ، وهو نطاق عظيم ثقيل نقش عليه كلونيوس بالذهب عمل بنات دانويس الخمسين ، وكيف ذبحن أزواجهن في ليلة واحدة ، ولكن اليوم الذي سيندم فيه طورنوس على مسه لهذا السلب أصبح قريباً . وبعد ذلك وضع صحب فالاس جثته على ترس ، وحملوه وهم يندبون ويبكون .

ووصلت الأنباء إلى انياس بأن سوء الحظ يلازم رجاله ، وأن فالاس قد قتل . فأسرع يقطع السهل ، وقد امتلأ قلبه حقداً على طورنوس ، وشفقة على إفاندر العجوز ، فبدأ بأسر ثمانية فتيان أحياء ليذبحهم على القبر ، ثم سدّد إلى لاغوس رمحه ، ولكن هذا تجنبه بمهارة ، وهجم إلى الأمام ممسكاً بركبتي انياس ، يتضرع اليه ، بروح أبيه ، وآمال ابنه يولوس أن يعفو عنه ، ويأخذ الفدية عن حياته ، ولكن انياس اجاب : « لا تتحدث بالعفو ولا بالفدية ، فقد أصبح لكل فروسية الحرب حد ، بعد ان

فتك طورنوس بفالاس » . ثم امسك الرجل من خوذته بيده اليسرى ، وحنى عنقه إلى الخلف ، وأنزل فيه السيف إلى مقبضه ، وعكف على الكثيرين من بواسل الزعماء ، يُعمل فيهم قتلاً وذبحاً ، مثل هيمونيدش كاهن فويوس، وديانا ، وتركيتوس بن فونوس ، وكامرس الاسمر بن فولستر ، وقد لقيه الآن أخوان في مركبة واحدة وهما لوكاغوس واليغر . وصرخ هذا وكان يقود الجياد : « ليست هذه الجياد بجياد ذيوميذ ، ولا المركبة بمركبة أخيل ، لكي تقدر على النجاة منها. لا ! بل ان نهاية هذه الحروب ، ونهاية حياتك قد أتت » . فلم ينطق انياس بكلمة ، بل أرسل رمحه معاجلاً لوكاغوس ، وهو يتأهب للقتال ، واخترق ترسه ، ونفذ من فخذه ، فوقع إلى الأرض قتيلاً . فقال انياس ساخراً : « إن جيادك ليست بطيئة للهرب ، ولا تخيفها الظلال . فقد تركت مركبتك بملء إرادتك » . وأمسك بالجياد من رؤوسها ، فبسط أليغر يديه نحوه متوسلاً ، وقال : « أتضرع إليك باسم والديك ان ترحمني » . فأجابه انياس : « لا ، انك لم تتكلم هكذا من قبل، مُت ، ولا توحش أخاك ». وضرب بالسيف صدره . وهكذا أعمل انياس الموت في الجيش ، وكأنه الجبار تيفوس ذو المائة ذراع . ولما رآه يولوس

ورجال طروادة تركوا المعسكر متقدمين اليه .

وفكّرت جينو بحيلة تنجي بها طورنوس الذي تحبه ، فجعلت شكلاً يشبه انياس يمر من أمام عينيه ، وكأنه يتحداه للقتال ، ولما رغب طورنوس في قتاله ، هرب منه وتبعه طورنوس . واتفق أنْ رست هناك سفينة شدّت إلى صخر عظيم، وكان الملك ازينيوس قد قدم عليها إلى كلوزيوم ، وإليها هرب انياس الزائف . وجدّ طورنوس في أثره ، ولكنه لم يجد الرجل . وفيما هو ينظر ، قطعت جينو مراسيَ السفينة ، وأصبح والبحر يحيطه من كل ناحية، فنادى قائلاً : « ماذا اقترفت يا جوبيتر العظيم ، حتى أعانيَ خزياً كهذا ؟ وماذا سيظن اللاتينيون بهربي ؟ ألا أغرقيني أيتها الرياح ، وأيتها الامواج ، أو فخذي بي إلى حيث لا تقع عليّ عينا رجل من بعد » . وقد حاول إلقاء نفسه في البحر ثلاثاً ، كما حاول الانتحار بسيفه ثلاثاً ، ولكن جينو منعته من ذلك ، وأرجعته سالماً إلى بلد أبيه دونوس .

وانضمّ الملك ميزنتيوس إلى المعركة في هذه الأثناء ، ولم يفلح جهد الطرواد ، ولا التوسكان في منعه ، ففتك بالكثيرين من بواسل الرجال ، مثل ميماس الذي حملت به

تينو في نفس الليلة ، التي حملت فيها ايقاب بفاريس لفريام ، واكتور الإغريقيّ الذي ترك عروسه الموعودة ، وجعل من رمزها الأرجواني شارة له ، وضعها على خوذته ، واورودیس ذي القامة الطويلة ، وكان هارباً ، فلم يتنازل الملك إلى قتله في هروبه ، بل لاقاه وجهاً لوجه ، وضربه فصرخ قائلاً : « كن من تكون ، فإنك لواجد جزاءك قريباً ، وإن هلاكاً مماثلاً ينتظرك ، وعلى هذه الأرض ستجد لحدك » . فضحك ميزنتوس ، وأجاب : « مت الآن ودع أمري لملك الأرباب والناس » .

وبعد هُنيهة لمح انياس ميزنتوس وهو يقاتل ، فأسرع للقائه ، ولم يتنحّ الملك ، بل صرخ قائلاً : « فلتكن الآن هذه اليد اليمنى ، وهذا الرمح الذي أحسن استعماله إلهان يقدمان لي العون » . وأرسل رمحه ، فضرب ترس انياس ، ولم يخرقه ولكنه لم يذهب عبثاً ، بل انحرف فأصاب انتوريس في جنبه — وكان انتوريس هذا رفيقاً لهرقل ، ولحق من بعده بالملك افاندر — فوقع قتيلاً ، وتذكّر وهو يموت البلدة التي أحبها وهي أرغوس . ثم رمى انياس رمحه بدوره ، فمضى يخترق إهاب الثور ، بعد أن مرّ بالترس ، وجاءت الطعنة في حقو الملك ، ولكنها لم تكن مميتة . وبلغ

من انياس السرور مبلغه ، حينما رأى الدم يتدفق من الجرح ، فاستل سيفه وانقض على ميزنتيوس ، الذي ثقل عليه الرمح والجرح ، فأذعن . ولما رأى ابنه لوزوس هذا ، أنّ عالياً ، وقفز الى الأمام متلقيّاً الضربة بسيفه . وتبعه صحبه يتصايحون ، ورموا انياس برماحهم ، يصدّونه بها إلى أن انسحب مليكهم سالماً . ووقف انياس مدة ، تحت وابل من الرماح ، وكأنه مسافر وقف يقي نفسه العاصفة . ونادى على لوزوس قائلاً : « ماذا تبغي أيها الأحمق ، ولمَ تجازف بما ليس لك قدرة على احتماله ؟ » فلم يأبه لوزوس لتحذيره ، بل تابع هجومه. فامتلأ قلب انياس غيظاً ، وأتى اليوم الذي يجب ان يموت فيه لوزوس ، فقد ضربهُ انياس بسيفه ، فمرّ بالترس والرداء المنسوج بالذهب ، واختفى في جسمه حتى حقوه . وأخذت انياس الشفقة عليه حينما طرح أرضاً ، وفكّر في نفسه كيف كان يودّ هو أن يموت من أجل أبيه ، فتكلم قائلاً : « ماذا يجب على انياس أن يقدّم لك أيها الفتى السيء الحظ من أجل نبلك هذا ؟ احتفظ بسلاحك الذي كنت به فخوراً ، وليفعل والدك بجسدك ما يشاء ، وليكن عزاؤك في موتك أنك قتلت بيد انياس العظيم » . ثم أنهضه عن الأرض ، وطلب إلى رفاقه حمله .

وكان والده في هذه الاثناء قد عُني بجراحه ، وهو يتكىء على جذع شجرة عند نهر التيبر . وقد تدلّت خوذته من فرع الشجرة ، وطرحت أسلحته على الأرض ، بينما وقف أتباعه من حوله وهو لا ينفكّ يسألهم أنباء لوزوس ويبعث إليه من يطلب اليه الرجوع . ولما حملوا اليه جسده على ترس عرفه من بعيد ، فعفّر رأسه الأبيض بالغبار ، ووقع على جثته ينتحب ويقول : « هل اشتدت رغبتي في الحياة إلى هذا الحدّ يا بني حتى أجزت لك لقاء سيف العدوّ عني ؟ وهل نجوت أنا بهذه الجروح ؟ وهل أحيا بموتك ؟ لقد اقدمت حقاً على الخزي يا بني باساءتي اليك. لكم كنت أودّ لو قدّمت حياتي الخاطئة لأجلك ! وأنا مائت ولا ريب ، ولن أموت الآن ؛ لأن هنالك عملاً يجب أن أعمله أولاً » . ثم نهض على فخذه ، وأمر بإحضار جواده ، وكان هذا مدار فخره وراحته ، ولكمْ عاد به ظافراً من حروبه ، وقد كان الحصان شديد الحزن ، فخاطبه قائلاً : « لقد عشت وإياك طويلاً يا روبوس ، إذا كان على الأرض شيء طويل ، ويجب أن ترجع الآن برأس انياس وسلاحه ، لنثأر لحبيبنا لوزوس ، أو أن تموت معي ، فإنني أعلم بأنك لن تطيق أن تتخذ من طروادي صاحباً » .

وامتطى ظهر جواده ، ممسكاً بكلّ يد رمحاً ، وأسرع لملاقاة انياس ، ودعاه باسمه ثلاثاً . وسُر انياس لسماع صوته ، فجهر قائلاً : « فليمنحنا جوبيتر وأفلون بأن يكون هذا حقاً . ولنبدأ القتال » . فأجاب ميزنتوس : « لا تحاولنّ إخافتي ، فلن تقدر على إيذائي الآن بعد أن قتلت ولدي . لقد أتيتك لأموت ، ولكنْ خذ هذه الهدية أولاً » . ثم أرسل رمحه وأتبعه بالثاني ، وهو يدور حول عدوه بدائرة كبيرة ، ولكنهما لم يكسرا حدبة الترس الذهبية ، ووقف انياس ثابتاً يحمل غابة من الرماح على مجنّه . وطلع إنياس أخيراً من وراء ترسه محنقاً ، ورمى رمحه ، فطعن جواد الحرب روبوس بين صدغيه ، فشبّ الحصان عن الأرض ورفس الهواء برجليه ، ووقع إلى الأرض وفارسه من تحته . وأرسل اللاتين والطرواد صيحة عظيمة ، وأسرع انياس ، وقد استل سيفه ووقف من فوقه وقال : « اين ميزنتوس الشرس الآن ؟ » فقال الملك وهو يعاود التنفس : « لمَ تتوعدني بالموت ؟ بل اذبحْني ، ولن تسيء بذلك إليّ فإنني لم أعقد معك للحياة ميثاقاً ، كما لم يعقد معك ولدي لوزوس ذلك حينما مات لأجلي . ولكنْ هبني طلباً واحداً . إنك تعلم أنّ قومي يُضمرون لي كرهاً ، فامنع عنهم جسدي حتى لا يمسّوه بسوء ، ودع ابني يلحَد معي في قبري » . ثم أسلم عنقه للسيف من غير وجَل .

٢٣

المجلس

وهكذا بلغت المعركة نهايتها . وفي الصباح الباكر من اليوم الثاني قدم انياس نذوره . فقد أخذ شجرةً من السنديان ، وشذّب منها فروعها ، ووضعها على رابية ، ثم علق عليها لمارس نصباً حربياً ، مؤلفاً من سلاح الملك ميزنتوس ، وقد قطرت ريش الخوذة دماً ، والرماح البتراء ، والصدار وفيه اثنا عشر ثقباً ، ثم أوثق المجن إلى اليسار ، وعلق نحو العنق منه السيف ذا الغمد العاجي . ثم خاطب الزعماء الملتفين حوله ، قائلاً : « لقد صنعنا صنيعاً عظيماً ، فإنكم لترون هنا كل ما تبقّى من ميزنتوس . فلنأخذ الأهبة إذن للحرب ضد مدينة لاتينوس ، وسنبدأ هذا مع انبثاق فجر الغد . أما الآن فلندفن الموتى، ولنقدم

لهم ما يجب من الإكرام . فلقد اشتروا لنا بدمائهم وطناً. ولكنني سأرسل فالاس أولاً إلى بلد أفاندر » .

ثم ذهب إلى الخيمة ، حيث سجّيت الجثة ، يحرسها اكوتيس العجوز — وقد كان اكوتيس حامل سلاح أفاندر ، ثم لحق بفالاس ، ولكن الحظ لم يسعده — ومن حول الجثة قامت النساء الطرواديات يندبن الميت ، وقد حللن شعورهن . ولكنهن لما رأين انياس قرعن صدورهن ، وأرسلن الصوت عالياً ، حتى بلغ عنان السماء . ولما رأى الملك الرأس مسنداً الى حشيّة ، وشاهد الجرح البليغ في الصدر بكى ، وقال: « آه ! لمَ شاء الحظ أن يحرمني هذه الهبة ، وهي أن تشهد ملكي وتعود منصوراً إلى بيت أبيك ؟ لم يكن هذا ما وعدت أفاندر حينما عهد بك إليّ ، وقد حذّرني بأن رجال ايطاليا بواسل شرسون . وقد تكون أيها الشيخ قائماً الآن على تقديم الأدعية والعطايا من أجله ، وهو لم يعد مديناً لأرباب السماء . وسترى على الأقل بأنّه يحمل جرحاً شريفاً ، ولكنْ أي ابن خسرتِ يا ايطاليا ! وأي صديق أضعتَ يا يولوس ! »

ثم اختار عشرة من الرجال ، يذهبون مع الميت ، ويشاركون الأب أساه . ثم صنعوا نعشاً من فروع القَطْلَب والسنديان ، ووضعوا فوقه مظلّة من الأغصان ، وسجّوه

عليه ، فكان كزهرة من البنفسج أو الخزام قطفتها يد فتاة ، فبقيت لها نضارتها . وبقي لونها، ولكنّ الأرض لم تعد تغذيها . وأخذ انياس رداءيْن من الأرجوان ، حاكتهما ديدو بخيوط من الذهب ، فلفّ بأحدهما الجسد ، وبالآخر الرأس . وحملت وراءه الأسلحة التي ربحها بالقتال . وقادوا اكوتيس العجوز وهو يقرع صدره ويمزّق خدّيه ، ويرتمي إلى الأرض ، ومشى إيتون الجواد الحربيّ بجانبه ، تتساقط العبرات الكبيرة على خدّيْه . وحملوا وراءه خوذته ومجنّه، أما الأسلحة الباقية ، فقد استولى عليها طورنوس ، وتبع الجميع رجال طروادة والأرقاديّون والتوسكانيّون منكّسي السلاح . وقال انياس : « إنّ المهامّ وويلات الحرب يدعوانني إلى مكان آخر ، فالوداع يا فالاس الحبيب إلى الأبد ! » . ثم برح المكان إلى المعسكر .

وأتى من المدينة سفراء ، وأغصان الزيتون على رؤوسهم، وهم يطلبون الهدنة ، لكي يتمكّنوا من دفن موتاهم ، فأجابهم انياس : « إنكم تطلبون السلام للموتى ، وبودّي لو أعطيه للأحياء . إنني لم آت هذه الأرض إلا بدعوة من الأقدار ، وإذا كان مليككم قد تحوّل عني ، وعن صداقتي ، إلى طورنوس ، فلا لوم عليّ ولا تثريب . وأحسِب أنّ طورنوس كان يجب أن يأخذ هذا العبء على

نفسه فقط . وإذا شاء الآن أن ينازلني رجلاً لرجل فليفعل . أما أنتم فقوموا بدفن موتاكم » .

ثم عقدوا هدنة تدوم اثني عشر يوماً ، وعكف رجال طروادة واللاتينيون يعملون معاً في تقطيع الحطب فوق الهضاب من الصنوبر والأرز والأجاص ، وبنى رجال طروادة ركاماً عظيماً عند الشاطىء ، وحرقوا فوقه جثث صحبهم ، ومعهم أسلحتهم ، وعمل اللاتينيون عملهم . وقام الذين اختيروا لحمل جثة فالاس إلى المدينة ، بما عهد إليهم ، فأقام له الملك افاندر والأرقاديّون مأتماً عظيماً .

ولما انتهوا من دفن موتاهم ، ظهر في المدينة شغب عظيم ؛ لأن الكثيرين من أهلها فقدوا الزوج أو الأخ أو الولد ، فضجّوا يصرخون بأن هذه ما هي إلا حرب خبيثة ، ويلعنون زواج طورنوس ، ويرغبون في قتاله لإنياس وجهاً لوجه ، لكي يكون لهذه الاضطرابات نهاية . ولكنْ حدث في وسط هذا الشّغب أن عاد أولئك السفراء الذين أرسلوا إلى ذيوميذ يصرّحون بأن رجاءهم وعطاياهم كانت عبثاً . ودعا الملك لاتينوس إلى عقد مجلس من الزعماء، واستوى على عرشه ، ثم طلب الى الرجال الكلام . فتكلم فينولوس زعيم الزعماء ، قائلاً : « لقد ذهبنا الى اربي

إلى مدينة الملك ذيوميذ . فقابلنا الرجل ، وسألنا عن سبب قدومنا . ولما أبلغناه ما قدمنا مـــن أجله ، قال : « لمَ تجازفون بأقداركم يا رجال إيطاليا ؟ ألا تعلمون بأنّ كل من رفع يده منّا ضد رجال طروادة قد لاقى العناء الأليم؟ فإن اياس الأصغر هلك على صخور يوبيا ، وشرّد مانيلا حتى بلغ جزيرة بروتوس القريبة من أرض مصر ، ولم ينج أوذيس من السيكلوبيين إلا بشقّ الأنفس ، أمـــا الملك أغاممنون فقد قتلته زانية في عقر داره . وها نحن أولاء لم يجز لنـــا الأرباب العودة إلى رؤية الزوجة والوطن . أمّا الطلب الذي تتقدّمون به إلي ، فجوابي عليه هو أنني لن أعود إلى قتال الطرواد مرّة أخرى . والأفضل أن ترجعوا بهداياكم هذه ، وتقدّموها إلى انياس . لقد حاربنا معاً ، وإنني لأعلم بأيّ جبروت يقدم على الضّرب بسيفه ، أو الطعن برمحه . وسأخبركم بهذا : لو كان للطرواديين اثنان من أمثاله ، لبلغت الحرب أبواب أرغوس ، وللاقت بلادُ الإغريق نفس صنيعها ، فإنه مع هكتور هما اللذان حملا الحرب عشر سنوات ضدّ قتالنا ، وكلاهما باسل قويّ ، ولكن هذا كان آثـَرهما عند الأرباب منزلة ، فسالموه إذا شئتم ، واحذروا من لقياه في قتال » .

ولما انتهى من كلامـــه ، سرت في المجلس غمغمة ،

فهـــذا يقول شيئاً وذاك يهمس إلى آخر حتى تكلّم الملك لاتينوس عن عرشه ، وقال : « إنه لبئس الظّرف للمشورة ، والعدوّ عند أسوارنا ، ولكنْ أصغوا إلى كلماتي : لقـــد أتيتم أمراً إدّاً بإثارتكم هذه الحرب على رجال طروادة ، وهم أعزّاء على الأرباب ، ولن ينتصر سيف على سيوفهم ، ولقـــد سمعتم ما قاله الملك ذيوميذ ، وأنتم تعلمون إلى أي دركة وصلت بنا حظوظنا ، وحكمي اذن هو هذا : إن لي ملكاً قريباً من التيبر ، ينبسط إلى الغرب ، وهو أرض فيها سهول الذّرة والمراعي ، فسأقدّم هـذا إلى رجـــال طروادة ، ومعه الغاباب الممتدة على الهضاب ، بل سأقسم مـا بيني وبينهم ملكي . أمّـــا اذا كانوا يفضّلون البحث عن أرض أخرى ، فلنبنِ لهم اثنتي عشرة سفينة ، ونزيدها إذا ما ملأوها ، وليذهبوا بسلام . والآن فلنرسل إليهـــم سفراءنا ، وليكونوا مائة رجل يحملون معهم من العطايـــا وزنات من الذهب والعاج ، ثمّ عرشاً وطيلساناً هما مـــن شعائر الملك » .

ثم تكلّم درانس (وكان درانس هذا يضمر لطورنوس حسداً عظيماً ، فقد كان كريماً جواداً حسن البيان بليغ اللسان ، بارعاً عند المشورة والنقاش ، ولكنه كان ضعيفاً في القتال)

فقال: « إنّ ما تطلبه منّا أيها الملك لواضح جليّ، لا يحتاج الى خطاب، فإن الرجال جميعاً ليعلمون ما هو أنفع للشعب، ولكنهم يخشون قوله. وهذا الرجل هو الذي يمنعنا عن الكلام. هذا الرجل – أجل أقول هذا ولو هددني بالموت – الذي دفع الى الهلاك من أجل كبريائه الآثمة، بالكثيرين من بواسل الزعماء، بينما يقوم بمظاهر تافهة لشجاعته. والآن أيها الملك، فإنني لأودّ أن أرجوك إضافة عطية إلى عطاياك، قدّم ابنتك لهذا الصهر العظيم، وحقق بذلك سِلْماً دائماً. وأنت يا طورنوس، أذعِن الآن من أجل وطنك، وإننا جميعاً لنطلب ذلك منك، حتى أنا الذي تحسبني لك عدوّاً. أما إذا رفضت، وجعلت الزوجة الملكية فوق مصلحة بلادك، فلا تطلب إلينا الموت من أجلك، بل اذهب وقابل عدوّك وجهاً لوجه ».

فأجاب طورنوس، وقد تملك الغيظ قلبه: « إنّ لك دائماً كلمات في الحكم يا درانس. ولكنْ أين جرأتك؟ وأين الذكريات الحربية التي صنعتها يمينك؟ ألا تقدم عنها الآن برهاناً؟ ولكنْ لا! إنّ العدوّ على الأبواب، فهل نذهب؟ وهل تتأخّر؟ أتقوم جرأتك جميعها إذن على لسان متبجح، وقدم جبانة؟ إنك لترتاب في شجاعتي

ولا شك، أولم يبلغك مصرع فالاس وبيتياس وفندروس وكلّ من جندلتهم حينما حبسوني داخل أسوارهم؟ والآن فإنني أتكلم عنك وعن مجلسك يا أبي، إذا كنت تعتقد أنّ انكساراً واحداً يكفي، وأن الحظ لن يتغيّر، فليكن ما تريد، ولنصلّ للسلام، وسعيد ذاك الذي مات قبل أن يرى خزياً أحق كهذا! ولكنْ إذا بقيت لدينا من قوّة وأمم وبلدان لا تزال تمدّنا بعونها – وإذا كان رجال طروادة هؤلاء لن ينالوا نصرهم إلا عزيزاً، فلمَ تخور منّا العزائم عند العتبة، ولمَ نرتجف رعباً قبل أن تنفخ الأبواق؟ إن ذيوميد لن يكون لنا عوناً، ولكن لدينا ميسافوس، والعرّاف تولمينوس، وزعماء إيطاليا جميعاً. أجل، ولدينا كاميلا الفولسيانية مع فرقها المتّشحة بالبرونز، وإذا كانوا يرغبون في لقائه رجلاً لرجل، فلن أرفض طلباً كهذا، وليكن جبّاراً كأخيل، وليتسربل بالأسلحة التي صنعها فولكان. وإنني لا أرفض النزال، فإن حياتي هي [illegible] ».

وبينما هم في نقاشهم هذا، قدم الى القصر رسول يحمل أنباء [illegible] ويقول ان رجال طروادة قد غادروا معسكرهم وهم يتقدمون إلى القتال صفاً، فثارت عند ذلك

ضجّة عظيمة ، فبعضهم ينادي بطلب السلاح ، والبعض الآخر ينتحب ، وعلت الضوضاء حتى سُمع لهـا صخب كصخب العصافير في غابة سحيقة الغور ، أو كالبطّ عند فم فو . وصرخ طورنوس يقـول : « اعقدوا مجالسكم يـا أصحابي ، وتكلّموا عن الحرب وأنتم قعود ، ولكنّ العدوّ على الباب » . وأسرع خارجاً مـن مجلس الشيوخ .

٢٤

المعركة عند المدينة

وأمر طورنوس بأن يكون من الزعمـاء مَنْ عليه أن يرتّب المعركة صفاً ، ومنهم مَن يدعم البوّابات ، ومنهم من يتّبع خطاه . فقام الرجال يحفرون الخنادق أمام الأبواب ، ويجمعون الركّام مـن الحجارة والأوتاد ، ووقفت النساء والأولاد فوق الأسوار . ولكنّ الملكة ووجيهات الأمّهات قصدن إلى معبد فـالاس ، ومعهن لافينيا العذراء ، التي أثيرت من أجلها كلّ هذه الأشجان ، وهي تطرق بعينيها الجميلتين إلى الأرض . وتقدّمن إلى الإلهة بالبخور والصلاة ، علّها تكسر لهذا النهّاب رمحه الفريجياني ، وتجندله صريعاً عنـد أسوار المدينة . وتسلّح طورنوس للقتال ، ونزل

راكضاً من القلعة . ولكنه ، ويا للدهشة ! لاقى كاميلا عند الباب مع فصيلة من العذارى يمتطين الخيول . ولما ترجّلْن عنها ، خاطبته ملكتهن قائلة : « إنني أعدك يا طورنوس بملاقاة فرسان طروادة وتوسكانيا ، فامكث هنا راجلاً واحرس الأسوار » . فأجاب طورنوس بحزم: « أي ثناء أقدّمه إليك على صنيع كهذا ؟ ولكن أصغي إليّ الآن ، إنّ هنالك وادياً في الطريق التي ينوي انياس قطعها نحو هذه المدينة ، وسأقيم عند فم هذا الوادي كميناً، وعليك أنت لقاء التوسكانيين الفرسان في المعركة ومعك ميزافوس وفرسان تيبور » . قال هذا وذهب يقيم الكمين لإنياس .

وفي الوقت ذاته خاطبت ديانا ، من حيث تقيم في أعالي السماء ، اوفيس وهي إحدى الحوريّات القائمات على خدمتها قائلة : « إنّ كاميلا قد ذهبت للقتال ، وهي أعزّ عليّ من كل عذارى العالم ، وهي أثيرة لديّ مذ كانت طفلة . فإنها ابنة الملك ميتابوس ، الذي أجْليَ عن بلده فريفَرْنوم لقساوته ، وقد هرب ومعه ابنته هذه ، وكان يحملها إلى صدره ، ولمّا اشتدّ ضغط الفولسيان في مطاردته أتى نهر الأمازون ، الذي حدث ان كان يطفح

بالمطر الغزير ، الذي طغى على جانبيه . ولمّا أراد الملك أن يجتازه سابحاً ، منعه الخوف على ابنته من أن يفعل ، فما كان منه إلا أن أخذ الرمح العظيم ، الذي كان بيده وأوثقها إليه بسلوخ من لحاء الشجر ، ووازنها في يده قائلاً : « إنني نذرت لك ابنتي يا ابنة لاطونة ، لكي تكون أمة لك إلى الأبد » . ورشق الرمح بكلّ ما فيه من قدرة فوقع على الجانب الآخر من النهر ، ثم ألقى بنفسه في الماء ، ونجا من أرض أعدائه . ولم يتّخذ له بعد ذلك من البيوت سكناً ، ولم يأوِ إلى مدينة ، بل عاش مع الرّعاة فوق الهضاب ، وكان يرضع ابنته من حليب الفرس وأشباهه . وما إنْ قدرتْ على تثبيت قدمها على الأرض حتى وضع في يدها نشابة ، وأعطاها قوساً وسهاماً . ولم تزيّن رأسها [illegible] أو ترتدِ الثياب الطويلة شأن النساء، بل [illegible] رداءها ، فكانت منذ الطفولة ترمي بالنشابة [illegible] من فوق رأسها ، فتصيب الكركيّ أو [illegible] في وسط السّحاب . وقد كان [illegible] أمهات التوسكان لو يتخذنها لأبنائهن [illegible] لم يكن ليروقها ، وكنت أتمنّى لو لم [illegible] منها إحدى صويحباتي.

وبما أنني أرى الهلاك يقترب منها ، فإنني أعهد اليك بأمر يخصّها ، انحدري الآن إلى الأرض ، إلى أرض اللاتين حيث بدأوا الآن هذه الحرب الشؤمى ، وخذي من جعبتك سهماً للثأر ، وكل من يقصد هذه العذراء بأذى ، سواء أكان طروادياً أم لاتينياً سيلقى جزاءه . أما هي ، فسأحملها عائدة بها إلى موطنها الأصلي ، وليس لرجل أن يسلبها سلاحها » .

وكان انياس في هذه الأثناء يقترب بجيشه من الأسوار ، فكرّ الفرسان من الجانبين بعضهم على بعض ، وهم يُشرعون الرماح أمامهم . والتقى تيرنوس التوسكاني باكونتوس في هذه المعركة ، فقذفه عن جواده ، فكان لذلك هزّة كصاعقة تقذف من السماء ، أو كصخرة تهدّ بزلزال ، فاضطربت صفوف اللاتين ، ولاذوا بالفرار يتعقّبهم رجال طروادة . ولكنهم حينما اقتربوا من الأبواب كرّ عليهم اللاتين ، وعاد الطرواد بدورهم إلى الهرب . وكما تهاجم الموجة الشاطىء مدّاً وجزراً ، هكذا ركنوا الى الفرار مرتين ، وعادوا إلى الكرّ مرتين ، ولكنهم التحموا في المعركة مرة ثالثة ، فلم يتخلّ منهم عن مركزه أحد ، فهلك من الرجال كثيرون ، وصُرع من الجياد

عدد كبير ، وطعن أوريلوس حصان ريمولوس بين صدغيه ، فشبّ الحيوان ، وألقى بفارسه إلى الأرض . ثم فتك كاتيلوس التّيبوريّ بيولاس ، كما فتك بهرمين الذي كان يحارب بصدر عاطل ، وكتفين عاريتَين ، وأنفذ رمحه فيه من جنب إلى جنب . وكانت العذراء كاميلا أشدّهم قسوة ، فكانت تحارب بصدر عار ، وهي ترسل السهام عن قوسها تارة ، وتعمل بلطتها تارة أخرى ، وإزاءها رفيقاتها العذارى ، مثل لارينا وتولا وتارفيا يتبعن خطاها ، فكنّ كالأمازونيات ، وقد اتخذن تروساً شحذت كدورة القمر ، واحتشدن حول ملكتهنّ ، ففتكت بأونوس الطروادي وفاغاس وليريس الاستروكانيّين وغيرهم كثيرين ؛ إذ كانت تقتل بكل سهم رجلاً . وهجم عليها الصيّاد اورنتيوس ، وخوذته رأس ذئب بأسنانه البيضاء ، وفي يده رمح للصيد ، وكان ذا قامة تفوق الرجال ، ولكنها صرعته ، وهزأت به قائلة : « أحسبت أيها التوسكانيّ أنك تصطاد الحيوانات البريّة اليوم ؟ لا ، بل إن سلاح امرأة جعل تبجّحك هباء » . ثم فتكت بأورشيلوس وبوتيس رجليْ طروادة الجبّارين ، وقد قتلت بوتيس وهو يركن إلى الهرب منها . أما اورشيلوس فتظاهرت بالهرب

منه ، ثم دارت على عقبيها ، وقابلته وجهاً لوجه ، وشطرت رأسه شطرين . أما ابن اونوس ، الذي يسكن أبوه بين الأفونيين ، فقد أخذته الرّعدة مما رأى ، وودّ لو يقدر على الهرب منها بالخدعة والمهارة على طريقة بلاده ليغوريا، فقال: « أيّ مجد هذا الذي تنالينه، إذا ما تغلّبت بسرعة جوادك ؟ فقابليني الآن راجلة ، ولنرَ من منّا سينال نصراً » . ولما قفزت العذراء عن جوادها ، وأسلمته إلى رفيقاتها ، لوى عنان جواده ، وأركن إلى الفرار ، ونادته العذراء قائلة : « هل تحسبنّ أنك ستنجو مني أيها الأحمق ؟ إنك لن ترى والدك الماكر أونوس بعد الآن ». وأسرعت فسبقت جواده ، وأمسكت العنان بيديها ، ووقفت إزاءَه ، ثم فتكت به .

عند ذلك أنّب تارشون التوسكانيّ فرسانه ، منادياً كلاًّ باسمه ، وقال : « أيّ رعب هذا ؟ وأيّ حطّة هذه أيها التوسكانيون ؟ أتسوقكم امرأة أمامها ؟ إنكم لتأهبون أبداً للرقص والاحتفال وتقديم القرابين ، ولكنكم متقاعسون متلكّئون في الحرب ؟ » ثم حثّ حصانه نحو فينولوس التّيبوري ، وانقضّ عليه قابضاً على ذراعيه ، وحمله بعيداً كما يحمل البازي أفعى ، بعد أن يقبض عليها ، وتلتفّ

على الطّائر متلوّية ، تكافح وتفحّ ، ونظر تارشون يبحث عن مكان يقتله فيه . وجاهد فينولوس بقوّة لكي يبعد السيف عن عنقه ، واشتدّت حماسة رجال طروادة والتوسكان حينما رأوا زعيمهم يحارب بهذه البسالة .

وكان ارونس يراقب العذراء كاميلا ، عله يأخذها على غرّة . وقد كان هنالك رجل يدعى كلوروز ، وهو كاهن سيبلة ، وكان يجول في المعركة جولات رائعة ، وكان جواده مسربلاً بزرد من البرونز شبّك بالذهب ، كما تسربل هو بالأرجوان المجلوب من وراء البحار . وكانت قوسه ليقيّة وسهامه كريتية ؛ أما القوس فكانت من الإبريز ، ومن الابريز كانت خوذته ، وشبّك وشاحه الزعفرانيّ بالذهب ، وقد وُشيّ رداؤه بالتطريز بالإبرة ، كما صنعت سراويله من مختلف الألوان . فقامت العذراء بملاحقته دون سواه ، وعميت عمّا دونه ، يحدوها إلى ذلك حبّ المرأة لجميل الأسلاب . وكان ارونس يرقبها من الكمين الذي انبطح فيه ، ولمّا حان الوقت ، قال : « افلون ، يا سيّد جبل سوراكته كن لي الآن عوناً ، وإذا ما قمت مع شعبي قبل الآن بالمرور على النار المشتعلة ، تمجيداً لك وتكريماً، فخذ بيدي الآن ، وأنا لا أطلب سلباً ولا مجداً ، بل دعني

أرجع إلى بلادي دون أي إكرام ، ولكن دعني أفتك بهذه الفتّاكة » . فسمع الإله بعض دعائه ، واستجاب له ، وذرّت بعضه الآخر الرياح ، فقد قتل كاميلا حقاً ، ولكنه لم يرجع إلى وطنه . وحينما رنّت القوس اتجهت أنظار الفولسيانيين جميعاً نحو الملكة ، ولكنها لم تنتبه للسهم ، حتى ولا حينما استقرّ تحت صدرها ، فركضت رفيقاتها جميعاً ، وأمسكنها وهي تتهاوى ، وقد شاءت أن تنتزع السهم من مكانه ، ولكنه أوغل عميقاً في جنبها . ثم دارت عيناها باردتين دوران الموت ، وبهت لون خدّيها ، الذي كان يشبه لون الورد ، وقد كلّمت أكا ، أعزّ صديقاتها لديها ، وهي تلفظ أنفاسها قائلة : « اكا ، يا أختاه إنّ قواي تخونني، فاطلبي إلى طورنوس أن يخوض المعركة ، ويصدّ الطرواديين عن المدينة » . ثم أرخت العنان من يديها ، وسقطت على الأرض واستعرت نار المعركة وهي ملقاة .

ولكن لما رأتها الحورية أوفيس صريعة ، أنّت ، وصرخت قائلة : « لقيتِ جزاء عملك أيتها العذراء، فقد خاصمت رجال طروادة ، ولم ينفعك كونك لديانا أمة . ولكنها لن تدعك تموتين دون تكريم ، وقد قضي على من

مسّك بالأذى بالموت المحقق، كائناً من يكون » . ثم طارت صاعدة الجبل الذي كان قبراً للورنس ملك البلاد ، ولما رأت ارونس ، وهو يتبجح بعمله — فقد هرب أولاً يتملكه الخوف ، ولكنه عاد فاستردّ قواه — قالت : « تعال هنا لكي تلقى هلاكك جزاء فتكك بالعذراء كاميلا » . وشدت القوس حتى تلاقى طرفاها فكانت يدها اليسرى على رأس السهم ، ويدها اليمنى على الوتر ، ولم يكد ارونس يسمع رنين القوس ، حتى ضربه السهم فمات للحال .

ولما ماتت كاميلا ، هربت صاحباتها ، وهرب الروتوليان، وتبعثر الزعماء ، وتُركت الفرق مهجورة . وعجّ هنالك عجيج غبار يقترب من المدينة ، وسمع صياح مخيف يتصاعد إلى السماء ، فتقاطر الناس نحو الأبواب ، ووُطىء القادمون أولاً تحت ضغط الجماعات التي وراءهم ، فماتوا وهم على مرمى النظر من منازلهم . أما اولئك الذين كانوا داخلاً، فقد أغلقوا الأبواب ، وهم يحولون بأسلحتهم دون من كان بإمكانهم الدخول . وثارت مذبحة وسادت فوضى لا نهاية لها ، حتى أن النساء كن يرمين بالنشابات من على الأسوار ، ويلقين بالأوتاد الخشبية المشتعلة بالنار ، وكأنهن يرسلن رماحاً .

وجاءت طورنوس أنباء السوء ، وهو في كمينه في الغاب ، تنبىء بموت كاميلا ، وبأن الغلبة للعدو ، فنهض من مكانه قاصداً السهل ، ولم يكد يفعل ، حتى اتخذ انياس سبيله في الغاب متخطياً الحافة ، وأسرع كلاهما نحو الأسوار ، ورأى انياس طورنوس فعرفه ، كما رأى هذا انياس ، ولكن الظلام منعهما من القتال ذلك النهار .

٢٥

العهد المنقوض

وثارت ثائرة الأمير طورنوس حينما رأى اللاتين وقد فرّوا من المعركة ، ورأى الناس يتطلعون اليه ويطلبون البر بوعده لهم ؛ بأن يلقى انياس وجهاً لوجه . فكان كالأسد الذي جرحه الصياد ، فكسر السهم الذي طعن به ، ونهض إلى القتال ؛ وهو ينفض لبدته ، ويرسل الزئير . هكذا نهض طورنوس ، فكلم الملك لاتينوس أولاً ، وقال : « ليس من أجلي يا أبت ، يرجع هؤلاء الطرواديون الجبناء عما تعاهدوا عليه ، وسألقى هذا الرجل وجهاً لوجه ، وسأصرعه وهو ينظر إليّ . أما إذا كانت إرادة الأرباب بأن تكون له الغلبة عليّ ، فليمتد حكمه عليك ، وليتخذ من لافينيا زوجة » .

ولكن الملك لاتينوس أجابه : « فكر قليلاً يا ولدي، فإن لك مملكة أبيك دانوس،وهنالك غير لافينيا من العذارى الشريفـات في لاتيوم لكي تتخذ إحداهُنّ زوجـاً ، ألا يرضيك هذا ؟ فقد حُرّم عليّ إعطاء ابنتي لزوج من هذه الأمة كما تعلم . ولما عصيت الأمر ، مدفوعاً بحبي لك ، وقد توسلت إليّ زوجتي بالعبرات ، فقد رأيت أيّ عذاب عانيت وعانى شعبي ، بـل وعانيت أنت قبل الجميع منذ ذلك الحين . لقد هربنا مرتين من المعركة ، ولم يبق لنا الآن إلا المدينة ، وإذا كان لا بدّ لي من الإذعان لهؤلاء القوم ، فلأذعن لهم ، وأنتَ مـا زلت حياً ، ومـاذا سيفيدني موتك ؟ لا بل إن الناس سيصيحون عليّ بالخزي ، إذا ما أسلمتك إلى الموت » .

ولزم طورنوس الصمت مـدة غضباً ، ثم قـال : « لا يزعجنّك شأني يا أبي ، فإنني لقادر أيضاً على الطعن بالرمح . أما انياس هذا ، فإن أمه لن تكون على مقربة منه لتختطفه من أمامي في الغمام » .

ثم نادته أماتا قائلة : « إنني أتضرع اليك أن لا تقاتل هؤلاء الطرواديين يا بني ، فإن مـا يؤلمك سيؤلمني حقاً . ولن أعيش لأرى انياس لي صهراً » .

وسمعت لافينيا صوت أمها ، فأخذت في البكاء . أرأيت الى العاج يصبغه الناس بالقرمز ، أو رأيت إلى الورد يمتزج بالزنابق ؟ هكذا ألهب وجه العذراء، وهي تنتحب . ورآها طورنوس فأولع بها حباً ، وأجاب: « لا تُقلقيني بالعبرات يا أماه ، ولا بكلام لا طائل تحته ، فإنني يجب أن أذهب إلى هـذه المعركة . واذهب أيها الدّاعي ايذمون إلى ملك الفريجيان ، وقل له عندما تبزغ شمس الصباح غداً ، دع الناس ينعمون بالسلام ، أما نحن الاثنين ، فنتنازل وليتخذ الغالب منا لافينيا زوجة له » .

ثم ذهب إلى اصطبلات خيوله ، وقد أهدتها الريـح الشمالية إلى فيلوموس ، وكانت أبيض من الثلج ، وأسرع من الريح ، وألقى على كتفيه المعطف المصنوع من الزّرد، واعتمر خوذة ، وحمل السيف العظيم ، الذي صنعه فولكان لدونوس أبيه ، وغمسه هذا في نهر ستيكس ، وقد ابيضّ لشدّة حرارته . وأخذ الرمح الذي كان مسنوداً إلى أحـد الأعمـدة ، وقال: « ساعدني يا رمحي ، فإنّك لم تَخُنّي قبل ذلك قطّ ، ساعدني حتى أصرع أرضاً هذا المخنّث، هذا الأمير الفريجي ، وأعفّر بالتراب شعره المجعّد المضمّخ بالطيب » .

وفي اليوم التالي قام رجال من طروادة ، ورجال من إيطاليا بتعيين مكان النزال ، وأقاموا في وسطه مذبحاً من العشب ، وجلس الجيشان على الجانبين ، وقد غرسوا رماحهم في الأرض ، ووضعوا تروسهم ، وجلست النساء والعُجّز من الرجال على الأبراج وسطوح منازل المدينة ، ليشاهدوا القتال .

ولكنّ الملكة جينو خاطبت جوتورنا أخت طورنوس قائلة : « أترين هذين وكيف يقتتلان الآن وجهاً لوجه ؟ إن طورنوس لذاهب إلى حتفه ، ولا ريب ، أما أنا فإنني لا أحتمل النظر إلى هذا الميثاق أو هذا القتال . وإذا كنت تقدرين على عمل أيّ شيء من أجل أخيك ، فإنّ الوقت قد حان » . ولمّا بكت الحوريّة ، وقرعت صدرها ، قالت جينو : « ليس هذا وقت العبرات ، أنقذي أخاك من الموت إذا قدرت ، أو فاعملي على نقض هذا العهد » .

وأتى بعد ذلك الملكان ، لكي يبرما العهد بينهما ، فامتطى الملك لاتينوس مركبته تجرّها أربعة جياد ، وعلى رأسه تاج باثني عشر شعاعاً من الذهب ؛ لأنه كان من نسل الشمس . وأتى طورنوس بمركبة يجرّها جوادان أبيضان ، وهو يحمل بكلّ يد نشّابة . أما أنياس فقد

ارتدى الأسلحة التي صنعها فولكان ، وكان معه يولوس . وبعد تقديم القرابين ، أقسم انياس داعياً الأرباب جميعاً ، وقال : « إذا حالف النصر طورنوس اليوم ، فإن رجال طروادة سيعودون إلى مدينة إفاندر ، فلا يقلقون هذه الأرض من بعد . أما إذا كان النصر حليفي فإنني لن أطلب بأن يقوم اللاتين على خدمة رجال طروادة ، بل ليكن الشعبان متساويين أحدهما بالآخر ، وسنقوم معاً بعبادة الأرباب الذين أحضرتهم معي ، ولكنّ الملك لاتينوس سيمارس الملك كالسابق ، وسيبني لي الطرواديون مدينة جديدة ستدعوها لافينيا باسمها » .

وأقسم الملك لاتينوس داعياً الأرباب المقيمين منهم في السماوات العلى ، أو في الطبقات السفلى قائلاً : « إن هذا العهد يجب ان يدوم إلى الأبد ، مهما حدث . وكما أنه أمر محقق لا شك فيه بأن هذا الصولجان الذي أحمل ـ وقد كان قبلاً شجرة أحالها صانع ماهر ، وألبسها البرونز لكي تكون للملوك لاتيوم فخراً ـ لن ينبت أبداً غصناً أو ورقاً ، هكذا سيحفظ هذا الميثاق حقيقة لا شك فيها » .

ولكن الأمر لم يرق للاتين ، فقد كانوا حقاً يظنون بأن المعركة لن تتساوى بين الاثنين ، ولكنهم الآن أكثر

يقيناً ، بعد ان رأوهما قادمين معـاً ، ورأوا طورنوس مطرقاً بعينيه إلى الأرض ، وقد اصفر وجهه وامتقع لونه . فسادت بين الشعب غمغمة ، ما ان أحست بهـا جوتورنا حتى اتخذت شكل كاميرس الذي كان بينهم أميراً ومحارباً عظيماً ، ومرت بين الجيش تقول : « ألا يخجلكم يا رجال إيطاليا قيام رجل واحد بالقتال من أجلكم جميعـاً ؟ ألا قوموا بعدّ هؤلاء الرجال ، فإنكم لا تكادون تجدون منهم واحداً مقابل اثنين ، وإذا مـا غُلب طورنوس فأي خزي ستلقون ! إنه سيموت حقاً ، ولكن مجده سيطاول السموات العلى ، أمـا أنتم فستعانون ذُلّ خدمة هؤلاء الغربـاء إلى الأبد » .

ولما رأت أنها قد حركت حفيظـة الشعب ، أرسلت إشارة من السماء ، فهناك ، نسر يسوق أمامـه سرباً من طيور البحر ، وقد انقض هاوياً إلى الماء ، وقبض على بطـة كبيرة ، وبينما كان الإيطاليون ينظرون ، رجعت الطيور الهاربـة ، وصارت تلاحق النسر . وساقته أمامها حتى أفلت البطة ، وولى هارباً ، وصاح الإيطاليون حينما رأوا هذا المنظر ، وتأهبوا للقتال . وجهر العراف تولومينوس صوته قائلاً : « هذا هو الرمز الذي كنت أنتظر ظهوره .

إن هذا السر مـا هو إلا الغريب ، وأنتم الطيـور التي هربت قبلاً ، وستضطره إلى الهرب الآن » .

ثم ركض إلى الأمام ، ورمى رمحه فأصاب رجلاً من أرقاديا في حقوه تحت نطاقه ، وكان أحد إخوة تسعة ، من أمّ توسكانية وأب اغريقي ، فلما رأوه صريعاً ، قبضوا عـلى سيوفهم ورماحهم ، وتقدموا هاجمين ، ثم بدأت المعركة في الحال .

وبدأوا بدكّ المذبح ، لكي يأخذوا منه جذوات ، وهرب الملك لاتينوس من المكان ، ثم ساق ميزانوس جياده ضد الملك اوليستس المنتوي ، الذي كان يـود الهرب ، فتعثر الآن فوق المذبح ، ووقع على الأرض طريحـاً . وطعنه ميزافوس برمحه الذي كان يشبه ركيزة الحائك ، قائلاً : « إن هذا لضحيـة أليق ولا ريب » . وكان أوبيسوس على وشك طعن كوربيوس الأرقادي ، ولكن هذا اختطف من المذبح جـذوة ، وأشعل النار في لحيـة الرجل ، ثم أمسك بشعره قبل أن يعود إلى نفسه ، وضرب به الأرض فألقاه صريعاً . ولما لاحق فولاديريوس الراعي ألسوس ، وأشرع سيفه متأهباً للطعنة ، دار هذا عليه ببلطة ، وشطر رأسه من الجبين إلى الذقن . وكان انياس الصالح في كل

هذه الأثناء ينادي على القوم ، وهو عاري الرأس لا يحمل رمحاً ولا سيفاً ، ويدعوهم قائلاً : « مـــاذا تقصدون ؟ وأي حمق هذا ؟ إن العهد قد أوثق ، ولي فقط الحق في القتال » . وطعنه وهو يتكلم سهم فجرحه ، ولكن ليس من رجل يعلم مَن أرسله عليه ، ومَن هو الذي سيتبجح حقاً بأنه قد جرح انياس !؟ ثم بارح المعركة .

٢٦

موت طورنوس

ولما رأى طورنوس أنّ انياس قد بارح المعركة ، طلب مركبته ، فما إن امتطاها حتّى ساقها يخترق فيهـــا جيش العدوّ يفتك منه بالأبطال البواسل ، مثل سينلوس وفولوس وابني امبرازوس الليقيّ ثم غلوكوس ولاديس . ثم شاهد اوميديس بـــن ذولون (وذولون هـــذا هو الذي أراد التجسس على معسكر الإغريق ، وقد وعـــد بجياد أخيل جزاء له ولكنّ ذيوميذ قتله) ورماه بنبلة مـــن بعيد . ولما وقع أرضاً ، أقبل عليه ووضع رجله فوقه ، وطعنه بالسيف في عنقه ، وهو يقول : « الآن ستكون لك الأرض التي تقصدها ، فارقد هنا ، واذرع إيطاليا لنفسك » . ثم فتك

بالكثيرين ، وكان الجيش يفرّ من أمامه ، ولكن رجلاً يدعى فيغوس وقف في وجهه ، وكاد يصدّ مركبته ، وقد أمسك بلجام الجياد بيديه . وبينما كان يتعلّق بالمركبة ، وهو يجرّ على الأرض ، ضربه طورنوس برمحه ، فشقّ درعه وجرحه . فاتّخذ من مجنّه ستاراً ، وتقدّم نحو طورنوس بسيفه ، ولكنّ العجلات أتت عليه وألقته أرضاً، فضربه طورنوس فيما بين الخوذة ولوحة الصدر ، وفصل رأسه عن الجسد .

وكان انياس في هذا الحين يتّجه نحو المخيّم يقوده منيوس وأخات ويولوس وهو يتكيء على رمحه ، وقد نال منه الحنق ، وأخذ يجاهد في نزع السهم من جرحه . ولما عسر عليه الأمر ، طلب اليهم فتح الجرح بالموسى وإرجاعه إلى المعركة . وقد قام الطبيب يافيس على علاجه، وكان يافيس هذا أعزّ بني البشر على الإله أفولون ، ولمّا أراد الإلّه منحه الفنون جميعها ، ومعها العرافة والموسيقى والنّبالة ، اختار من بينها معرفة فضائل الأعشاب ، وفنّ الشفاء ، لكي يكون قادراً على إطالة حياة أبيه الذي كان على أهبة الموت .

وقد جاء يافيس وهو يشمّر عن أثوابه ، شأن الطبيب

الشافي ، وحاول نزع السهم بالملاقط فلم يفلح . وكانت المعركة تقترب ، وهو في محاولته هذه . وقد عجّت سحب الغبار حتى غطّت السماء ، وتكاثفت النّبال متساقطة على المخيّم . ولمّا رأت فينوس ما يحيق بابنها من أسى شديد ، ذهبت إلى جبل إيذا ، وهو جبل في كريت ، وأحضرت منه العشبة ويتاني ، وهي عشبة ذات ساق وبرّيّ وأزهار أرجوانية ، وقد عرفتها الماعز البريّة ، حينما كانت تصاب بالسهام وتجرح . هذه العشبة أحضرتها فينوس ، ثم أخفت وجهها ، وغمستها بالماء ، ورشّتها هناك مع العنبر والدّواء الطيّب الشّذا .

ولم يفطن يافيس لما حدث ، فاستعمل له الماء الشّافي ويا للعجب ! ها قد توقّف الألم ، وجفّت الدماء ، ولُفظ السّهم خارجاً دون أن يسحبه رجل ، وعادت إلى انياس قواه السابقة ، فقال يافيس : « لم يشفك فنّي يا بنيّ ، بل ان الأرباب يدعونك لمهمتك » . ثم عاد إنياس إلى تسلّحه ، وبعد ان قبّل يولوس مودّعاً ، ذهب إلى المعركة ، وصحبه الزعماء جميعاً ، فتشدّدت عزائم رجال طروادة وأرجعوا اللاتين . ثم وقعت مذبحة عظيمة، فتك فيها غياس بيوفنس ، زعيم الاكيانيين ، وقتل فيها

تولمينوس العرّاف العظيم ، الذي كان أول من نقض العهد بقتله رجلاً برمحه . أمّا انياس فقد استكبر عن أن يحرّك نحو رجل يداً ، ولم يكن يقصد غير طورنوس ينازله . وما أن رأت الحوريّة جوتورنا ذلك،حتّى أخذها الخوف على أخيها ، فاقتربت من مركبته ، ورمت عنها سائقها متيسكوس وهو يمسك الأعنة ، وجلست في مكانه ، وقد اتخذت هيئته شكلاً وصوتاً ، وصارت تسوق المركبة هنا وهناك، كأنها سنونوة تطير في أبهاء رجل ثريّ ، وبين قناطر بيته، تبحث لأطفالها عن طعام . وكان انياس ما ينفكّ يتبعه منادياً إياه ، طالباً اليه الوقوف ، ولكنه كان كلما كاد أن يدركه ركضاً ، حوّلت جوتورنا الجياد ، وهربت بها . وألقى عليه ميسافوس رمحاً وهو يراقب طورنوس ، ورآه انياس مقبلاً فجثا على ركبتيه ، واحتمى منه وراء مجنّه ، فضربه الرمح بقمة خوذته ، وأطار عنها شعارها ، وأشعل بذلك حنقه ، فهجم على جيش العدو يقتل منه كما يشاء .

ثم كانت مجزرة عظيمة من هؤلاء وهؤلاء ، وأوحت فينوس إلى انياس بعد فترة من الزمن بأن يحوّل جيشه نحو المدينة ، فدعا زعماءه ، ووقف على رابية في وسطهم ، وقال : « أصغوا الآن إلى كلماتي ، ولا تتلكأوا في اتباعها .

لا ريب في أن جوبيتر معنا ، وقصدي اليوم أن أدك مدينة اللاتين هذه إلى الأرض ، إذا ظلوا على رفض الطاعة ، ولم أبقى منتظراً لطورنوس حتّى يرضى عن نزالي في المعركة » .

عندها انتظمت الصفوف متجهة نحو أسوار المدينة ، وكان بعضهم يحمل جذوات النيران ، وبعضهم سلالم التسلق ، وذبح بعضهم حراس الأبواب ، وألقوا النبال على الواقفين فوق السور . وثار في المدينة نزاع عظيم ، فمنهم من يريد فتح الأبواب ليدخل منها رجال طروادة ، ومنهم من أسرع للدفاع عن الأسوار ، فتراكضوا هنا وهناك بجلبة وضوضاء ، فكانوا كالنحل في الخلية في قلب صخرة ، قد ملأها الراعي دخاناً بعد أن اغلق عليها المنافذ .

وقد وقع للاتين ما زاد حظهم سوءاً ، فإن الملكة أماتا شاهدت من سطح قصرها اقتراب العدو من الأسوار، ولما لم تر لجيش اللاتين أثراً ، فقد حسبت أن طورنوس قد صُرع في المعركة . فولولت تقول بأنها هي السبب في كل هذه الضحايا ، وعمدت إلى ردائها الأرجواني ، الذي كانت تلبسه ، فشقت منه حبلاً علقته على ركيزة على السطح وشنقت نفسها به .

وعمّ العويل عند ذلك أنحاء المدينة ، وصارت النساء يندبن ويقطعن شعورهن . أما الملك لاتينوس فقد شق ثوبه ، وهال التراب على رأسه .

وبلغ الصياح المتصاعد من المدينة أسماع طورنوس ، حيث كان يقاتل في أقصى السهل ، فأمسك بالأعنّة ، وقال : « ماذا تعني أصوات الضجة والنحيب هذه التي أسمع ؟ » . وأجاب متيسكوس الزائف الذي لم يكن سوى أخته قائلاً : « دعنا نحارب هنا يا طورنوس حيث منحتنا الأرباب ظفراً ، وهنالك عدد كاف لحماية المدينة » .

فأجاب طورنوس : « كلا يا أختاه ، وقد عرفت من أنت منذ البداية ، إن هذا لن يكون ، ولمَ هبطت من السماء ؟ ألكي تشهدي مصرع أخيك ؟ والآن ماذا يجب أن أفعل ؟ ألم أشهد مقتل مورانوس ويوفنس الايكياني ؟ وهل أسمع بخراب هذه المدينة ؟ وهل يجب أن تشهد هذه الأرض فرار طورنوس أمام اعدائه ؟ فخذوني برأفتكم يا أرباب الموتى إنني أعلم بأن أرباب السماء تكرهني ، وسآتيكم روحاً صالحة تليق بآبائي » .

وقدم إليه وهو يتكلم ساسيس يمتطي حصاناً ، غطاه

الزبد ، وقد جرحه سهم في وجهه فصرخ قائلاً : « إن آخر آمالنا لمنوطة بك يا طورنوس ، فقد كاد إنياس يدك المدينة ، وجذوات النار ترسل الآن على السطوح ، والملك لاتينوس في محنة عظيمة من الشك المريب ، وقد قضت الملكة على حياتها ، وليس إلا ميسافوس وأتيناس الآن يقبضان على المعركة ، والقتال يستعر أواره حولها ، بينما تسوق أنت مركبتك في هذه السهول الفارغة »

فبقي طورنوس هنيهة لا يُبدىءُ ولا يُعيد ، وقد امتلأت نفسه بالخزي والأسى والجنون ، فتطلع إلى المدينة ، ويا لهَول ما رأى ! إن النار تتصاعد ، فتبلغ البرج الذي بناه بنفسه فوق الأسوار ، ليكون للمدينة حرزاً يصدّ عنها غارة الأعداء . ولما رآه صاح : « كفى يا أختاه ! إني ذاهب إلى حيث يدعوني الأرباب ، وسألقى إنياس وجهاً لوجه ، وأحتمل هلاكي » .

وقفز من مركبته ، وهو يتلفظ بهذه الكلمات ، وركض يقطع السهل ، حتى اقترب من المدينة ، حيث كانت الدماء على أغزرها تروي الأرض ، والسهام على أكثفها تشق الفضاء ، وأومأ بيده إلى الإيطاليين قائلاً : « أوقفوا سهامكم الآن ، فقد أتيت أخوض المعركة عنكم جميعاً » .

ولما سمعوه أخلوا في الوسط مكاناً . وبلغ انياس اسم طورنوس ، فكف عن مهاجمة المدينة ، وأتى للقائه ، فكان عظيماً يشبه ارتوس أو اريكس ، أو كأنه الأب افينيوس رافعاً رأسه الأبيض إلى السماء . وراع منظرهما الطرواد واللاتين والملك لاتينوس ، لما بدا على كليهما من قوة جبارة .

فبدأا برمي رمحيهما أحدهما على الآخر ، ثم ركضا معاً، واصطدم ترساهما فَصَلاً صليلاً بلغ عنان السماء ، وأمسك جوبيتر الميزان في الأعالي وهو يزن هلاكهما ، ثم راح طورنوس يضرب بسيفه ضربة صرخ لرؤيتها رجال طروادة واللاتين جميعاً ، ولكن السيف الخائن كُسر وهو ينقضّ . ولما رأى المقبض الفارغ في يده ، ركَنَ إلى الفرار ، ويقال إن طورنوس ، وهو يسرع إلى امتطاء مركبته ذلك النهار ، أخذته السرعة ، وأخذ سيف متيسكوس مكان سيف أبيه دون انتباه ، وقد خدمه حقاً حينما كان يطارد أمامه رجال طروادة ، ولكنه كسر كما يكسر الجليد حينما لامس الترس الذي صنعه الإله فولكان . وهكذا هرب طورنوس يلحق به انياس ، مع ان جرحه كان يعيقه في جريه ، وكما يلاحق كلب صيد ايلاً حُصر في رقعة

ضيقة ، فصار يهرب هنا وهناك والكلب الامبرياني القوي يجدّ في ملاحقته ، حتى أوشك على الإمساك به ، وهو يصرّف بأسنانه ولكنه لم يعضه — هكذا لاحق انياس طورنوس ، وهو يجدّ وراءه ، وصرخ طورنوس طالباً أن يُقدّم له سيف ، وتوعد انياس بحرق المدينة ، إذا ما قام أحد بمعونته ، وطافا بالمكان خمس مرات ، ولم يكونا يكدحان لنيل جائزة ، بل في سبيل حياة طورنوس . وكان في السهل جذع شجرة زيتون برية قديمة ، وكانت الشجرة مقدسة عند فونوس ولكنْ قطعها الطرواد ، ولم يبق منها إلا الجذع ، واليها ركز انياس رمحه ، لكي يحوله لطعن طورنوس ، حينما رأى ان ليس بامكانه اللحاق به ركضاً . وما إن رأى طورنوس ذلك ، حتى دعا فونوس قائلاً : « إيه فونوس إذا ما كنت قد حافظت لك على قداسة ما استباحه رجال طروادة فأمسك هذا الرمح عني » . فاستجاب له الإله ، ولم يقدر انياس على إرسال رمحه . وبينما كان ينهمك في عمله ركضت جوتورنا متخذة أيضاً شكل متيسكوس ، وسلمت طورنوس سيفه ، ولما شاهدت فينوس ذلك ، استلت الرمح من جذع الشجرة ، ووقف الاثنان وجهاً لوجه .

وخاطب جوبيتر جينو ، حيث جلست في سحابة ترقب

المعركة ، وقال : « حتى مَ تحاربين الأقدار ؟ وأيّ مقصد تحملين الآن في قلبك ؟ هل كان من الخير أن تسلّم جوتورنا لطورنوس سيفه – وهي لا تقدر على عمل ما من غير مؤازرتك – لقد طوّحت برجال طروادة فوق البرّ والبحر ، وأشعلت نار حرب مروّعة ، ومزجت أغاني العرس بأصوات الحداد ، فلن تذهبي إلى أبعد من هذا » .

وأجابت جينو بخضوع : « إنها إرادتك أيها الأب العظيم ، ولولاها لما مكثت هنا بل لنزلت المعركة أعمل القتل في رجال طروادة . أجل لقد كلّمت جوتورنا لمساعدة أخيها ، ولكنني لا أعلم عن أي شيء سوى ذلك ، وأنا اذعن الآن ، ولكنْ هبني هذه المنحة ، لا تُجز بأنْ يُسمّى اللاتين باسم طروادة . ولا أن يغيّروا كلامهم أو كساءهم ، ولتبسط روما سلطانها على العالم ، ولتُبَدْ طروادة إلى الأبد » .

وتكلّم صانع الأشياء كلها باسماً ، وقال : « إنك لابنة ساتورن حقاً وصدقاً ، وما أعنف هذا الحقدَ في نفسك ! والآن فإنني مانحك ما تطلبين ؛ إن الإيطاليين لن يغيّروا اسمهم ، ولا كلامهم ، ولا كساءهم ، وسيندمج فيهم رجال طروادة ، وسأعطيهم عبادة جديدة ، وأدعوهم

جميعاً لاتينيين ، ولن تقدّم لك أمّة من الإكرام ما سيقدّمون »

وأرسل جوبيتر إحدى ملكات الرّعب من أعماق الجحيم ، فاتخذت شكل طائر ، لم يكن إلا البومة ، التي تسكن البيوت المهجورة ليلاً ، وطارت أمام وجه طورنوس ، وصفقت جناحيها على مجنّه ، فأخذت طورنوس رعدة شديدة ، حتى قفّ شعر رأسه ، وعلق لسانه في حلقه . ولمّا عرفت جوتورنا بصوت الطائر الزّائف ومن هو صاحبه ، صرخت رعباً ، وتركت أخاها هاربة ، تخفي نفسها في نهر التّيبر .

ولكنّ انياس قدم يهزّ رمحه ، وكأنه شجرة ، وقال : « لمَ تتلكأ يا طورنوس ؟ ولمَ تتراجع ؟ إذا قدرت على الهرب الآن فاصعد في الهواء ، أو فاختفِ في باطن الأرض » . وأجاب طورنوس : « إنني لا أخشى وعيدك ، بل إنّ خشيتي من الأرباب ، ومن جوبيتر ، الذين يعاكسونني في هذا اليوم » .

ورأى وهو يتكلم حجراً عظيماً قريباً منه ، وهو علامة لحدود أرض ، ولا يكاد اثنا عشر رجلاً مختارين من رجال هذه الأيام أن ينهضوه على أكتافهم ، فحمله عن

الأرض ورمى به عدوّه ، وهو يركض إلى الأمام مع الرمية . ولم يعلم لاضطراب نفسه ما إذا كان يركض أو يرمي ، فقد اصطكّت رجلاه من تحته ، وبرد دمه رعباً . ووقع الحجر قريباً غير بالغ هدفه . وحدث لطورنوس ما يحدث للنائم وهو يحلم ، وقد ران على عينيه نعاس ثقيل كئيب ، فإذا أراد الركض خذلته رجلاه ، وإذا أراد الكلام امتنع عليه الصوت ، فقد نظر إلى اللاتين ، وإلى المدينة ، ورأى الرمح الرهيب يقترب ، فلا هو يجد سبيل الهرب ، ولا هو يعلم طريق القتال ، وليس بقادر ان يستبين مركبته وأخته . وكان انياس في هذا الحين ، لا يزال يهزّ رمحه ليتأكد من صحة الهدف ، ورماه أخيراً بكل ما لديه من قوّة ، فذهب كالزوبعة نافذاً من طبقات الترس السبع ، حتى اخترق الفخذ ، فانثنت ركبتا طورنوس من تحته ، ووقع على الأرض ، ورنّ صوت رجال طروادة عالياً لرؤيته ، وتوسّل هو الى انياس يقول : « لقد نلتُ القضاء الذي أستحقه ، فخذ ما ربحته ، ولكن لعلّ الرأفة تأخذك بأبي الشيخ العجوز ذونوس ، فقد كان أبوك أنخيس مثله ، فتسلّمني إلى قومي ، وأنت است معطيهم إلا جثتي ، ولقد انتصرتَ عليّ ، ورآني اللاتين أستعطيك حياتي ، فأرجوك الآن اذن ان تحدّ من حنقك».

ووقف انياس هنيهة ، وهو في شك من الأمر ، وقد كاد أن يعفو عن الرجل لما رأى ويا للداهية ! لقد لمح على كتفيه نطاق فالاس ، الذي فتك به ، فاشتعل غيظه شديداً ، وصاح بصوت مخيف : « أتنجو مني الآن أنت يا من ترتدي أسلاب رفاقي ؟ إن فالاس يفتك بك الآن بهذا الجرح ، ويثأر من دمك اللعين » . ثم صوّب السنان إلى صدره ، ومضت الروح الحاقدة بزفرة واحدة إلى الظلمات .

فهرست

ينابيع الفكر الكلاسيكي

هذا الكتاب

الانيادة ملحمة شعرية لاتينية تدوّن احداثاً تعتبر، كما تعتبر الاوذيسة، تتمة لأحداث الالياذة. ومع أن مؤلف الملحمتين السابقتين هو هوميروس اليوناني، ومؤلف الانيادة هو فرجيل الروماني فأنها تتصل ببعضها اتصالا وثيقا اذ انها تتابع قصة الامير الطروادي انياس الذي نجا بعد سقوط مدينته طروادة واستقر في غربي ايطاليا.

والانيادة ثالث اشعار فرجيل، كما انها اطولها وآخرها. وهي تروي قصصا اسطورية تصور الشعب الروماني قبل تأسيس روما بزمن طويل. وقد نظمت بطريقة الشعر البطولي الذي عرف في القرون القديمة.

وكانت الانيادة لسنين طويلة الكتاب الرئيسي لعالم الغرب، وكان يعاد طبعها مرة كل عام على الاقل. فكانت بذلك اكثر الكتب تداولا في اوروبا وأشهرها منذ ايام الرومان.

الثمن : ٨٠٠ ق. ل. أو ما يعادلها